

أسباب النزول عند الامامية

رسالة قدمت الى مجلس كلية الفقه/جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في
الشريعة والعلوم الاسلامية

تقدمت بها
الطالبة امل سهيل عبد

اشراف
الاستاذ الاول المتمرس الدكتور محمد حسين علي
الصغير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ
فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا
يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ
وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ((٣٣))

صدق الله العلي العظيم
الفرقان

الإهداء

إلى من بنوره تملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

إلى سيدي ومولاي صاحب الأمر مستغيثة به: (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
(٨٨)) /يوسف .

فعجل بطلعتك الرشيدة

إلى من وجدنا اسمه في قائمة ضحايا الطاغية المقبور ولم نجد له جسدا يدفن. إلى أخي جاسم رحمه الله تعالى.

إلى زوجي عرفانا بالفضل وتقديرا للعون والمودة.

إلى أبنائي (دعاء - مصطفى - مقتدى - مؤمل - فاطمة الزهراء).

إلى هؤلاء جميعا اهدي باكورة الثمرات المبحثية.

أمل

شكر وتقدير

انا اضع القلم بعد نعمة اكتمال بحثي هذا اجد لزاما علي ان ارجع الفضل الى اهله، فاتقدم بفيض الشكر وعظيم الامتنان الى كل من طوقني بفضله وفي مقدمتهم، المشرف العلامة المفضال الاستاذ المتمرس الاول في جامعة الكوفة الدكتور محمد حسين علي الصغير الذي كان لتوجيهه العلمي الدقيق وملاحظاته السديدة طيلة مواكبته الاشراف على رسالتي ورعايته الابوية المعهودة، وفكره الثاقب ورأيه الحفيف الاثر الكبير في اخراجها بهذا الشكل، فجزاه الله عني وعن كتابه الكريم افضل جزاء المحسنين.

غير ناسية فضل مشرفي الأول على الرسالة الدكتور ستار جبر الاعرجي الذي احاطني بالرعاية الأخوية، فلم يكن بالنسبة لي مشرفا فقط، وانما كان أخا وصدرا واسعا تحملني طيلة فترة اشرافه عليّ وسخر مكتبته الخاصة لخدمتي ، غير باخل بالنصيحة ولا مدخر جهدا دون بذله لي، فجزاه الله عني بألف خير.

كما اتقدم بالشكر الجزيل الى كلية الفقه عموماً والى قسم الدراسات العليا خصوصاً متمثلة بعميدها الاستاذ المساعد الدكتور صباح عباس عنوز في دعمه لطلبة الدراسات العليا . ولا انسى فضل اهل الفضل علي ومن باذليه.

١- استاذي الفاضل سماحة العلامة الشيخ احمد كاظم البهادلي الذي لا انسى اياديه الكريمة على البحث والباحثة، ولا استطيع عد الزيارات التي قمت بها وزوجي لداره الكريمة، والتي استقبلنا بها خير استقبال واکرمنا خير اكرام متكلفا قراءة بعض فصول الرسالة بعناية ورعاية ابوية مضمفيا لمساته على الرسالة بتوجيهاته القيمة ولا غرابة، فهو معلم الخلق العالي الادب الرفيع.

٢- سماحة العلامة الجليل السيد محمد صادق الخرسان الذي مد لي يد العون مزيلا غموض ما كان غامضا علي من جوانب البحث.

٣- فضيلة العلامة الشيخ باقر شريف القرشي الذي فتح امامي مكتبته العامة ولم يبخل علي بالنصح والارشاد مذكلا لي بعض الصعاب ودالا على بعض المصادر التي أتحتني بها مكتبة الامام الحسن X فجزاه الله عن العلم واهله بألف خير.

٤- فضيلة العلامة الشيخ محمد جعفر الكرباسي الذي اشار عليّ ببعض المصادر مسديا بعض النصائح، زاده الله شرفا الى شرفه ومنحه الصحة والعافية واطال في عمره بالخير والبركة.

٥- فضيلة الأخ الشيخ غزوان جميل الذي عزز الثقة لموضوعي المختار ومنحني من وقته الثمين، ولم يدخر جهدا في ابداء العون.

٦- فضيلة الاستاذ الدكتور محمد زوين تكلف بقراءة بعض فصول الرسالة، فكان نعم الموجه والاستاذ الناصح.

كما اتقدم بفائق الشكر والامتنان لكل من مد لي يد العون باسداء نصيحة او تقديم كتاب او ابداء رأي، او دعوة بظهر الغيب، وان كان لا يسعني ان اذكر اسماء الجميع فان الصور محفوظة في القلب.

ولا انسى المكتبات التي امدتني بالمادة العلمية وهي:

١- مكتبة الامام الحكيم العامة بكل كادرها.

- ٢- مكتبة امير المؤمنين X العامة ادارة ومنسبين.
 - ٣- مكتبة الكلية الاسلامية الجامعة خصوصا مديرتها.
 - ٤- مكتبة الامام الحسن X.
 - ٥- مكتبة كاشف الغطاء العامة، بكادرها اجمع.
 - ٦- مكتبة الروضة الحيدرية الشريفة.
 - ٧- مكتبة كلية الشيخ الطوسي P.
 - ٨- مكتبة كلية الآداب.
 - ٩- مكتبة كلية التربية للبنات العامة ومكتبة قسم اللغة العربية خصوصا.
 - ١٠- مكتبة كلية الدراسات الانسانية.
 - ١١- مكتبة كلية الفقه العامرة.
- كما لا يفوتني ان ازجي شكري وتقديري وعرفاني بالجميل لمعلمي ومدرسي واساتذتي للمراحل الدراسية جميعها، واصل اساتذتي في المرحلة الجامعية الذين كان لي شرف التلمذة في مرحلة الدراسة العليا.
- واخيرا شكري وتقديري الخالصين الى رفيق دربي وسندي زوجي جبار الموسوي والى ابنائي الكرام الذين بذلوا كل وسعهم من اجل مساعدتي وتوفير الاجواء التي اعانتي وعلى ما تحملوه طيلة مدة الدراسة.
- الى هؤلاء جميعا اقول: ساعدني الله برده ولو جزء ضئيل من افضالكم علي وجزا الله الجميع خير جزاء المحسنين ووفقهم الى ما يرضيه وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

المحتويات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|-------------------|------------|
| الاهداء | ١ |
| شكر وتقدير | ٣-٢ |
| المحتويات | ١١-٤ |
| الرموز والمصطلحات | ١٢ |
| المقدمة | ١٧-١٣ |

التمهيد

(اسباب النزول تعريفًا ومضمونًا)

| | |
|-------|--|
| ١٨ | المبحث الاول : التعريف باسباب النزول |
| ١٨ | ١ - اسباب النزول لغة |
| ١٨ | أ- الاسباب |
| ١٨ | ب- النزول |
| ١٩ | ٢ - المعنى الاصطلاحي |
| ٢٠ | أ- اسباب |
| ٢٢ | ب- النزول |
| ٢٣ | ج- اسباب النزول اصطلاحا |
| ٢٤ | تنويه |
| ٢٥ | المبحث الثاني: موقع اسباب النزول من علوم القرآن |
| ٢٦ | ١ - المؤلفات الشاملة |
| ٢٧ | ٢ - المؤلفات المختصة |
| ٢٨ | ٣ - المؤلفات الحديثة |
| ٣٠ | مصادر الرواية |
| ٣٠ | ١ - عصر الصحابة الكرام |
| ٣٠ | عبد الله بن عباس |
| ٣١ | عبد الله بن مسعود |
| ٣٢ | ابي بن كعب |
| ٣٤ | ٢ - عصر التابعين |
| ٣٥ | سعيد بن جبير |
| ٣٦ | سعيد بن المسيب |
| ٣٧ | ٣ - عصر تابعي التابعين |
| ٤٣-٣٩ | المبحث الثالث: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب |
| ٤٤ | ثمرات هذه القاعدة |
| ٤٦ | المبحث الرابع: وظائف اسباب النزول |
| ٤٨-٤٧ | ١ - الوظيفة التفسيرية |
| ٥٤-٤٨ | ٢ - وظيفة تاريخية (زمانية ومكانية) |

الفصل الاول

أهمية اسباب النزول عند الامامية

| | |
|--------|---|
| ٦٢-٥٥ |المبحث الأول: رأي اهل البيت Γ في اسباب النزول |
| -٦٢ | نماذج مما روي عن الائمة Γ في اسباب النزول |
| ٦٤ | |
| ٦٤ | ١- الامام امير المؤمنين X..... |
| ٦٥ | ٢- الامام الحسن المجتبي X..... |
| ٦٥ | ٣- الامام الحسين الشهيد X..... |
| ٦٦ | ٤- الامام علي بن الحسين السجاد X..... |
| ٦٦ | ٥- الامام محمد بن علي الباقر X..... |
| ٦٦ | ٦- الامام جعفر بن محمد الصادق X..... |
| ٦٧ | ٧- الامام موسى بن جعفر الكاظم X..... |
| ٦٧ | ٨- الامام علي بن موسى الرضا..... |
| ٦٨ | ٩- الامام محمد بن علي الجواد..... |
| ٦٩ | ١٠- الامام علي بن محمد الهادي..... |
| ٧١-٦٩ | ١١- الامام الحسن بن علي العسكري..... |
| ٧٢ | المبحث الثاني : موقع اسباب النزول عند الامامية |
| ٧٢ | أ- ان المورد لا يخصص الوارد..... |
| ٧٣ | ب- انه لا اثر لهذا العلم في التفسير..... |
| ٧٤ | ج- بعض العلماء استندوا الى حديث روى عن الصادق X..... |
| ٧٦ | د- الدس والتحريف في اسباب النزول..... |
| ٨٣-٧٨ | المبحث الثالث: عائدة اسباب النزول في فهم النص القرآني:..... |
| ٨٤ | المبحث الرابع: حالات اسباب النزول..... |
| ٨٤ | أ- الحالة الأولى..... |
| ٨٥ | ب- الحالة الثانية..... |
| ٨٦ | تنويه..... |
| ٩٢-٨٨ | المبحث الخامس: مجالات اسباب النزول..... |
| ٩٣ | اولا: المجال العقائدي..... |
| ٩٥ | ثانيا: المجال التشريعي..... |
| ٩٧ | ثالثا:المجال الأخلاقي الاجتماعي..... |
| ١٠٣-٩٩ | رابعا: المجال الجهادي..... |

الفصل الثاني

اسباب النزول بين الجمهور والامامية

| | |
|------|---|
| ١٠٤ |المبحث الأول: اسباب النزول عند الجمهور |
| -١٠٤ |أ- اراء الجمهور باسباب النزول |
| ١١١ | |
| -١١١ |ب- كتب اسباب النزول عند الجمهور |
| ١١٣ | |
| ١١٤ | طرق اثبات اسباب النزول |
| ١١٤ | الطريقة الأولى |
| ١١٥ | الطريقة الثانية |
| -١١٦ | الطريقة الثالثة |
| ١١٩ | |

| | |
|------|--|
| ١٢٠ | رأي وخلاصة |
| ١٢١ | المبحث الثاني: اسباب النزول عند الامامية |
| ١٢١- | أ- عرض اسباب النزول عند الامامية |
| ١٢٦ | |
| ١٢٧ | ب- آراء الامامية في اسباب النزول |
| ١٣٠ | انماط اسباب النزول: |
| ١٣٠ | ١- الأمر الأول |
| ١٣٠ | ٢- الأمر الثاني |
| ١٣١- | ٣- الأمر الثالث |
| ١٣٥ | |

الفصل الثالث

اسباب النزول في مناهج مفسري الامامية

| | |
|-----|--|
| ١٣٧ | توطئة |
| ١٣٧ | ١- المنهج لغة |
| ١٣٧ | ٢- المنهج اصطلاحاً |
| ١٣٩ | اسباب النزول في مناهج المفسرين |
| ١٣٩ | اسباب النزول في منهج الامامية |
| ١٤٠ | تعدد مناهج الامامية في اعتمادهم في التفسير على المأثور |
| ١٤٢ | المبحث الأول: اسباب النزول في المنهج الأثري القرآني: |
| ١٤٢ | ١- تفسير القرآن بالرواية |
| ١٤٢ | ٢- تفسير القرآن بالقرآن |
| ١٤٣ | تفسير الميزان/ لمحمد حسين الطباطبائي |
| ١٤٤ | اسباب النزول في منهجه |
| ١٤٥ | عناوين اسباب النزول عنده |
| ١٤٥ | ١- ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب |
| ١٤٦ | ٢- الجري والانطباق |
| ١٤٨ | ٣- سياق الآية |
| ١٥٤ | ٣- تفسير آلاء الرحمن/ لمحمد جواد البلاغي |
| ١٥٤ | اسباب النزول في منهجه |
| ١٦٠ | المبحث الثاني: اسباب النزول في المنهج الاثري والروائي |
| ١٦٢ | الأول: تفسير العياشي/ لمحمد بن مسعود العياشي |
| ١٦٣ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٦٦ | الثاني: تفسير القمي/ لعلي بن ابراهيم القمي |
| ١٦٧ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٦٩ | الثالث: تفسير البرهان/ لهاشم البحراني |
| ١٧٠ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٧٤ | الرابع: تفسير نور الثقلين/ للحويزي |
| ١٧٦ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٨٠ | ١- لمبحث الثالث: اسباب النزول في المنهج الادبي الحديث |
| ١٨٠ | ١- التفسير الكاشف/ لمحمد جواد مغنية |
| ١٨٢ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٨٧ | ٢- تفسير مواهب الرحمن/ لعبد الأعلى السبزواري |
| ١٨٨ | اسباب النزول في منهجيته |
| ١٨٨ | ١- عنوان (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) |
| ١٨٨ | ٢- عنوان الانيساطية |
| ١٨٩ | ٣- عنوان السياق |

الفصل الرابع

وسائل اثبات اسباب النزول

| | |
|------|--|
| ١٩١ | مدخل وفيه: |
| ١٩٢ | السنة لغة |
| ١٩٢ | السنة اصطلاحاً |
| ١٩٣ | الحديث |
| ١٩٣ | الاثار |
| ١٩٣ | الخبر |
| ١٩٤ | اقسام السنة |
| ١٩٤ | ١ - السنة القولية |
| ١٩٤ | ٢ - السنة الفعلية |
| ١٩٤ | ٣ - السنة التقريرية |
| ١٩٥ | ١ - السنة التوكيدية |
| ١٩٥ | ٢ - السنة البيانية |
| ١٩٥ | ٣ - السنة التأسيسية |
| ١٩٦ | حجية السنة |
| ١٩٦ | الكتاب |
| ١٩٧ | السنة |
| ١٩٧ | الاجماع |
| ١٩٨ | العقل |
| ١٩٨ | مكانة السنة لدى المسلمين |
| -١٩٩ | حجية السنة في التفسير |
| ٢٠٠ | |
| -٢٠١ | تدوين الحديث |
| ٢٠٥ | |
| -٢٠٥ | تطور الحديث عند الامامية |
| ٢٠٩ | |
| -٢٠٩ | تطور الحديث عند الجمهور |
| ٢١٠ | |
| ٢١١ | المبحث الأول: الاخبار المتواترة (القطعية) |
| -١١٢ | شروط وصف الخبر بالمتواتر |
| ٢١٤ | |
| ٢١٤ | انواع التواتر |
| ٢١٤ | ١ - التواتر اللفظي |
| -٢١٤ | ٢ - التواتر المعنوي |
| ٢١٥ | |
| ٢١٥ | مكانة الاخبار المتواترة في التفسير |
| ٢١٦ | نماذج من الاخبار المتواترة في اسباب النزول |
| ٢١٦ | ١ - آية الولاية |
| ٢١٧ | ٢ - آية التطهير |
| ٢١٩ | ٣ - آية المباهلة |
| ٢٢١ | ٤ - آية الانفاق |
| ٢٢٢ | ٥ - آية النجوى |

| | |
|-----|---|
| ٢٢٢ | ٦- آية الاطعام..... |
| ٢٢٤ | المبحث الثاني: اخبار الأحاد المحفوفة بقرآن توجب القطع بصدورها..... |
| ٢٢٨ | مكانة الاخبار المحفوفة بالقرآن في التفسير..... |
| ٢٢٨ | امثلة على قرائن صدق خبر سبب النزول..... |
| ٢٢٩ | |
| ٢٣٣ | |
| ٢٣٤ | المبحث الثالث: اخبار الأحاد غير المحفوفة بقرينة توجب العلم بصدورها..... |
| ٢٣٤ | القسم الأول: اخبار الأحاد الضعيفة..... |
| ٢٣٥ | مكانة الخبر الواحد الضعيف في التفسير..... |
| ٢٣٦ | القسم الثاني: اخبار الأحاد المعتبرة..... |
| ٢٣٨ | شروط حجية الخبر الواحد..... |
| ٢٤٠ | |
| ٢٤١ | دواعي اعتبار هذه الشروط..... |
| ٢٤٥ | |
| ٢٤٥ | مكانة اخبار الأحاد في التفسير..... |
| ٢٤٧ | |
| ٢٤٨ | انعكاس الدس والتزوير على بعض كتب اسباب النزول..... |
| ٢٥٤ | |
| ٢٥٥ | نماذج من اخبار الأحاد غير المحفوفة بالقرآن في اسباب النزول..... |
| ٢٥٦ | المنهج الذي يجب ان يتخذ في اسباب النزول..... |
| ٢٥٧ | خاتمة الفصل..... |
| ٢٥٨ | الخاتمة والنتائج..... |
| ٢٦٥ | |
| ٢٦٦ | فهرس المصادر والمراجع..... |
| ٢٩١ | |
| أ-م | الملاحق..... |
| A-C | خلاصة باللغة الانكليزية..... |

الرموز والمصطلحات

| | | | |
|------------------------|---|-------|-----|
| توفي | = | ت | ١. |
| تحقيق | = | تح | ٢. |
| رقم الصفحة | = | ص | ٣. |
| رضي الله عنه | = | رض | ٤. |
| ينظر | = | ظ | ٥. |
| الطبعة | = | ط | ٦. |
| حديث | = | ح | ٧. |
| ميلادي | = | م | ٨. |
| هجري | = | هـ | ٩. |
| المصدر نفسه | = | م. ن | ١٠. |
| بلا تاريخ | = | ب - ت | ١١. |
| رقم الجزء / رقم الصفحة | = | ٢ / ١ | ١٢. |

الملاحق

ذكرنا في التمهيد ان الكتب التي ألفت في اسباب النزول كانت على ثلاث مجاميع هي:

١- المؤلفات الشاملة

٢- المؤلفات المتخصصة

٣- المؤلفات الحديثة

وحتى لا يطول بنا المقام في (التمهيد) تركنا سرد اسماء هذه الكتب، منوهين الى أننا سنقوم بطبع ملاحق للرسالة نذكر بها قوائم باسماء هذه الكتب، مرتبة حسب اوائل اسمائها، مما وفق اليه اصحاب معاجم المصنفات^(١).

أ- اسماء المؤلفات الشاملة:

١- أحاديث النزول/ للدار قطني، جزء صغير مخطوط في مكتبة طبقبوسراي استنبول^(٢)

٢- ارشاد الرحمن لأسباب النزول/ لعطية الله بن البرهان الشافعي الاجهوري (ت ١١٩٠هـ)^(٣)

٣- اسباب النزول/ لعلي بن هبة بن جعفر، ابي الحسن المديني، السعدي (ت ٢٣٤هـ)^(٤)

٤- اسباب النزول/ لمحمد بن اسعد القرافي^(٥)

٥- اسباب نزول القران/ لعلي بن احمد، ابي الحسن الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)^(٦)

٦- اسباب النزول/ لشيخ سعيد بن هبة الله بن الحسن، قطب الدين الراوندي، المفسر الأمامي (ت ٥٧٣هـ)^(٧)

٧- اسباب النزول/ لعبد الرحمن بن محمد، ابي المطرف، المعروف بأبن فطيس الاندلسي (ت ٤٠٢هـ)^(٨)

(١) من هذه المصنفات/ معجم مصنفات القران الكريم، الذريعة، كشف الظنون، ايضاح المكنون، وكتب علوم القران

(٢) السيوطي/ الاتقان ٨٢/١

(٣) علي شواخ اسحاق/ معجم مصنفات القران الكريم/ ١/٢٧١ برقم ٢٠٤

(٤) الشيوطي/ الانتقاب ٨٢/١، علما ان السيوطي ذكره على اساس انه اقدم ما الف في اسباب النزول، لكننا سنجد في هذه القوائم ما هو اقدم منه

(٥) حاجي خليفة/ كشف الظنون ٧٦/١

(٦) المصدر نفسه ٧٦/١ وقد طبع بأسم (اسباب النزول)

(٧) الطهراني/ الذريعة الى تصانيف الشيعة ١٢/٢

(٨) علي شواخ اسحاق/ معجم مصنفات القران الكريم ٢٣/١ حيث سماه (القصص والاسباب التي نزل من اجلها القران)، وحاجي خليفة/ كشف الظنون ٧٦/١

- ٨- اسباب النزول/ لعبد الرحمن بن علي، ابي الفرج، ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ) (٣)
- ٩- اسباب النزول على مذهب ال الرسول/ للشيخ محمد بن علي ابن شهر اشوب، السروي، الحافظ، (ت ٥٨٨ هـ) (٤)
- ١٠- الاعجاب ببيان الاسباب/ لأحمد بن علي، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) وهو عبارة عن مجلد ضخمة (٥)
- ١١- البيان في نزول القرآن/ لمحمد بن علي النسوي (٦)، وموضوعه اسباب النزول
- ١٢- تسمية المنافقين ومن نزل فيهم القرآن منهم ومن غيرهم/ لأبي الحسن المدائني، علي بن محمد بن عبد الله (١٣٥-٢٢٥ هـ) (٧)
- ١٣- التنزيل من القرآن والتحريف/ للمحدث علي بن الحسن بن فضال الكوفي (ت: ٢٢٤ هـ) (١)
- ١٤- التنزيل والتعبير/ لمحمد بن خالد البرقي (اواخر المائة الثانية) (٢)
- ١٥- التنزيل/ وهو من مصادر المصباح الكفعمي (٣)
- ١٦- التنزيل/ لمحمد بن مسعود بن محمد بن عياش، السلمي، السمرقندي صاحب تفسير العياشي (٤)
- ١٧- التنزيل عن ابن عباس/ لعبد العزيز بن يحيى الجلودي، ابي احمد البصري (ت ٣٣٢ هـ) (٥)
- ١٨- الصحيح المسند في اسباب النزول/ لمقبل الوادي (٦)
- ١٩- لباب النقول في اسباب النزول/ للسيوطي (ت ٩١١ هـ) وهو مطبوع متداول (٧)

(٣) حاجي خليفة/ كشف الظنون ٧٦/١

(٤) المصدر السابق ٧٧/١، الطهراني/ الذريعة ١٢/١

(٥) المصدر السابق ١٢٠/١، ولعل هذا الكتاب هو الذي قصده السيوطي في الاتقان ٨٢/١ حيث قال: (الف فهي شيخ الاسلام ابو الفضل ابن حجر كتابا مات عنه مسودة، فلم نقف عليه كاملا)

(٦) علي شواخ اسحاق/ معجم مصنفات القرآن برقم ٢٦٠٨

(٧) ابن النديم/ الفهرست ١١٣

(١) حسن الصدر/ تأسيس الشيعة/ ٣٣٥، هكذا سماه، الطهراني/ الذريعة ٤٥٤/٤

(٢) محسن الامين/ اعيان الشيعة ١٢٨/١

(٣) الطهراني/ الذريعة ٤٥٤/٤

(٤) المصدر السابق ٤٥٤/٤

(٥) المصدر السابق ٤٥٤/٤ عن رجال النجاشي.

(٦) طبع مكتب المعارف الرياضي (بدون تاريخ) وقد اطلعنا على هذا الكتاب فوجدناه لا صحيح ولا مسند انما هو خرافات لا نعلم من اين جاء بها المؤلف، كان عليه ان يسميه الضعيف المتروك!!!

(٧) قال عنه السيوطي في الاتقان: (وقد الفت فيه كتابا حافلا موجزا لم يؤلف مثله في هذا النوع)

- ٢٠- لب التفاسير في معرفة اسباب النزول والتفسير/ لمحمد بن عبد الله القاضي الرومي الحنفي، الشهير بـ(لبي حافظ) (ت: ١١٩٥هـ)^(٨)
- ٢١- مختصر اسباب النزول/ لأبراهيم بن عمر بن ابراهيم، برهان الدين الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)^(١)
- ٢٢- مدد الرحمان في اسباب نزول القرآن/ لعبد الرحمن بن علاء الدين بن علي بن اسحاق القاضي، زين الدين التميمي، الخليلي، المقدسي، الشافعي (ت: ٨٧٦هـ)^(٢)
- ٢٣- مقامات التنزيل/ لأبي العباس الضرير^(٣)
- ٢٤- نزول القرآن/ للحسن بن سيار البصري ابي سعيد (ت: ١١٠هـ)^(٤)
- ٢٥- نزول القرآن/ للضحاك بن مزاحم، الهلالي، اللخمي، الخراساني (ت: ١٠٥هـ)^(٥)
- ٢٦- نزول القرآن/ لمحمد بن اسحاق بن خزيمة، ابو بكر النيسابوري نقل عنه في كتابه (قوارع القرآن)^(٦)
- ٢٧- نزول القرآن/ للحسن بن ابي الحسن البصري^(٧)
- ٢٨- نزول القرآن/ لعكرمة عن ابن عباس^{(٨)(٩)}
- ٢٩- يتيمة الدرر في النزول وايات السور/ لأبي عبد الله، محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن الحسين الموصللي الحنبلي (ت: ٦٥٦ هـ)

(٨) البغدادي/ ايضاح المكنون ٤/ ٤٠٠

(١) حاجي خليفة/ كشف الظنون ١/ ٧٢، السيوطي الاتقان ١/ ٨٢ وقد قال عنه (قد اختصره- يعني كتاب الواحد- الجعبري اسانيده ولم يزد عليه شيئا)

(٢) البغدادي/ ايضاح المكنون ٤/ ٤٥٥

(٣) ابن حجر/ الاصابة في معرفة الصحابة ٣/ ٦٣٠، وقد نقل عنه نزل اية في بعض الصحابة

(٤) علي شواخ اسحاق/ معجم مصنفات القرآن ١/ ٣٧١ برقم ٢٢٣، وقد قال عنه (كان روايته عمرو بن عبيد المعتزلي) (ت: ١٤٤هـ)

(٥) فؤاد سزكين/ تاريخ التراث العربي ١/ ٨٧/ ١

(٦) الحسيني/ معجم المؤلفات القرانية ٩٥

(٧) ابن النديم/ الفهرست ٤٠

(٨) المصدر نفسه ٤٠

(٩) محفوظ بمكتبة جسترمتي برقم ٣٩٦١ / ٢

٢- اسماء المؤلفات المتخصصة:

وهذا النوع من المؤلفات اختص بجمع روايات يعتقد انها نزلت في اشخاص معينين، وسنحاول ايراد اسماء اكبر عدد ممكن من هذه الكتب التي سجلها اصحاب الفهارس، وسيكون ترتيبها حسب اوائل اسمائها وهي:

- ١- الآيات النازلة في اهل البيت / لمحمد ابي زيد بن عريشاه الوار ميني (من اعلام القرن الثامن) وله كتاب اخر اسماء (احسن الكبار في معرفة الأئمة الأطهار)^(١)
- ٢- الآيات النازلة في اهل البيت / لأبن الفحام، الحسن بن محمد بن يحيى، ابي محمد المقريء النيسابوري (ت ٤٥٨ هـ)^(٢)
- ٣- الآيات النازلة في ذم الجائرين على اهل البيت / لحيدر علي بن محمد بن الحسن الشيرواني^(١)
- ٤- الآيات النازلة في فضائل العترة الطاهرة/ للشيخ عبد الله تقي الدين الحلبي^(٢)
- ٥- اية التطهير في الخمسة اهل الكساء/ للسيد محي الدين الموسوي الغريفي^(٣)
- ٦- اية التطهير/ للسيد محمد باقر الخرسان الموسوي مطبوع
- ٧- اية التطهير/ للسيد محمد جواد الحسيني الجلاي مطبوع
- ٨- إبانة مافي التنزيل من مناقب ال الرسول/ لأحمد بن الحسن بن علي ابي العباس الطوسي، الفلكي، المفسر ويسميه البعض (مثار الحق)^(٤)
- ٩- أربعون في فضائل امير المؤمنين X/ لمؤلف مجهول^(٥)
- ١٠- اسماء امير المؤمنين X في كتاب الله عز وجل/ لابن ابي الثلج، محمد بن احمد بن عبد الله ابي بكر البغدادى (ت ٣٢٥ هـ)^(٦)
- ١١- اسماء امير المؤمنين X في القرآن/ للحسن ابن القاسم بن محمد بن ايوب بن شمون، ابي عبد الله الكاتب (من اعلام القرن الرابع)^(٧)
- ١٢- اسماء من نزل فيهم القرآن / لأسماعيل الضرير المديني^(٨)
- ١٣- اعظم المطالب في آيات المناقب/ للسيد احمد حسين الأمروهي (ت ١٣٣٨ هـ)^(٩)
- ١٤- أوضح دليل فيما جاء في علي وآله من التنزيل/ للشيخ علي بن الشيخ جعفر بن ابي المكارم العوامي القطيفي^(١٠)

(١) موجود في مكتبة السيد المرعشي (برقم ٧٤٩-٧٥٠) في ايران

(٢) ابن حجر/ لسان الميزان ٢٥١/٢

(1) الطهراني/ الذريعة ٤٨/١.

(2) المصدر نفسه ٤٩/١

(3) مطبوع ومتداول في الاسواق المطبعة العلمية-النجف- ١٣٧٧ هـ

(4) المازندراني/ معالم العلماء ٢٣

(5) الطهراني/ الذريعة ٤٩/١١-٥٠ وكذلك ٢٦٤/١٧

(6) المصدر نفسه.

(7) الطهراني/ الذريعة، ٦٥/٢، والنجاشي في رجاله، ٥٢.

(8) حاجي خليفة / كشف الظنون ٨٩/١.

(9) الطهراني / الذريعة ٩٥/١١.

(10) احمد الحسيني/ الهداية الى حبة الميراث / قال عنه: أنه موجودة عنده.

- ١٥- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/ للسيد علي شرف الدين الحسيني، الاسترآبادي، النجفي، تلميذ المحقق الكركي الذي توفي ٩٤٠ هـ ويسميه البعض (تأويل الآيات الباهرة)^(١).
- ١٦- تأويل الايات النازلة في فضل اهل البيت(ع) لبعض الاصحاب^(٢).
- ١٧- تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة/ للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي الصوري (ت ١٣٧٧) صاحب كتاب (المراجعات)^(٣).
- ١٨- تحفة الاخوان في تقوية الايمان/ للشيخ فخر الدين الطريحي صاحب (مجمع البحرين) (ت ١٠٨٥ هـ)^(٤).
- ١٩- تفسير الآيات المنزلة في امير المؤمنين X/ للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، التلعكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)^(٥).
- ٢٠- تفسير الكوفي/ لفرات بن ابراهيم ابو القاسم الكوفي (من اعلام القرن الرابع)^(٦).
- ٢١- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين/ لمحسن بن كرامة الجشمي الحاكم البيهقي (ت ٤٩٤ هـ)^(٧).
- ٢٢- جامع الفوائد ودافع المعاند/ للشيخ علم بن صيف بن منصور النجفي الحلبي^(٨).
- ٢٣- الحجة البالغة/ للسيد خلف الحويزي الموسوي (ت ١٠٧٤)^(٩).
- ٢٤- حقائق اليقين في فضائل امام المتقين والايات النازلة في شأن امير المؤمنين X/ للمولى ابي طالب الاسترآبادي^(١٠).
- ٢٥- حقائق التفضيل في تأويل التنزيل/ لجعفر بن ورقاء بن محمد بن جبله، ابي محمد، امير بني شيان بالعراق^(١١).
- ٢٦- خصائص امير المؤمنين في القرآن/ للحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله، ابي القاسم (من اعلام القرن الخامس)^(١٢).
- ٢٧- خصائص امير المؤمنين X من القرآن/ للحسن بن احمد بن القاسم بن محمد بن علي بن ابي طالب، ابي محمد الشريف، النقيب شيخ النجاشي^(١٣).
- ٢٨- خصائص الوحي المبين في مناقب امير المؤمنين X/ للشيخ يحيى بن علي بن الحسن بن البطريق الحلبي (ت ٦٠٠ هـ)^(١٤).

(١) الطهراني/ الذريعة ٣/ ٣٠٤، وقد علمنا من مصادر عامله في مكتبة الامام الحكيم في النجف ان لديهم منه نسخة مخطوطة (برقم ٦٣٩)، وكذلك نسخه في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، وكذلك في مكتبة السيد المرعشي النجفي في قم بالأرقام (٢٥٩ و ٢٩٠ و ٣٥٩ و ٤٣٨) وغيرها، وكذلك نسخ في مكتبة الامام الرضا بمشهد.

(٢) الطهراني/ الذريعة ٣/ ٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٥٥.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٤١٤.

(٥) المصدر نفسه ١٢/ ١٨٣ واعتمده ابن طاووس في سعد السعود.

(٦) مطبوع، ومتداول في الاسواق المحلية - طبع في طهران .

(٧) الطهراني/ الذريعة ٤/ ٤٤٦ قال عنه: (وقد ينسب الى المرتضى علم الهدى).

(٨) الطراني/ الذريعة ٥/ ٦٦ وهو مختصر (تأويل الآيات لشرف الدين).

(٩) المصدر نفسه ٦/ ٢٥٨.

(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٢٩٢.

(١١) النجاشي/ الرجال ٩٦.

(١) المازندراني/ معالم العلماء ٧٨.

(٢) النجاشي/ الرجال ٥١، الطهراني/ الذريعة ٧/ ١٦٥.

(٣) الطهراني/ الذريعة ٧/ ٧٥، قال عنه : (طبع في طهران ١٣١١).

- ٢٩- الخيرات الحسان في ماورد من آي القرآن في فضل سادة بني عدنان/ لمحمد رضا الغراوي النجفي^(٤).
- ٣٠- الدر الثمين في ذكر خمسمائة آية نزلت من كلام رب العالمين في فضائل امير المؤمنين/X/ للحافظ الشيخ رجب بن محمد البرسي الحلبي (كان حياً ٨١٣هـ)^(٥).
- ٣١- الدر الثمين في اسرار الانزع البطين/ للشيخ تقي الدين عبد الله الحلبي، وقد مر له كتاب (الآيات النازلة (برقم ٤))^(٦).
- ٣٢- ذكر الآيات النازلة في امير المؤمنين عليه السلام/ لمؤلف مجهول^(٧).
- ٣٣- ذكر ما نزل من القرآن في رسول الله واهل البيت / لمؤلف مجهول^(٨).
- ٣٤- رجال انزل الله فيهم قرآناً/ لعبد الرحمن بن عميرة الرياحي^(٩).
- ٣٥- روائح القرآن في فضائل امناء الرحمان/ للسيد مير محمود عباس ابن علي اكبر الهندي التستري (ت ١٣٠٦هـ)^(١٠).
- ٣٦- زبد الكشف والكرامة في معرفة الامامة/ السيد محمد مؤمن بن محمد تقي الموسوي الهندي^(١١).
- ٣٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل/ للحاكم الحسكاني عبيد الله بن عبد الله، ابي القاسم (من اعلام القرن الخامس)^(١٢) وقد مر له كتاب (خصائص امير المؤمنين (برقم ٢٦)).
- ٣٨- العترة الطاهرة في الكتاب العزيز/ للشيخ عبد الحسين بن احمد الاميني النجفي صاحب (الغدير)^(١٣).
- ٣٩- عين العبرة في غيب العترة/ للسيد ابن طاووس، احمد بن موسى الحلبي (ت ٦٧٣هـ)^(١٤).
- ٤٠- اللوامع النورانية في اسماء امير المؤمنين/X/ القرآنية/ للسيد هاشم بن سليمان التوبلي، المحدث البحراني (ت ١١٠٧هـ)^(١٥).
- ٤١- ما نزل في الخمسة (اصحاب الكساء)/ لعبد العزيز بن يحيى، ابي احمد الجلودي البصري (ت ٣٣٢هـ)^(١٦).
- ٤٢- ما نزل من القرآن في اعداء آل محمد / لمؤلف مجهول^(١٧).
- ٤٣- ما نزل من القرآن في اهل البيت/ لأبن الحجام، محمد بن العباس، بن علي بن مروان، ابي عبد الله البزاز^(١٨).

- (٤) ذكر السيد احمد الحسيني/ احد العلماء انه رآه عند ابن المؤلف في العراق.
- (٥) الطهراني/ الذريعة ٨/ ٦٤ - ٦٥.
- (٦) المصدر نفسه ٨/ ٦٥.
- (٧) المصدر نفسه/ ١٠/ ٣٣، وقد ذكر ابن طاووس في (سعد السعود).
- (٨) المصدر نفسه ١٠/ ٣٦.
- (٩) علي شواخ اسحاق/ معجم مصنفات القرآن ١/ ١٣١، قال عنه: (طبع في الرياض، دار اللواء للنشر، التوزيع (٨ جزء)).
- (١٠) الطهراني/ الذريعة ١١/ ٢٥٥، قال عنه: طبع بلكهنو الهند عام ١٢٧٨م.
- (١١) موجود في مكتبة المرعشي النجفي بقم.
- (١) طبع وحقق من قبل محمد باقر المحمودي في بيروت.
- (٢) الاميني/ الغدير ٢/ ٥٥.
- (٣) مطبوع في النجف ومتداول.
- (٤) طبع في قم عام ١٣٩٤هـ.
- (٥) الطهراني/ الذريعة ١٩/ ٣٠، النجاشي/ الرجال ١٨٠.
- (٦) المصدر نفسه ١٩/ ٢٨ من ابن شهد اشوب.
- (٧) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٦، و(١٩/ ٢٩)، نقل عنه ابن طاووس في (سعد السعود) و (اليقين) ص ٧٩ باب ٩٨، وكذلك نقل عنه السيد شرف الدين في (تأويل الآيات) كثيراً.

- ٤٤- ما نزل من القرآن في اعداد اهل البيت^(٨).
- ٤٥- ما نزل من القرآن في شيعة اهل البيت^(٩).
- ٤٦- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لأبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال، ابي اسحاق الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)^(١٠).
- ٤٧- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لأحمد بن عبد الله الحافظ، ابي نعيم الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ)^(١١).
- ٤٨- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لعلي بن الحسين، ابي الفرج الاصفهاني، صاحب (الاجاني) (ت ٣٥٦هـ)^(١٢).
- ٤٩- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لمحمد بن احمد بن عبد الله بن اسماعيل، ابي بكر الكاتب البغدادي، المعروف بـ (ابن ابي الثلج) (ت ٣٢٥) ويسمى ايضاً (التنزيل، وقد مر له كتاب) (اسماء امير المؤمنين في القرآن) (برقم ١٠)^(١).
- ٥٠- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لمحمد بن اورمة، ابي جعفر القمي^(٢).
- ٥١- ما نزل من القرآن في امير المؤمنين X / لمحمد بن عمران، ابي عبيد الله، المرزباني، الخراساني، البغدادي (ت ٣٧٨هـ)^(٣).
- ٥٢- ما نزل من القرآن في الحسين بن علي I / لمحمد بن احمد ابن يحيى بن عمران الاشعري، ابو جعفر صاحب كتاب (النوادر)^(٤).
- ٥٣- ما نزل من القرآن في صاحب الزمان (عج) / لاحمد بن محمد بن عبيد الله، ابي عبد الله الجوهري (ت ٤٠١هـ)^(١١).
- ٥٤- ما نزل من القرآن في علي X / للحسين بن الحكم بن مسلم الحبري، ابي عبد الله الكوفي (ت ٢٨٦هـ)^(١٢).
- ٥٥- ما نزل في علي من القرآن / لعبد العزيز يحيى الجلودي ، ابي احمد البصري (ت ٣٣٢هـ)^(١٣)، وقد مر له (برقم ٤١) (ما نزل في الخمسة).
- ٥٦- ما نزل من القرآن في علي X / لهارون بن عمر بن عبد العزيز، ابي موسى المجاشعي^(١٤).
- ٥٧- مجمع الأنوار - أو - آية التطهير وحديث الكساء / للسيد حسين الموسوي الكرمانى^(١٥).
- ٥٨- المحجة في ما نزل في الحجة / للسيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)^(١٦).

-
- (٨) المصدر نفسه ٣ / ٣٠٦.
- (٩) المصدر نفسه ٣ / ٣٠٦.
- (١٠) المصدر نفسه ١٩ / ٢٨، النجاشي / الرجال ١٢.
- (١١) الطهراني / الذريعة ١٩ / ٢٨.
- (١٢) المصدر نفسه ١٩ / ٢٨.
- (١) المصدر نفسه ١٩ / ٢٨ وأنظر ٤ / ٤٥٤.
- (٢) المصدر نفسه ١٩ / ٢٩، النجاشي / الرجال ٢٠٣.
- (٣) المصدر نفسه ١٩ / ٢٩، المازندراني / معالم العلماء ١١٨.
- (٤) ابن النديم / الفهرست ٧٧.
- (١١) الطهراني / الذريعة، ٣٠ / ١٩، النجاشي / الرجال، ٦٧.
- (١٢) حقه السيد محمد رضا الحسيني، طبع مرتان، مرة في بغداد / مطبعة اسعد عام ١٣٩٨، طبعة أولى، وطبع ثانية باسم تفسير الحبري في بيروت، مؤسسة آل البيت I لإحياء التراث.
- (١٣) الطهراني / الذريعة ١٩ / ٢٨، النجاشي / الرجال، ١٨٠.
- (١٤) المصدران السابقان، ١٩ / ٢٩ و ٣٤٢.
- (١٥) متداول، طبع في قم، المطبعة العلمية، عام ١٣٩١هـ.

- ٥٩- مختصر شواهد التنزيل / اختصره القاضي اسماعيل بن الحسيني جفمان الخولاني الصنعاني (ت ١٢٥٦هـ) (١٧).
- ٦٠- المصابيح في ذكر من القرآن في أهل البيت Γ / لأحمد بن الحسن ، ابي العباس الاسفراييني، المفسر الضريير (١٨).
- ٦١- المصابيح في ما نزل من القرآن في أهل البيت Γ / لاحمد بن جعفر ابن محمد بن ابراهيم القلوي الخيري (ت ٣٧٦هـ) (١٩).
- ٦٢- المهدي الموعود في القرآن الكريم / للسيد محمد حسين الرضوي بن السيد علي بن العلم الحجة السيد مرتضى الكشميري النجفي (٢٠).
- ٦٣- نصائح أهل العدوان / للسيد محمد مرتضى الحسيني الجفوري (ت ١٣٣٣هـ) (٢١).
- ٦٤- النص الجلي في اربعين آية في شأن علي X / للملة حسين بن باقر البروجردي (٢٢).
- ٦٥- نزول القرآن في شأن امير المؤمنين X / لمحمد بن مؤمن ابو بكر الشيرازي (٢٣).

ج - المؤلفات الحديثة :

- أما اهم ما الف في زماننا الحاضر في اسباب النزول فكان:
- ١- اسباب النزول: مصادرهما ومناهجها/ للدكتور حماد عبد الخالق حلوة (٢٤).
- ٢- اسباب النزول واثرها في التفسير / رسالة ماجستير / للشيخ عصام بن عبد المحسن الحميدات مقدمة الى كلية اصول الدين بالرياض (٢٥).
- ٣- علم اسباب النزول واهميته في تفسير القرآن / لخالد خليفة السعد (٢٦).
- ٤- مباحث في علوم القرآن (علم اسباب النزول)/ لوسيلة سعيد بن بلعيد بن حمدة (٢٧).
- ٥- اسباب النزول - دراسة وتحليل / لعبد الرحيم فارس ابو علبه (٢٨).
- ٦- اسباب النزول في ضوء روايات اهل البيت Γ اعداد السيد مجيب جواد جعفر الرفيعي (٢٩).
- وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

-
- (16) طبع في بيرت بتحقيق منير الميلاني.
- (17) موجود في المتحف البريطاني مع مؤلفات أخرى له برقم (3898 or).
- (18) النجاشي / الرجال ٧٣ ، وقد قال عنه: كتاب حسن كثير الفوائد.
- (19) محمد طه نجف / اتقان المقال، ١٥٩.
- (20) مطبوع ومتداول.
- (21) الطهراني / الذريعة ، ٢٤ / ١٦٨.
- (22) المصدر السابق ، ١٧٢/٢٤ طبع عام (١٣٢٠).
- (23) المازندراني / معالم العلماء ١١٨.
- (24) ملتقى اهل التفسير موقع على الانترنت www.tafsir.net وقد وردت هذه القائمة بعد سؤال احد المشتركين عن ما هو افضل ما كتب في اسباب النزول في عصرنا هذا.
- (25) المصدر نفسه.
- (26)
- (27) المصدر نفسه/ وقد طبع في دار الحكمة البحري - المنامة ١٩٩٨ م.
- (28) المصدر نفسه.
- (29) الكتاب متداول، مطبوع في قم = مطبعة شريعت ط ١ ، ١٤٢١ هـ.

التمهيد

(اسباب النزول تعريفًا ومضمونًا)

المبحث الاول:التعريف بأسباب النزول .

أ- أسباب النزول لغة.

ب- أسباب النزول إصطلاحا .

المبحث الثاني:موقع أسباب النزول من علوم القرآن .

المبحث الثالث:العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

المبحث الرابع:وظائف أسباب النزول .

أ- وظيفة تفسيرية .

ب- وظيفة تاريخية (زمانية ومكانية) .

المبحث الاول:

التعريف بأسباب النزول :

أسباب النزول : (حدود العنوان) :

١- لغة:

أ- الأسباب : جمع سبب ، والسبب لغة - : الحبل وما يتوصل به إلى غيره ، جمعُه أسباب ^(٣٠) . وقيل : السبب الحبل يشد بالشيء فيجذب به ، ثم جعل كل ما جرَّ شيئاً سبباً ^(٣١) . ومثله ما ذكر من أن معنى السبب : الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً ، قال تعالى (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

(30) الفيروزي آبادي ، القاموس المحيط ، باب السين فصل الباء ، ٨١/١ .

(31) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٩١ .

سَبَبًا (٨٤) قَاتَبَعَ سَبَبًا (٨٥)) (٣٢)، ومعناه أن الله آتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها فاتبع واحدا من تلك الأسباب (٣٣).

وفي الحديث : (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب ، فجعل لكل شيء سبباً . وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً) (٣٤).

ب- النزول: الحلول ، نزلهم وبهم وعليهم ينزل ونزولا ومنزلا : حل (٣٥) وهو في الأصل الانحطاط من علو يقال : نزل عن دابته ، ونزل مكان كذا : حط رحله فيه وانزله غيره ، قال تعالى : (أنزلني مُنزلاً مُباركاً وأنتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩)) (٣٦) ،... وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق وإعطاءهم إياها ، وذلك بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن ، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك . قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ...) (٣٧) وقال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦)) (٣٨) (٣٩).

وعلى ما لهاتين الكلمتين من معنى لغوي يصير المعنى المركب الإضافي منهما : الوسائل التي توصل المنزل المعهود - وهو الكتاب المجيد - من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه المصطفى محمد 3 .
أو أسباب نزول بعض آياته الشريفة أو آية من آياته الكريمة .

٢- المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للمركب الإضافي (أسباب النزول) هو كونه اسماً لعلم من (علوم القرآن) .
و (المعروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن (علوم القرآن)) أن أول عهد ظهر فيه هذا الاصطلاح أي اصطلاح علوم القرآن هو القرن السابع (٤٠)، على الرغم من وجود كتاب مخطوط في دار الكتب المصرية منسوب لعلی بن ابراهيم بن سعيد المشهور بالحوافي (ت ٣٣٠ هـ) اسمه (البرهان في علوم القرآن) (٤١).
على الرغم من وجود كتاب ألفه ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) اسمه : (فنون الألفان في علوم القرآن) ، وهو مخطوط أيضاً بدار الكتب المصرية (٤٢).

ولم يعلم أن أحداً قبل المئة الرابعة للهجرة ألف في (علوم القرآن) بالمعنى الاصطلاحي المدون فيه ، ولكن هذا لا يمنع من القول : أن محتويات علوم القرآن كانت لدى المبرزين من علماء الأمة الإسلامية وروادها .
فمما يُروى أن الشافعي قال للرشيد : (أن علوم القرآن كثيرة ، فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه ، أو عن تقديمه وتأخيرها ، أو عن ناسخه ومنسوخه ، أو عن أو عن ...) (٤٣).

وهذه العناوين التي سردها هي موضوعات ومصاديق علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي ، البالغة أنواعها على سبيل الإجمال والإدماج - كما جاء في كتاب (الإتيقان في علوم القرآن) للسيوطي ، المؤلف سنة ٨٧٢ هـ - ثمانين علماً .

والذي قال فيه بعد أن سرد أنواع هذه العلوم : (ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة) (٤٤).

إذن علوم القرآن بالمعنى المدون الذي هو كالفهرس لعلوم القرآن الكثيرة - المشتملة حتى على التفسير

(32) الكهف ، ٨٤-٨٥.

(33) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٩١.

(34) فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين ، ٧٩/٢-٨٠.

(35) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٥٦/٤ مادة نزل .

(36) المؤمنون ، ٢٩.

(37) الحديد ، ٢٥.

(38) الأعراف ، ٢٦.

(39) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٧٩٩ مادة نزل .

(40) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ٣٤/١.

(41) المصدر السابق ، ٣٤-٣٥.

(42) المصدر السابق ، ٣٣/١.

(43) محمد عبد العظيم الزرقاني ، المناهل ، ٣٣.

(44) السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ، ١٧/١-١٨.

والحديث والأمثال والإعراب والرسم والناسخ والمنسوخ وغيرها - لم يعرف لها مدون قبل البرهان للحوفي^(٤٥). لكن هل التدوين من المقومات لإضفاء اسم العلم على مجموعة المسائل النظرية التي يجمع موضوعاتها موضوع واحد ، أو تحقيق بمجموعها غرضاً واحداً ؟ إن كان التدوين شرطاً فتسميته محل البحث من علوم القرآن (أسباب النزول) يمكن أن يراد منه :

أ- معنى الأسباب اصطلاحاً:

الأسباب : جمع سبب ، وبالسبب قد يراد منه المعنى اللغوي^(٤٦) ، كما يمكن أن يراد بالسبب معناه الفلسفي باعتبار تأخر زمن التدوين عن زمن بداية ترجمة الفلسفة اليونانية بمصطلحاتها - ومنها مصطلح السبب والعلة - في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وتحديدًا أبان خلافة المأمون العباسي . فقد جاء في (الموسوعة الفلسفية) التي ألفها جمع من العلماء الأكاديميين والسوفيائيين ، في بيان معنى

السببية (العلية) قولهم :

(السببية "العلية" مقوله فلسفية تدل على الروابط الضرورية بين الظواهر التي تحتّم الواحدة منها - وتسمى السبب أو العلة - الظاهرة الأخرى التي تسمى بالسبب أو المعلول أو الأثر . وهناك اختلاف بين السبب الكامل والسبب المحدد)^(٤٧).

وإذا ما استحضرنّا المعنى اللغوي - الذي ذكرناه في الهامش رقم (٤) من الصفحة السابقة - للسبب ، وانه الوسيلة التي توصل إلى أمر ما ، نجد أن المعنى الفلسفي في المصطلح الفلسفي الذي نقلناه عن الموسوعة الفلسفية لا يختلف عنه ، فالوسيلة التي توصل إلى أمر ما - وهو المعنى اللغوي للسبب ، هي الرابط بين الفاعل وفعله ، سواء أكان الفاعل مريداً مختاراً أم فاعلاً موجباً ، فالهواء إذا ارتفعت سرعته إلى حد تهديم البيوت أو قلع الأشجار تكون السرعة للهواء هي السبب بمعنى الوسيلة التي تهدمت بها البيوت ، ويمكننا القول بأنها السبب والعلة بمعنى الرابط بين الهواء وانهدام الدور . غاية الأمر أن هذه العلة ناقصة أو غير تامة ؛ لان العلة التامة ما تكونت من أربعة مقومات : (فاعلية ومادية وصورية وغائية) كل مقوم منها علة ناقصة ، والمجموع علة تامة: ويمكننا القول باعتبار آخر : مقومات العلة الثلاثة : (مقتضى ، وشرط ، وعدم مانع) وكل واحد منها جزء علة أو جزء سبب ، ولكن يقال له أيضاً سبب ناقص^(٤٨) . وعلى هذا لا داعي لما تكلفه محقق تفسير الحبري محمد رضا الجلالى الذي عرفها بالقول : (هي القضايا والحوادث التي وردت الآيات من أجلها وفي شأنها ، أو نزلت مبيّنة لحكم ورد فيها ، أو نزلت جواباً عن سؤال مطروح)^(٤٩) . وهذا التعريف قد اختاره فيما إذا عرف معنى السبب بأنه العلة الموجبة لوجود الشيء ثم عَقِبَ ذلك بإعراضه عن هذا التعريف لسببين :

الأول: أن هذا المعنى بعيد أن يقصده علماء الإسلام وخاصة في مجال علوم القرآن ، لان السبب بهذا المعنى اصطلاح فلسفي لم يتداوله المسلمون إلا في القرون المتأخرة ، وعلى هذا فلا بد من حمل كلمة (سبب) على معناه اللغوي ، وهو (ما يتوصل به إلى أمر) وهذا يعمم ما فيه سببية بالمصطلح الفلسفي ، أو يكون مرتبطاً به بشكل من الإشكال ، فسبب النزول هو (كل ما يتصل بالآية من القضايا والحوادث والشؤون ، سواء كانت علة نزلت الآية من أجلها ، أو لم تكن كذلك ، بل ارتبطت بالنزول ولو بنحو الظرفية والمكانية أو الزمانية أو الاقتران ، وما شابه ذلك .

الثاني: إن ملاحظة ما ذكره المفسرون وعلماء القرآن من أسباب نزول الآيات تدلنا بوضوح على أن مرادهم به ليس هو خصوص ما كان سبباً بالمصطلح الفلسفي ، بان يكون علة نزلت الآية من أجله ، وإنما يذكرون تحت عنوان ، سبب النزول كل القضايا التي كان النزول في إطارها ، وما يرتبط بنزول الآيات بنحو مؤثر في دلالتها ومعناها ، بما في ذلك الزمان والمكان ، وإن لم يتقيد ذلك حتى بالزمان والمكان ، ولذلك فإن سبب النزول يصدق على ما يخالف زمان النزول بالمضي والاستقبال^(٥٠).

(45) محمد عبد العظيم الزرقاني ، المناهل ، ٣٤-٣٥.

(46) وهو ما ذكرناه عن كتب اللغة العربية في الصفحات السابقة ، بمعنى الوسيلة التي توصل إلى أمر ما ، مادية كانت أو معنوية .

(47) جمع من العلماء الأكاديميين السوفيائيين ، الموسوعة الفلسفية ترجمة : سمير كرم ، ص ٨٥.

(48) محاضرات ألقاها الشيخ احمد كاظم البهادلي على الطالبة لتوضيح ما أشكله محمد رضا الحسيني عند تعريفه (أسباب النزول) .

(49) مقدمة تفسير الحبري لمحققه محمد رضا الحسيني ، ١١٠-١١١.

(50) مقدمة تفسير الحبري ، تحقيق محمد رضا الحسيني ، ١١٠-١١١.

هذا ما ذكره السيد الحسيني الذي نقض ما استظهره أولا من (أن الظاهر من كلمة (سبب) هو العلة الموجبة لوجود الشيء) وعليه نقول: إن كلا الوجهين غير مستقيم ؛ لأن تداول المصطلح الفلسفي ليس في القرون المتأخرة عن علم أسباب نزول القرآن الكريم ، وإنما ترجمت الفلسفة قبل بروز علم أسباب نزول القرآن بكثير ، وإن المقصود بمفردات هذا العلم هو معنى واحد هو الوسيلة والسبب الذي انضم إلى أمور أخرى للاشتراك في السببية التامة لنزول الآية والله اعلم .

ب- النزول :

المقصود بالنزول - ههنا - هو نزول القرآن الكريم أو بعض آياته الشريفة على النبي محمد 3 وقد وردت آيات عدة في استعمال كلمة النزول وما تصرف منها في الكتاب العزيز، منها قوله تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) ^(٥١).

كما وردت أحاديث عدة أيضا بهذا المعنى والاستعمال ، منها ما روي عن أبي عبد الله A بعد أن سأله أحد الصحابة قائلاً : (أن الناس يقولون : أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال : (كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد) ^(٥٢).

ومنها أيضا ما رواه الترمذي حول الموضوع نفسه قال : قال النبي 3 (أن القرآن انزل على سبعة أحرف فافقروا ما تيسر) ^(٥٣). ومن معانيه اللغوية - كما أسلفنا - الانحطاط من علو أو الانحدار من علو إلى سفل ، من قبيل قوله تعالى (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) ^(٥٤).

ومن المعلوم بالأدلة القاطعة أن العلو والسفل الماديين المكانيين لا يمكن تطبيقهما على نزول القرآن من الله إلى رسوله . لا استحالة أن يكون الله تعالى في مكان كي يوصف هذا المكان بالعلو أو بغيره . وإنما إنزال القرآن على النبي 3 يناسبه أن يكون بمعنى إعلامه به ، والعلو والدنو بين المنزل والمنزل عليه لما بينهما من التفاوت في المقام والرتبة ^(٥٥).

ج- أسباب النزول اصطلاحاً :

أما أسباب النزول بمعناها الاصطلاحي ، فهي اسم جنس لعلم من علوم القرآن المجيد ويعني هذا الاسم ، بموجب ما أوضحناه مفرديته ، وبما وجدنا مسائله في مدوناته ، (الوسائل التي لها صلة بنزول الآيات القرآنية) ^(٥٦).

أما ما ذكره السيوطي بقوله : (والذي يتحرر من سبب النزول انه ما نزلت الآية أيام وقوعه) ^(٥٧) فهو أضيق مما ذكره آخرون في تحديد هذا العلم .

ولكن نستطيع القول انه: (هو الحادثة أو الواقعة أو المشكلة التي ألجأت إلى نزول شيء من القرآن لتحريره وإعطاءه رأي فيه) ^(٥٨).

(51) الإسراء ، ١٠٥ .

(52) الكليني ، الكافي ٦٣/٢ كتاب فضائل القرآن ح ١٣ .

(53) الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب القراءات ، ٨٢١ .

(54) البقرة ، ٢٢ ، وكذلك سورة الرعد ، ١٩ ، وسورة إبراهيم ، ٣٢ ، سورة النحل ، ٦٥ ، سورة طه ، ٥٣ ، سورة الحج ، ٦٣ ، سورة فاطر ، ٢٧ ، سورة الزمر ، ٢١ ، وغيرها كثير تدل على هذا المعنى .

(55) وهناك آراء أخرى ، أنظرها في مناهل العرفان / الزرقاني ، ٤١/١ .

(56) وانظر أيضا مقدمة تفسير الحبري ، تحقيق محمد رضا الحسيني ، ١١١-١١٦ .

(57) السيوطي ، الإتقان ، ٩٤/١ .

(58) محمد حسين الصغير ، لقاءات مع الطالبة في ٢٠٠٦/٢/٨ .

تنويه:

قبل ختام الحديث عن تعريف اسباب النزول لا بد لنا من الإشارة الى ان هناك خلطا قد وقع عند العوام من الناس – الذين لا يمتلكون معلومات كبيرة عن امثال هكذا مواضيع- وهذا الخلط اساسه ان هناك مصطلحين آخرين غير (اسباب النزول) هما مصطلح: (الجري والانطباق) ومصطلح (علة التشريع) وهذه المصطلحات تبدو في ظاهرها مصطلحا واحدا ولكنها في الحقيقة ثلاثة اشياء مختلفة:

لان سبب النزول – وكما عرفناه- هو الحادثة التي نزلت الآية بسببها. اما الجري والانطباق فنعني به ان حكم الآية منطبق على تلك الحادثة، او ذلك الشخص وهو (مما انفرد به أهل البيت Γ فوضعوا اساسه الخاصة بهم في فهم النص ولهذا التفسير خصوصية علمية ذات بعد مرتبط بالقدرة على استنتاج باطن النص وكشف معانيه كشافا يزيل عنها كل حجب وحدود ظاهر الالفاظ وقيودها لينطلق الى باطن الآية وقدرتها على الشمولية وكسر قيود الزمان والمكان والقدرة على الانطباق على معان متجددة تمثل مصاديق يشملها النص^(٥٩)

وأول من استعمل هذا المصطلح من المحدثين العلامة الطباطبائي في الميزان^(٦٠).

وكثيرا ما وقع الخلط بين سبب النزول والجري والانطباق عند المفسرين.

والجري والانطباق يحصل غالبا في الآيات ذات السبب والأخرى التي نزلت من غير سبب للنزول^(٦١).

(وقد يطلق السبب على ما يعتبر من باب الجري وقبيل الانطباق وليس من الاسباب)^(٦٢). أما علة التشريع فنعني به: (ما شرع الحكم من أجله كعلة الاسكار في تحريم الخمر)^(٦٣)

(59) ستار جبر الأعرجي/ منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ٨٩/٨٨.

(60) تحدث عنه في اماكن متعددة في تفسير الميزان منها في: ٣٤٨/١١، وكذلك في ٨٣/٣ وفي ٥٩/٥-٣٤٠-٣٤١؛ وكذلك في ٦٧/٣ و ٤٤/١.

(61) هاشم الموسوي/ القرآن في مدرسة أهل البيت Γ، ١٥٤.

(62) محمد حسين الصغير / تاريخ القرآن، ٥٦.

(63) هاشم الموسوي / القرآن في مدرسة أهل البيت/ ١٥٤.

المبحث الثاني:

موقع أسباب النزول من علوم القرآن :

مما لا شك فيه الأهمية التي نالتها أسباب النزول عند كافة الفرق والطوائف الإسلامية ؛ وذلك لما (لمعرفة أسباب النزول من أهمية كبرى في تجلية معانيها ، والوقوف على حقيقة تفسيرها ، إذ رب آية من القرآن يعطي ظاهرها دلالات غير مقصودة منها ، فإذا وقعت على مناسبتها وسبب نزولها انحسر عنها سبب اللبس وظهرت فيها حقيقة المعنى ومدى شموله واتساعه)^(٦٤).

ولكن ثمة خلاف وقع بين العلماء مفاده : هل أن أسباب النزول من علوم القرآن؟ أم أنها من تاريخه؟ أم هي لا من هذا ولا ذاك ؟ هذه التساؤلات ولدت ثلاثة مذاهب ذهب إليها العلماء :

١- فريق ذهب إلى القول : أنها من علوم القرآن واحد فنونه وأصحاب هذا المذهب كثيرون منهم الزركشي والسيوطي اللذين كانا رائديه من القدماء ، ومن المحدثين داوود العطار ومحمد باقر الحكيم وعناوين كتبهم توجي

لكن ثمة خلاف وقع بين العلماء مفاده : هل أن أسباب النزول من علوم القرآن؟ أم أنها من تاريخه؟ أم هي لا من هذا ولا ذاك ؟ هذه التساؤلات ولدت ثلاثة مذاهب ذهب إليها العلماء :
(البرهان في علوم القرآن) والسيوطي ألف (الإتيان في علون القرآن وهذا وجعلوا ودرسوا أسباب النزول من ضمنها .

٢- فريق ذهب إلى القول : أنها من تاريخ القرآن وليست من علومه ، والدكتور محمد حسين الصغير (معاصر) من رواد هذا المذهب ومن مؤيديه فهو يقول في ذلك : (والأدق أن نعتبرها من تاريخ القرآن ، لأنها جزء من تاريخه في النزول ، وتحديد ذلك النزول هو ضبط لتاريخ الحادثة في السؤال أو الاستفسار أو التشريع أو القصة... وكل ذلك تاريخ)^(٦٥).

٣- فريق ثالث فضل عدم الإفصاح من ماهية أسباب النزول ، بل اكتفى بالقول : أنها من الأمور التي يجب على المفسر الإمام بها معتبرا إياها من مقدمات تعلم علم التفسير ومن أصحاب هذا الرأي محمد حسين الذهبي (ت ١٩٧٧م) حينما تكلم عن العلوم التي يحتاجها المفسر ، وعدد منها أسباب النزول^(٦٦).

والبحت إذ يورد هذه المذاهب الثلاثة لا يسعه تبني مذهب واحد منها، بل يفضل ضرورة الجمع بين هذه المذاهب ، ولكن كيف يكون ذلك؟

والجواب: إننا إذا اعتبرنا أسباب النزول من علوم القرآن فهذا لا يكون إلا بلحاظ أنها تساعد المفسر على معرفة وفهم ما أشكل فهمه من آيات قرآنية ، وإذا اعتبرناها من تاريخ القرآن فهذا لا يكون أيضا إلا بلحاظ تأثيرها الزماني والمكاني على التفسير ، وإما إذا قلنا بما قاله أصحاب المذهب الثالث فهذا بلحاظ كونها من الأمور التي يجب على المفسر حقيقة الإمام بها ، ولا يكون المفسر مفسراً إلا إذا ألم بها ، وهذا مما لا نقاش فيه والله اعلم .

وموقعها هذا اكسبها أهمية خاصة حدا بعلماء الأمة إلى بذل جهود حثيثة لجمعها وتدوينها في مؤلفات خاصة بها ، لذا فانه من الناحية الفنية نستطيع تقسيمها إلى ثلاث مجاميع :-

١- المؤلفات الشاملة.

٢- المؤلفات المختصة.

٣- المؤلفات الحديثة.

وسنحاول الحديث عن كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاثة باختصار تاركين تفاصيل ما ألف في كل مجموعة منها إلى صفحة (الملاحق) في نهاية هذه الرسالة والله الموفق .

(64) الدكتور البوطي ، من روائع القرآن ، ٤٠ .

(65) محمد حسين الصغير ، تاريخ القرآن ٥٥-٥٦ .

(66) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ٢٦٥/١-٢٦٩ .

١- المؤلفات الشاملة :

وقد وقع السيوطي على عدد منها فقال (وافرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي)^(٦٧) .
وقد اعتبر أشهرها كتاب (أسباب النزول) للواحي الذي نال فيه المؤلف والكتاب من الشهرة ما لم ينله غيره لا لأنه الأوحى في هذا المجال (فان مؤلفين كثيرين قد سبقوه في هذا الميدان إلا أنهم لم ينالوا شهرته ، ولم يصلوا إلى شأوه لا لأنه فاقهم بمؤلفه المشهور علما ومعرفة بل لان كتبهم لم تصل إلينا)^(٦٨) .
وأنت تطلع على قائمة المؤلفات في هذا الباب يصبح معلوما لديك تاريخ الكتابة في أسباب النزول وكيف أنها كانت منفصلة عن علم التفسير حيث بدأت مرحلة مبكرة من تاريخ التدوين ، فهذا ابن النديم في فهرسه يشير إلى أن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) له كتاب بعنوان (نزول القرآن) وكذلك كتاب بالاسم نفسه للحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وكتاب آخر لابن شهاب الزهري محمد بن مسلم (ت ١٢٤ هـ) واسمه (تنزيل القرآن)^(٦٩) .
وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن ما ادعاه السيوطي من أن أول من كتب بأسباب النزول هو علي بن المديني (ت ٢٣٤ هـ) ادعاء عار من الصحة .

٢- المؤلفات المختصة :

ذكر السيوطي في إتقانه بابا (النوع الحادي والسبعين) سماه باب (من نزل فيهم القرآن) وقال عنه (رأيت فيه تاليفا مفردا لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك)^(٧٠) .
وقد بذل العلماء الأعلام جهودا لا تنكر في جمع أمثال هكذا روايات يعتقد أنها نزلت في أشخاص معينين وقد كثر القول والقليل في مثل هكذا نوع من الآيات والتي يدعى أنها نزلت في شخص بعينه ، فدخل فيها الوضع والدس فأخذت كل فرقة تحاول ولأغراض سياسية أن ترفع من شأن رجالها ورموزها لتدعي أنهم ممن نزل به قرآنًا وأنه وأنه إلى غير ذلك من الادعاءات فكثرت عند ذلك المؤلفات ، لذا لا يستطيع أحد أن يدعي انه قد جمع كل ما قد ألف من هذا النوع ، وعندنا يعد كتاب (شواهد التنزيل) للحسكاني أشهر هذه الكتب فقد جمع فيه الآيات النازلة في فضل أمير المؤمنين A وأهل بيته Γ .

٣- المؤلفات الحديثة:

أما المؤلفات الحديثة فقياسا لما ألف من كتب مختصة وأخرى شاملة ، يعد قليلا ، فقد انخفض العدد فيها إلى اقل من القليل وان كان البعض منها لا يستحق أن يطلق عليه مؤلف ؛ وذلك لان المحدثين انصبت جهودهم فقط على جمع ونقل ما قاله الأوائل ، واقتباسه اقتباسا من كلا القسمين السابقين - المؤلفات الشاملة والمختصة- وقسم منهم عمد إلى القيام بتحريف ما نقله المتقدمون ، إما عن قصد منه وسوء نية (إذ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ)^(٧١) ، او عن عدم فهم لما قرأوه في كتبهم ، وقسم ثالث قام بنقل اخطاء الأوائل دون مناقشة ولا تمحيص من باب (بَلْ تَتَّبِعْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)^(٧٢) . علما أن هذا قد صدر منهم في عصر تطور العقل البشري ورفضه للكثير من الأمور التي عدت خرافية فيما مضى وللأسف الشديد فان هذا النقل الحرفي المحرف المنحرف عن الأولين قد تسبب في تشويه معالم (أسباب النزول)^(٧٣) تلك بيد أن هذا العلم لو اخذ كما انزل لقدم للقرآن خدمة عظيمة في شتى علومه من ناسخ ومنسوخ ومكي ومدني .

يقول العلامة الدكتور محمد حسين الصغير (والحق أن تعيين أسباب النزول يعين كثيرا على معرفة المكي والمدني في وجه من الوجود لارتباطه بالأحداث التاريخية والأشخاص ولكن اغلب ذلك في الآيات لا في السور والمرويات فيه متضاربة متعارضة)^(٧٤) .

ولكن نقلهم الأعمى هذا عاد بالضرر على هذا العلم ، والذي يدمي القلب أن أمثال هذه الكتب قد وجدت طريقها إلى المطابع ، بينما صار تراث الأمة مخبوءا في متاحف الأوربيين ، يلعب به المستشرقون ، يفسرونه

(67) السيوطي الإتقان ، ٨٧ / ١ .

(68) ابتسام مرهون الصفار ، معجم الدراسات القرآنية ، ١٣ .

(69) المصدر السابق ، ١٣ .

(70) السيوطي ، الإتقان ، ٢ : ٤٠٣ .

(71) النساء ، ١٠٨ .

(72) لقمان ، ٢١ .

(73) ظ : محمد رضا الحسيني ، تفسير الحبري ، المقدمة ، ١٥٢ .

(74) محمد حسين الصغير ، تاريخ القرآن ، ٥٦ .

كيف شاءوا ويؤولونه كما يحلو (لجو لدتسهير)^(٧٥).
هذا بالنسبة للمؤلفات المفردة في اسباب النزول ، أما ما كتب عن أسباب النزول في كتب علوم القرآن ، فكانت كثيرة وأهمها (البرهان في علوم القرآن) للزركشي و (الإتيان في علوم القرآن) للسيوطي .
أما ما كتب عن أسباب النزول في مقدمات تفاسير المفسرين فكثير لا يعد ولا يحصى ولا يكاد يخلو تفسير منها ، ومع هذه الكثرة إلا أنها إذا ما قيس مع ما كتب عن العلوم القرآنية الأخرى يعد قليلا وهذا عائد - على ما يعتقد البحث - إلى طبيعة الموضوع نفسه ، وذلك لأن أغلب من كتب عن أسباب النزول اشترط فيه سماع الصحابي عن رسول الله 3 مباشرة أو ممن شاهدوا التنزيل ، وهذا بطبعه أدى إلى ضرورة غربلة تلك الروايات والمقارنة فيما بينها، ونقدها وتمحيصها ، وترجيح رواية على أخرى لأن مفسر ما إذا تبنى رواية ما ورجحها على غيرها ثم تبين له فيما بعد عدم مصداقية هذه الرواية ، فسيعرض نفسه للنقد والتجريح ، وعدم ثقة الآخرين به ، لذا فإن مصادر الرواية في أسباب النزول (قد تشدد العلماء على الأخذ بها باعتبار أنها ليس فيها رأي إجتهادي أو عقلي بل أن العملية كلها لا تعدوا أن تكون عملية سماعية أي (نقل ورواية)^(٧٦) .
كذلك يجب علينا أن نميز الصحابة الذين عاشوا هذه الأحداث عن كثر وشاهدوا تفاصيلها وبين الآخرين الذين اعتمدوا في نقلهم لها على الشائعات والأقاويل ، الأمر الذي قد يؤدي في أغلب الأحيان إلى التباس في نقل الخصوصيات والتفصيلات.
لذا يمكن تقسيم مصادر الرواية الى:

-
- (75) جولد تسهر او (زيهر) كما يسميه البعض (١٨٥٠ - ١٩٢١م) هو مستشرق يهودي مجري الأصل ، وله كتاب باسم (مذاهب التفسير الإسلامي افرغ فيه سمومه النافعة وهو ما كان يهدف إليه) نصوص في علوم القرآن ، علي الموسوي الدرابي ، ١٧/١ .
(76) حكمت عبيد الخفاجي، الإمام الباقر A واثره في التفسير ، ٢٣٤ .

١- عصر الصحابة الكرام :

فقد اهتم الرعيل الأول من الصحابة بأسباب النزول ، وان كان بعضهم قد أعلن عن تحرجه في القول بأسباب النزول أمام الملاء ، خوفاً من أيراد رواية ضعيفة او مطعون بها ، زيادة منه في الحرج الديني .
وابرز من روى علمه بأسباب النزول وروى عنه :

١- عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ):

وكان ابن عباس عالماً بجميع علوم القرآن ، وخصوصاً أسباب النزول وكان أمير المؤمنين A يثني على تفسير ابن عباس ويقول: (كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) وقال ابن عباس : ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب A^(٧٧).

ومن نماذج علمه بأسباب النزول : ما رواه الطبرسي عن ابن عباس (رض) في سبب نزول الآية الكريمة (وَأَخْرُوجُوا عَنْكُمْ أَمْثِلُهُمْ خُلُوعًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ((١٠٢))^(٧٨).

قال عن سبب نزولها : أن عشرة رهط تخلفوا عن النبي 3 في غزوة تبوك وقد أوثق سبعة منهم أنفسهم بجوار المسجد وكان ممر رسول الله 3 عليهم فسأل عنهم 3 قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك تطلقهم وتعذرهم فقال الرسول 3: (لا أطلقهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم) ولما بلغهم ذلك قالوا : لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا)
فنزلت الآية الكريمة^(٧٩).

وغيره ، كثير والذي يدل على أحاطته (رض) علماً بأسباب النزول^(٨٠).

ليس هذا فقط بل وصل الحد بالسيوطي إلى القول: أن ابن عباس كان يعرف حتى الحضري من السفري والليلي من النهاري^(٨١).

ولكن الشيء الذي ينبغي أن يحتاط منه أن الرواية عن ابن عباس (غير مرضية ورواتها مجاهيل)^(٨٢)، أضف إلى ذلك الرواية عن ابن عباس من السنة النبوية (قليلة جدا ولعل هذا يعود إلى صغر سنه (رض) يوم وفاة الرسول 3^(٨٣)، فتفسير الطبري مثلاً على ضخامته لا يضم من روايات ابن عباس المرفوعة إلى النبي 3 إلا بضع آيات تكاد تكون محصورة بأسباب النزول^(٨٤).

٢- عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ):

فقد روى البخاري قوله 3 : خذوا القرآن عن أربعة عبد الله بن مسعود ، وسالم ومعاذ ، وأبي بن كعب^{(٨٥) (!)}.

وقد نقل البخاري أيضاً عن ابن مسعود انه خطب خطبة جاء فيها : (والله لقد علم أصحاب النبي 3 أني من أعلمهم بكتاب الله ، وقال في حديث آخر : والذي لا اله غيره : ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه إلا بل

(77) الزركشي ، البرهان ، ٨/١.

(78) التوبة ، ١٠٢

(79) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان ، ١١ : ١٣.

(80) راجع كل كتب التفسير من كلا الطرفين تجد صوراً من المامه (رض) بأسباب النزول فلا يكاد يخلو تفسير من ذلك.

(81) السيوطي ، الإتيان ، ١ / ١٨٨.

(82) المصدر نفسه ، ١ / ١٨٨.

(83) كان عمره ١٣ عام عند وفاة النبي 3.

(84) هدى جاسم محمد طبرة ، المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم ، ٩٥.

(85) البخاري ، سنن البخاري باب القراء من اصحاب النبي 3 حديث رقم ٤٩٩٩ ، ص ٩٤٥.

(!) هذا الحديث لم يذكر الإمام علي A ، فهل نعقل هكذا حديث عن رسول الله 3 وهو يعلم من علي A !!!.

لركبت إليه^(٨٦).

وان كان هذا الحديث قد روي على غير وجهه ، فقد رواه ابن طاووس في سعد السعود هكذا : قال علقمة : قال ابن مسعود ذات يوم ، وكنا في حلقة : لو علمت أن أحدا هو اعلم مني بكتاب الله عز وجل لضربت إليه أباط الإبل . قال علقمة : فقال رجل من الحلقة : ألقيت عليا ؟ فقال : نعم ، قد لقيتنه ، وأخذت عنه ، واستفدت منه ، وقرأت عليه . وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله 3 ولقد رأيته بحراً يسيل سيلاً^(٨٧).

أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي A بإسناده عن عبيدة السلماني قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لو اعلم احد اعرف بكتاب الله مني تبليغه المطايا فقال له رجل : فأين أنت من علي ؟ قال به بدأت ، أني قرأت عليه^(٨٨).

ومن شواهد علمه بأسباب النزول قيل : أنه قال : (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل... قال فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، قال : وجاء رجل فتصدق بصاع من تمر ، فقالوا ، أن الله لغني عن صاع هذا فنزلت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩))^(٨٩))^(٩٠).

٣- أبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) :

أما الصحابي أبي (رض) فقد كان سيد القراء وأخذ كتاب الوحي وحبراً من أحبار اليهود قبل إسلامه العارفين بأسماء الكتب السماوية مما جعله على مبلغ كبير من العلم ومعرفة آيات الكتاب المجيد ، ولا ننسى كلام أبي الصلاح تقي الدين الحلبي (٣٧٤ - ٤٤٧ هـ) فيه وفي ابن مسعود ، حيث قال : (أبي وابن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول ﷺ ، المتخصصين بهم في العهد الأول بعد وفاة الرسول 3^(٩١) ، وأضاف أن أبيا حاول الاجهار بما يكنه ضميره في أخريات حياته لولا حؤول الموت^(٩٢) .

عن عبد الله بن فرقد والمعلی بن خنيس قالا : كنا عند أبي عبد الله A ومعنا ربيعة الرأي فذكرنا فضل القرآن فقال أبو عبد الله A : إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال ، فقال ربيعة : ضال ؟ : فقال نعم ضال ، ثم قال أبو عبد الله A : أما نحن فنقرأ على قراءة أبي^(٩٣) . وقد كان من العلماء بأسباب النزول ، حتى وصل به الحد أن يحاول معرفة سبب نزول ما لم يكن له إماما به ممن كان مقرباً للنبي 3.

ومن ذلك ما نقله انس بن مالك (ت ٩٣ هـ) وكان خادم الرسول 3 فيما رواه الطبري بسنده عنه قال سألتني أبي بن كعب عن الحجاب^(٩٤) فقلت انا اعلم الناس به ، نزلت في شأن زينب ، أولم النبي 3 عليها بتمر وسويق ، فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ

(86) المصدر السابق من نفس الباب .

(87) ابن طاووس: سعد السعود ، ٥٥٨.

(88) تاريخ ابن عساكر، تاريخ دمشق ترجمة الإمام، ٣: ٢٥-٢٦ رقم ١٠٤٩.

(89) التوبة ، ٧٩.

(90) الطبري ، جامع البيان ، ١٠ : ١٩٦ وكان الذين تصدق بمال كثير هو عبد الرحمن بن عوف ، وصاحب الصالح هو أبو عقيل اخو بني انيق الاراشي حليف بني عمر وابن عوف كما في رواية الطبري في التفسير والجزء .

(91) ابو الصلاح ، تقريب المعارف ١٦٨.

(92) ظ: ابو الصلاح: تقريب المعارف ، ١٦٨ كذلك: التستري : قاموس الرجال ، ١ : ٢٣٧.

(93) الكليني ، الكافي ، ٢/ ٦٣٤ باب فضل القرآن وهذا يدل على ان قراءة ابي بن كعب اصح القراءات عندهم ﷻ.

(94) اعتقد انه كان يقصد انه بسؤاله له عن سبب نزول اية الحجاب .

تَنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)) (٩٥).
فهؤلاء ابرز الصحابة الذين نقلوا لنا اسباب النزول وكانت الرواية على زمانهم تُقبل بجميع الاحوال
وكانوا المصدر الرئيس لها على اعتبار (لا يحل القول في اسباب النزول ، الا بالرواية ، والسماع ممن شاهدوا
الوحي والتنزيل ، ووقفوا على الاسباب) (٩٦).
قال السيوطي : (قال الحاكم في علوم الحديث : اذا اخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن اية
القرآن انها نزلت في كذا فانه حديث مسند) (٩٧).

٢- عصر التابعين (٩٨):

اما عصر التابعين فقد برز فيه عدد من العلماء وقد تحرّج ايضا بعضهم من القول باسباب النزول كما
حصل لمحمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) عندما ساله عبيد السليمان عن سبب نزول اية في القرآن فيقول له: (اتق
الله وقل سدادا فقد ذهب الذين يعلمون فيما انزل القرآن) (٩٩).
ولكن (لا يؤخذ بقول التابعي في هذا المجال الا اذا اعتضدت روايته بمرسل اخر رواه احد ائمة
التفسير الذين ثبت اخذهم عن الصحابة) (١٠٠). وقد برز من هؤلاء قتادة (ت ١١٧ هـ) وعكرمة (ت ١٠٥ هـ)
ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) وسعيد بن جببر ، وسعيد بن المسيب ، والضحاك ، والحسن البصري .
وقد اشترط علماء الحديث لقبول رواية امثال هؤلاء :
١- اذا جاء باثر او رواية فعلية اسنادها الى احد الصحابة حتى تنال القبول والاستحسان .
٢- ان يعزز التابعي روايته بمرسل عن تابعي اخر مثله .
٣- الصحابي الذي اسندت له الرواية يجب ان يكون ممن شاهد التنزيل وعاصرفقرة نزول الوحي .
٤- ان لا يكون لهذا التابعي الناقل للرواية راي فيها (١٠١).
٥- ان تتوفر في التابعي صفات معينة كالضبط والعدالة وان يكون ممن حمدت طرائقه ومدحت مذهبهم ، لا ممن
ذمت مذهبهم وقد اتهم بعض التابعين بالنقل عن اليهود ، في هذا الشأن يقول ابن تيمية : (والاختلاف في التفسير
على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يُعلم بغير ذلك ، والمنقول اما عن المعصوم او غيره ، ومنه ما
يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن فما كان منها منقولا نقلا صحيحا عن النبي 3 قُبِلَ ، وما
لا - بان نقل عن اهل الكتاب ككعب ووهب - وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله 3 (اذا حدثكم اهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم) (١٠٢) وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه اخذه من اهل الكتاب ، فمتى اختلف
التابعون لم يكن بعض اقوالهم حجة على بعض ، وما نقل عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه اسكن ممن نقل
عن التابعين لان احتمال ان يكون سمعه من النبي 3 او من بعض من سمعه منه اقوى ، ولان نقل الصحابة عن
اهل الكتاب اقل من نقل التابعين (١٠٣) فممن حمدت طرائقه :

١- سعيد بن جببر (ت ٩٥ هـ):

قتله طاغية عصره الحجاج بن يوسف الثقفي صبورا وهو ابن (٤٩) عاما من الموالين لال البيت F ، فقد روى
ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي باسناده الى الامام ابي عبد الله الصادق A قال : ان سعيد بن جببر

(95) الاحزاب ، ٥٢.

(96) الواحدي ، اسباب النزول ، ٣.

(97) السيوطي ، الاتقان ، ٣١.

(98) التابعون في اللغة (جمعها تابع ، يقال تبع الشيء سار في اثره وتبعه مشى خلفه وانقاد
اليه واتبعه : الحقه والتابع هو التالي (لسان العرب ابن منظور ، مادة تبع) اما في الاصطلاح
: فمعناها : كل من لم يدرك العصر النبوي ولقي احد الصحابة (رض) وروى عنه ، ومات على
الاسلام

(جامع البيان الطبري ، ٩٦/٢٨) .

(99) الواحدي ، اسباب النزول ، ٤.

(100) حكمت عبيد الخفاجي ، الامام الباقر A واثره في التفسير ، ٢٣٥.

(101) ظ : المصدر السابق ، ٢٣٥.

(102) البخاري : سنن البخاري ، ص ١٣٣١ ح ٧٣٦٢.

(103) السيوطي ، الاتقان ، ٤/٢٠٤-٢٠٥.

كان ياتم بعلي بن الحسين A وكان علي A يثني عليه ، وماكان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر وكان مستقيما (١٠٤).

وفي مصنفات اصحابنا الامامية عنه وصف جميل (١٠٥) وقد اخذ الرواية عن ابن عباس حيث لازمه في طلب العلم وقد اجازاه ابن عباس في التحديث قال له : حدث، فقال - متحاشيا-: احدث وانت ها هنا ؟! . وفي رواية -وانت موجود- ؟! فقال ابن عباس : ليس من نعم الله عليك ان تحدث وانا شاهد ؟! فان اصبحت فذاك، وان اخطأت علمتك (١٠٦). ولذا كانت الرواية التي تنقل عنه غالبا ما تكون عن ابن عباس عنه (رض).

فمثلا عندما سئل عن سبب نزول قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦)) (١٠٧).

نقل الرواية عن ابن عباس قائلا : (نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالوا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به) (١٠٨).
وغيرها من الروايات التي تدل على علميته التي شهد له بها حتى احمد بن حنبل!! حيث قال : قتل الحجاج سعيد بن جببر ، وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه (١٠٩).

٢- سعيد بن المسيب (١٥ - ٩٥ هـ):

وكان من خيرة التابعين وهو ممن رباهم امير المؤمنين A في حجره بوصية من جده (خزن) فقد نشأ وترعرع في اهل بيت العلم والورع والطهارة كما اصبحت من خالص اصحاب الامام علي بن الحيسن زين العابدين A حتى قال عنه A (سعيد بن المسيب اعلم الناس بما تقدمه من الآثار وافهمهم - او افقههم - في زمانه) (١١٠).
وقد عجت كتب التفسير في الروايات المنقولة عنه في اسباب نزول بعض الايات القرآنية منها ما نقله عن سبب نزول قوله تعالى (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)) (١١١).

فقد ذكر ان سبب نزولها : قال كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثره وان شئت تركتك قالت : بل راجعني واصبر على الاثره فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الاية ، وهذا مروى ايضا عن ابي جعفر A (١١٢).

٣- عصر تابعي التابعين :

وجاء بعدهم تابعوا التابعين وهؤلاء ممن لقي التابعين واخذ عنهم (والاصل فيهم ان لا يؤخذ الا كما يؤخذ الحديث المسند مع شروط الاسناد عند الصحابة والتابعين ، وذلك لوجود فترة زمنية بعيدة جدا بينهم وبين اسباب النزول) (١١٣).
اما اهل البيت X فنحن نتحدث عن دورهم هذا بمعزل عن الصحابة والتابعين او تابعيهم، وذلك لأنه

(104) الكشي : رجال الكشي ، ١١٠/١ ، برقم ٥٥.

(105) الامين العاملي ، اعيان الشيعة ، ٣٤/٢٣٤-٣٢٦ برقم ٧٠٦٤.

(106) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٢/٢ برقم ٢٤٧.

(107) التوبة ، ٧٥-٧٦.

(108) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٩٣/٥-٩٤.

(109) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١١٦/٢ برقم ٢٤٧.

(110) الطوسي ، معرفة اختيار الرجال ، ١٣٥/١ ، وقد ذكر الكشي في رجاله ص ١٠٧ ان سعيد بن المسيب دعي للصلاة على جنازة السجاد A فرفض ، وقد دفع المامقاني عنه هذه التهمة في كتاب التنقيح ، ٣٠/٢ بانه انما ترك الصلاة تقية وخوفا .

(111) النساء ، ١٢٨.

(112) الطبرسي : مجمع البيان ، ٣ : ٢٠٥.

(113) حكمت عبيد ، الامام الباقر A واثره في التفسير ، ٢٣٥.

من الظلم اجحاف حقهم وعدهم من هؤلاء أو هؤلاء وإن كنا قد افردنا لهم في الفصل الثاني مبحثاً خاصاً عن (آرائهم بأسباب النزول) ولكننا نشير هنا الى دورهم وجهودهم في تتبع اسباب النزول وإذا عتقها بين الناس بما ورثوا عن جدّهم رسول الله 7 وعن أبيهم امير المؤمنين من علوم.

فكان أمير المؤمنين A بعد رسول الله 7 من اقدر الناس على تفسير القرآن، لأحاطته علماً بأسباب النزول^(١١٤).

يقول محمد حسين الذهبي: (الحق ان الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع الى اختلافهم في ادوات الفهم... فمنهم الواسع الاطلاع...منهم من لازم النبي 7 فعرف من اسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلي بن ابي طالب)^(١١٥)).

ولقد ابلى امير المؤمنين بلاءً حسناً في هذا المجال مما حدا بابن عباس القول: (جل ما تعلمت من تفسير من علي بن ابي طالب، وقال: علي علم علماً علّمه رسول الله، ورسول الله علمه الله، فعلم النبي من علم الله، وعلم علي من علم النبي، وعلمي من علم علي A، وما علمي وعلم اصحاب محمد (ص) في علم علي إلا كقطرة في سبعة احرف، وفي حديث اخر قال: فماذا علمي بالقرآن في علم علي A كالقارورة في المتعرج قال: القارورة الغدير، والمتعرج البحر)^(١١٦)

عن ابي حمزة الثمالي، عن ابي جعفر X، قال: قال امير المؤمنين X: (ما نزلت آية الا وانا عالم متى نزلت، وفيمن نزلت، ولو سألتهموني عما بين اللوحين لحدثتكم)^(١١٧)

114- ظ: داود العطار/ موجز علوم القرآن ١٣٠.

115- محمد حسين الذهبي/ التفسير والمفسرون ١/ ٣٥.

116- ابن طاووس/ سعد السعود ٢٨٥-٢٨٦.

(117) المجلسي: بحار الأنوار، م ٣٧، ج ٨٩: ٥٧ كتاب القرآن باب ٨، ح ٤.

المبحث الثالث:

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

العام: (هو اللفظ الدال على استغراق افراد مفهوم نحو: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢))^(١١٨)، فالإنسان عام أي: يدل على استغراق افراد مفهومه، فإذا حُلَّ اللفظ آل الى جميع افراد ذلك المفهوم الذي وضع لفظ انسان، ليدل عليه حكمه كذا، والخاص ما ليس بعام)^(١١٩).

وهذه القاعدة الاصولية يراد بها (اذا نزلت الآية بسبب خاص وكان اللفظ فيها عاما، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول، او الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ على عمومها، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص، وقد جرت عادة القرآن ان ينزل بعض احكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع واحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكما وتعليما من الله لكي يجيء البيان القرآني ابلغ تأثيرا واشد اهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عاما شاملا) وقد وظف هذه القاعدة^(٣) علماء التفسير لتكون في خدمة اسباب النزول، ولكن كيف يكون هذا؟ او بمعنى اخر هل أن السبب الذي استدعى نزول الآية يخصص او يفيد المدلول القرآني العام لها؟ او لتكن صيغته السؤال هكذا: هل ان ما نزل من القرآن لسبب معين يقتصر حكمه او مدلوله على ذلك السبب فقط دون ان يتعداه الى غيره من الوقائع المشابهة لتلك الحادثة مستقبلا؟^(١٢٠)

وحيث أننا لا يمكن ان نقصر احكام الايات القرآنية أو توجيهها على اسباب نزولها فقط - حتى وان صحت اسباب نزولها ووافقت النص القرآني- فالغاية (بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وحيث انها تحكمت في ايات القرآن الكريم، فلا ينبغي توقف احكام وتشريعات الآية وتوجيهاتها، وانطباقها على من نزلت فيهم في تلك الواقعة ولو تخصصت او تقيدت بظاهر الايات بخصوصية في النزول غير مأخوذ في لفظ الآية مات القرآن بموت من نزلت فيهم وانقطع الحجاج في واقعه من الوقائع التي بعد عصر التنزيل ولا يوافقه كتاب ولا سنة ولا عقل سليم)^(١٢٠).

وكان هذا الامر معمولاً به ومعروفاً عند علماء الامة ابتداءً من عصر الصحابة والى يومنا هذا، فهذا التطبيق قد اخذ مجراه في حياة المسلم قبل ان تعنى المذاهب والفرق الاسلامية بدلالاته في التفسير؛ وذلك وفق معتقد كل فرقة، فمنها من اصاب الحق وبقي في حدود دائرة الاسلام، ومنها من حاد عن جادة الصواب. واعتبر السيوطي احتجاج الصحابة وغيرهم بعموم آيات نزلت في اسباب خاصة دليل على ان (العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب)^(١٢١)، مورداً امثله على ذلك كاحتجاج ابن عباس بأية السرقة (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)^(١٢٢)، التي نزلت في امرأة سرقته على عهد رسول الله (ص) بان الحكم فيها عام، بعد ان سئل عن حكمها اهو خاص ام عام؟^(١٢٣).

وهناك امثلة اخرى تدل على استعمال الصحابة لهذا في غير الخصوصيات التي نزلت بها منها:
١- آية الكلاله التي قيل انها نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري (رض) ولكنها اصبحت فيما بعد حكماً عاماً فقد ورد الحديث عن الكلاله في سورة النساء مرتين مرة في بداية السورة عندما قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً) (١٢٤)، ووردت مرة اخرى في نهاية السورة عندما قال تعالى: ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرَأً هَلَكَ...)) (١٢٥)، فقد قال جابر بن عبد الله الانصاري: (اشتكتني وعندني تسع اخوات اوسبع، فدخل علي النبي (ص) فنفخ في وجهي، فافقت فقلت: يا رسول الله إلا اوصي لأخواتي بالثلثين؟ فقال: احسن. قلت: الشطر قال: احسن، ثم خرج وتركني، ورجع إلي فقال: يا جابر اني لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وان الله عز وجل قد انزل في الذي لا خواتك فجعل لهن الثلثين، قال وكان جابر

118- العصر / ٢.

119- محمد الخضري: اصول الفقه ١٣٥.

(٣) محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/ ٢٣٢.

120- الطباطبائي/ الميزان ٤ / ٣٧٠.

121- السيوطي/ الاتقان ١ / ٨٥.

122- المائدة/ ٣٨.

123- السيوطي / الاتقان ١ / ٨٦.

124- النساء/ ١٢.

125- النساء/ ١٧٦.

يقول: نزلت هذه الآية في^(١٢٦)، أي ان حكمها كان خاصاً ثم أصبح عاماً فيما بعد.
فالكلالة عند الامامية كما قال الشيخ الطوسي (٥): (هم الاخوة والاخوات ممن ذكر منهم في الآية الاولى - آية رقم ١٢ - و هو من كان من قبل الام، ومن ذكر في اخر السورة - آية ١٧٦ - فهو من قبل الاب والام او من قبل الاب)^(١٢٧)

فاحكام الارث هذه وان نزلت في حالة خاصة لكنها أصبحت فيما بعد عامة الى يوم القيامة.
٢- آية الانفال والتي هي الاخرى نزلت لسبب خاص ولكنها أصبحت فيما بعد حكماً عاماً، فقد ذكر بعض المفسرين انها (نزلت في غنائم بدر لأن النبي 7 كان نفل اقواماً على بلاء، فابلى اقوام وتخلف اخرون مع النبي 7 فلما انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن اخذناه لأننا قتلناه، وقال اخرون: نحن احطنا بالنبي 7 ولو ردنا لأخذناه، وقال آخرون: نحن كنا وراءكم نحفظكم، فانزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١))^(١٢٨)، فاراد تعالى ان يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله 7 ماضي جائز، ذهب إليه ابن عباس وعكرمة وعبادة بن الصامت)^(١٢٩).

ولكن العلماء اختلفوا في تحديد معنى الانفال الا ان الامام الصادق X قال: (ان الانفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها أهلها)^(١٣٠)

وهو عندنا - نحن الامامية - لا يكون إلا (لله والرسول وبعده القائم مقامه يصرفه حيث يشاء في مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لأحد فيه شيء)^(١٣١).

٣- وفي القرآن الكريم امثلة كثيرة اخرى عن ورود اللفظ خاصاً بينما حكمه عاماً (فأية اللعان^(١٣٢)، مثلاً تشرع حكماً شرعياً عاماً لكل زوج بتهم زوجته بالخيانة وان نزلت في شأن هلال بن امية، وآية الظهار^(١٣٣)، تبين حكم الظهار بصورة عامة وان كان سبب نزولها سلمة بن صخر^(١٣٤))^(١٣٥).

الى غير ذلك من امثلة دلت على ان كل حادثة جرت في زمن الرسول 7 ونزل فيها قرآن او صدر فيها تشريع، فان ذلك النص و التشريع ينطبق على كل حادثه مشابهة لها في كل عصر ومصر (فالقرآن الكريم وان نزل في زمان محدد ولكن الخطاب القرآني لا يختص بجيل النزول وهو يخاطب البشرية عامة والاجيال كلها)^(١٣٦). وبهذا تكون هذه القاعدة قد منحت اسباب النزول مطاطية في تطبيق الخصوصيات على العموميات وهذا الذي حدا بالعلماء الى الاخذ بها.

ابو السعود المعماري (ت ٩٥١هـ) بعد ان استدلل بالاثار على سريان هذه القاعدة من الخصوص الى

126- الطوسي/ التبيان ٣ / ٤٠٨.

127- المصدر نفسه ٣ / ١٣٥.

128- الانفال/ ١.

129- الطوسي/ التبيان ٥ / ٨٧، وكذلك اورد روايات اخرى عن سبب نزولها فراجعها من هناك

(130) المصدر نفسه ، ٥ / ٨٦.

131- المصدر نفسه ٥ / ٨٦.

132- آيات اللعان في سورة النور ٦- ٧- ٨ حيث قال تعالى (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩))

133- آية الظهار وردت في سورة المجادلة برقم ٣- ٤ وهي قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ ثَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...).

134- آية الظهار نزلت في اوس بن الصامت، وبعد ان وقعت لسلمة بن صخر حادثه مشابهة لتلك الحادثة سرى حكمها على الثاني كما كان على الاول ، (ولم يكن حديث سلمة سبب نزولها ولكن حديث اوس كان سبب نزولها، فقالوا في اوائل تفسيرها على سبيل التجوز: نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر (صحيحي الصالح): مباحث في علوم القرآن/ ١٥٨، نقلاً عن تفسير ابن كثير ٤ / ٣١٨- ٣٢٢).

135- محمد باقر الصدر/ المدرسة القرآنية ٢٣٢.

136- مؤسسة المعارف الاسلامية/ الوجيز في علوم القرآن/ ٥٥.

العموم.

يقول: انه (خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلوكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه، لكن لا بطريق الحقيقة، فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين على درجة التكليف إلا عند الحنابلة... فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما بنى عنه قوله عليه السلام: الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة... واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لأختصاص الا وامر والنواهي بمن يتصور منه الامثال^(١٣٧)).

والطباطبائي (ت ١٩٨١م) يقول في ذلك ايضاً: (القرآن الكريم كتاب دائم لكل الازمان وتسري احكامه على كل الناس، فيجري في الغائب كما يجري على الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال)^(١٣٨).

وقبل ختام الكلام عن تلك القاعدة لا بد من الاشارة الى أن هناك من يذهب (الى ان العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فالدليل العام دليل على صورة السبب الخاص، ولا بد من دليل اخر لغيره من الصور كالقياس ونحوه حتى يبقى لنقل رواية السبب الخاص فائدة ويتطابق السبب والمسبب تطابق السؤال والجواب)^(١٣٩)، مثال ذلك قولهم: ان الآيات الأول من سورة المجادلة على سبيل المثال لا الحصر - نزلت لبوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة عندما ظاهرها، وعلى رأيهم ان هذا (الحكم الذي تضمنته هذه الآيات خاص بهما وحدهما اما غيرهما فيعلم بدليل اخر قياساً او سواء وبديهي انه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب، وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة)^(١٤٠). **ثمرات هذه القاعدة:**

نستطيع القول ان هذه القاعدة عند تطبيقها على اسباب النزول ستكون لها نتائج مثمرة كثيرة منها:

١- مع الأدلة الكثيرة التي استدلت بها علماء الاسلام على خلود القرآن الكريم، نستطيع ضم هذه القاعدة كدليل على خلود القرآن الكريم؛ لأن فيها تتجلى اهم سماته من انه ابلاغ يُرى فيه كل عصر ما يناسب حضارته وفهمه، حيث انه لا يحده عصر ولا جيل، فهو خاص في كل جيل وعام للاجيال جميعاً، خاص في كل زمان وعام للازمان جميعاً، بمعنى ان الآية ذات بعدين: بعد خاص، وبعد عام، وهذا العام جعل من الخاص - في المناسبة التي نزلت من اجلها - عمومية تجري مع الاجيال و الزمان.

٢- كذلك بها نستطيع ان نحاج من اغلق على نفسه باب الاجتهاد، كيف انه ارتكب خطأ كبيراً؛ وذلك لأن الاجتهاد ضروري في كل زمان ومكان؛ حيث لكل عصر وزمان خصوصياته التي لا تشابه عصر وخصوصيات عهد الرسول (3) و الصحابة من بعده، وهذه ميزة امتاز بها الدين الاسلامي الحنيف الا وهي المرونة، لإمتلاكه المادة الحيوية الخلاقة القادرة على الاجابة ببيان حكم جميع الاحداث التالية والطارئة؛ لأنه ينظر الى الجميع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشي جميع الازمنة و الاجيال أي القدرة على الاستمرارية والتجدد، وغلق باب الاجتهاد مصيبة ما بعدها مصيبة!!.

٣- ان اللفظ العام الوارد على سبب، حكمه يعم كل ما يشمله اللفظ ما لم يعم دليل بوجوب قصر الحكم على السبب كالايات النازلة خصوصاً في رسول الله - باعتبار انه له (3) خصوصيات لا يحق لأحد مشاركتها بها - او النازلة في امير المؤمنين (ع) واهل بيته واعتبرت من مختصاتهم.

٤- يمكن الاستدلال بالايات القرآنية التي نزلت في الكفار على المسلمين وغيرهم على حد سواء.

137- ابو السعود العمادي / تفسير ارشاد العقل السليم ١ / ٣١١.

138- الطباطبائي/ القرآن في الاسلام / ٥١.

139- مناع القطان / مباحث في علوم القرآن / ٨٥.

140- محمد عبد العظيم الزرقاني/ مناهل العرفان ١ / ٨٦.

المبحث الرابع: وظائف اسباب النزول

من الامور التي كانت اكثر شيء جدلا بين المسلمين هي قضية النزول، فهذه القضية نالت اهتمامهم مما حدى بهم تقسيمه الى:

١- وقت النزول: أي الوقت الذي نزلت فيه الآية هل نزلت في مكة او المدينة، في سلم او حرب، وفي ليل أو نهار.

٢- مكان النزول: أي المكان الذي نزلت فيه الآية وقد انحصر هذا المكان في اما مكة او المدينة، من هنا جاء تقسيمهم للآيات اما مكية او مدنية، مع ايرادهم فروق معينة بين الآيات المكية والمدنية تعرض لها العلماء في كتبهم^(١٤١).

٣- موضوع الآية: وهذا اهم من القسمين اللذين سبقاه، وذلك لان منه يعرف ادراج الآية تحت أي عنوان هل هي من آيات الاحكام؟ ، ام من آيات العبادات والمعاملات؟^(١٤٢).

وهذا القسم عندما يذكر فلاغراض ابرزها:

أ- توضيح رؤية تاريخية: فالقرآن الكريم هو النص الوحيد الذي لم تعبت به يدي الوضّاع؛ لذا منه نستطيع الحصول على الخبر اليقين في واقعة من الوقائع التاريخية.

ب- قد يسلك النبي 7 سلوكاً معيناً يرد عليه القرآن الكريم كما حصل مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ....)^(١٤٣).

ج- حدث وقع عند المسلمين اثار اهتمامهم نحو قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤))^(١٤٤).

د- قد تأتي بعد سؤال يوجه له 7 كما في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١))^{(١٤٥)(١٤٦)}.

من هذه الاقسام الثلاث تولدت وظائف اسباب النزول التي تجلت اهميتها في ادراك مراد الله تعالى فكانت:

- ١- الوظائف التفسيرية: والتي تعنى بالكشف عن المعنى.
- ٢- الوظائف التاريخية: والتي تعنى بالزمان والمكان تاريخيا ويستعان بها على معرفة تفسير القرآن وسنحاول التعرض لكل واحدة من هذه الوظائف على حدة:

١ - الوظيفية التفسيرية:

وتعد هذه الوظيفة من ابرز وظائف اسباب النزول فهي (تعنى بالكشف والابانة واطهار المعنى المراد...؛ لان الهدف منه تقريب المعاني للاذهان بحسب الفهم العربي للنصوص تارة، وبحسب الفهم الديني تارة أخرى)^(١٤٧).

وذلك لأن (التعرف على اسباب النزول يسلط الضوء على مفاد الآية ومفهومها وهو غير خفي على من له المام بالتفسير)^(١٤٨).

من ذلك خذ مثلاً قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥))^(١٤٩)، فهذا النص لولا اننا عرفنا سبب نزوله لأباح الناس لانفسهم التوجه في الصلاة الى الناحية التي

(141) من ذلك ما ذكره محمد حسين الصغير في تاريخ القرآن / ٥٣ - ٥٤، وكذلك صبحي

الصالح في (مباحث في علوم القرآن) ١٨١ - ١٨٤ وغيره كثير.

(142) ظ: حكمت عبيد / الامام الباقر واثره في التفسير / ٢٣٣.

(143) التحريم / ١.

(144) الشعراء/ ٢١٤.

(145) الانفال / ١.

(146) ظ/ حكمت عبيد / الامام الباقر واثره في التفسير / ٢٣٤.

(147) مظاهر جاسم / البحث الروائي في تفسير الميزان/ ١٥٥.

(148) جعفر السبحاني / مفاهيم القرآن ، ١٠ / ٣٧٨.

(149) البقرة / ١١٥.

يرغبون عملا بالمتبادر وتوهما في فهم الآية.
ولكنك حالما تطلع على سبب نزول هذه الآية تستنتج انها عالجت حال نفر من المؤمنين صلوا مع النبي
7 في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة، فصلى كل رجل منهم على حاله تبعاً لاجتهاده، فلم يضع الله لاحد منهم
عمله واثابه الرضا عن صلاته، ولو لم يتجه الى الكعبة^(١٥٠).
وكذلك قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا
اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٩٣)
(١٥١). فلولا معرفة سبب نزولها لظل الناس الى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات وشرب الخمر آخذين
بظاهر قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ...) الآية، فقد حكي عن عثمان بن
مطعون، وعمر بن معد يكرب انهما كانا يقولان: الخمرة مباحة، ويحتجان بهذه الآية، وخفي عليهما سبب
نزولها، لانه يمنع من ذلك، وهو ما قاله الحسن البصري وغيره لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بأخواننا ماتوا
وهم يشربونها فنزلت هذه الآية^(١٥٢).
وعلى هذا فان معرفة سبب النزول قاد الى معرفة الحكم الشرعي في كلا الآيتين وهو مراد الله تعالى.

٢- وظيفة تاريخية (زمانية ومكانية):

ارتبطت الكثير من آيات القرآن باحداث تاريخية عدت السبب المباشر في نزولها. وهذه الاسباب
وصمت جبين تلك الفترة من حياة المسلمين واصبحت تاريخيا لاحداث لا يمكن ان يُزَوَّرَ أو يستهان به او يستغنى
عنه. والنص القرآني بصفته الوحيد الذي سلم من التزوير؛ ومن عبث الذين كانوا يعيشون على موائد الملوك
متزلفين لهم بمآثر وفضائل ليسوا لها أهلاً لذا فهو قد حفظ لنا الكثير من هذه الاحداث بشرط الحيطة والحذر من
التلاعب بالفاظ القرآن وعدم تسييسها لأي جهة، او حرفها عن معناها تحت أية ذريعة؛ لذا صار من وظائف هذه
الوظيفة بالاضافة الى معرفة زمان ومكان نزول الآية انه يستعان بها على معرفة تفسير القرآن كذلك.
فمثلاً انت تقرا الآيات النازلة في معركة احد والتي قاربت الستين آية^(١٥٣)، والتي ذكر في اسباب
نزولها الكثير عند علماء الطرفين -الامامية والجمهور- ولكن هل يا ترى ان كل ما قد قيل عنها هو صحيح مئة
بالمئة؟ والجواب اكد بـ(لا)!! لان فيها ما هو سبب وما هو ليس بسبب؛ لذا تحتاج هذه الاسباب الى بذل جهود
جهيدة لتحيصها والبت فيها، وان كان هذا الجهد لا يتعدى كونه ربطاً بين الاحداث التاريخية التي حصلت في
تلك الفترة وبين اسباب النزول الوارد الينا، اضافة الى اجراء موازنة بين تلك الآيات بالفاظها المختلفة، واسباب
النزول لمعرفة الصحيح من السقيم^(١٥٤).

فانت تقرأ (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)
(١٢٢) (١٥٥).

فهاتان الطائفتان هما بنو سلمة، وبنو حارثة - حيان من الانصار، رجع بهم عبد الله بن أبي وهم
ثلاثمائة رجل^(١٥٦)، (وعبد الله هذا دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن القاء المشركين يوم احد فهما به ولم
يفعلاه)^(١٥٧) فهذه الآية قد بينت حال هؤلاء وكيف انهم هموا بالرجوع لولا التسديد الالهي، لان (الهم) هنا معناه
الجبن قال الجبائي: (هما قوم من المهاجرين والانصار والفشل الجبن)^(١٥٨) فنحن لا نعرف عن هاتين الطائفتين
شيئاً لولا اخبار القرآن لنا بذلك، فعندما تردنا رواية في سبب نزولها في هكذا مناسبة، فواجبنا الربط بين هذا
السبب الوارد وبين الفاظ تلك الآية التي تدل على ان هناك فرقتان كانتا في حالة حرب فاصابهما شيء من الجبن

(150) (الواحدي / اسباب النزول / ٢٥.

(151) (المائدة / ٩٣.

(152) (الواحدي / اسباب النزول / ١٥٦، والسيوطي الاتقان ٨٣/١ وزاد القمي في ٨٢/١
القول: فهذا التحريم لمن مات او قتل قبل تحريم الخمر والجناح هو الاثم على من شربها بعد
التحريم.

(153) (آل عمران من الآية ١٢١ الى الآية ١٨٠.

(154) (ظ: محمد شاكر الخفاجي / ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم / ١١٢.

(155) (آل عمران / ١٢٢.

(156) (الطباطبائي / الميزان ، ١٥/٤ - ١٦.

(157) (الطوسي / التبيان ، ٥٧٧/٢.

(158) (المصدر نفسه ، ٥٧٧/٢.

فهما بالرجوع لولا التسديد الالهي، وبذلك فان هذه الآية قد سردت لنا حدثا تاريخيا او لنقل ارخت لنا هذا الحدث وسجلت لنا موقف هؤلاء، لتكون عبره لمن اعتبر.

وقد تقرا في القرآن الكريم نصا يسجل لك حدثا تاريخيا مهما يثير لديك عشرات علامات الاستفهام ، من ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَنْتَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨))^(١٥٩) فهذا النص نفهم منه ان الله يأمر رسوله 7 بتهديم مسجد سماه تعالى (مسجد ضرار) مع العلم انه تعالى يقول (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ..... (١٨))^(١٦٠)، فما هذا الحدث التاريخي الذي دعاه تعالى لانه يامر رسوله بهذا؟! ولكنك عندما تطيل النظر بكلمات هذه الآية، وتقرأ سبب نزولها، تجد ان هناك ترابطا بين هذه الكلمات وبين هذا السبب الوارد الذي مفاده ان (جماعة من بني عمرو بن عوف بنو مسجد قباء)^(١٦١) وسألو النبي 7 ان يصلي فيه فصلى فيه، فحسدهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون، فبنوا مسجدا الى حيث مسجد قباء، ليضروا به ويفرقوا المؤمنين)^(١٦٢)، ولما اخبر الله نبيه بحديث هذا المسجد (امر النبي 7 بهدمه واحرقه وامرهم ان يتخذوا محله مكانا للاوساخ والنفايات)^(١٦٣) وهذه الآية وان كانت قد سجلت حدثا تاريخيا وحفظته من التزوير، مع ذلك فهي ارادت ان توضح (الاهداف التي يجب ان تبني لاجلها المساجد وغيرها من المشاريع العامة التي توجد في كل زمان، هذه المساجد والمشاريع يجب ان تكون لله لا للشيطان وللخير لا للشر، ولتأليف الناس وجمعهم على الحق والهدى، لا للبغيضاء والنفاق والمظاهر الفارغة التي لا تخدم الدين والانسانية)^(١٦٤).

وكذلك خذ مثلا قوله تعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣))^(١٦٥)

فقد ذكر الشريف النسابة العلوي المعروف بالموضح باسناده: ان ابا طالب لما مات ما كانت نزلت الصلاة على الموتى، فما صلى النبي 7 عليه ولا على خديجة، وانما اجتازت جنازة ابي طالب والنبي 7 وعلي وجعفر وحزمة جلوس، فقاموا فشيّعوا جنازته واستغفروا له، فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا واقاربنا المشركين ظناً منهم ان ابا طالب مات مشركاً لانه كان يكتنم ايمانه فنفى الله عن ابي طالب الشرك ونزه نبيه والثلاثة المذكورين عن الخطأ في قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)^(١) بينما نجد ان البخاري (ت ٢٥٦هـ) قد اخرج عن سعيد بن المسيب^(٢) عن أبيه قال: (لما حضرت ابا طالب الوفاة، دخل عليه النبي 7 وعنده أبو جهل وعبد الله بن ابي امية، فقال النبي 7: (أي عم قل لا اله الا الله، أحاج لك بها عند الله) فقال ابو جهل وعبد الله بن امية يا ابا طالب، اترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي 7: (لاستغفرن لك ما لم انه عنك) فنزلت الآية)^(٤).

(159) (التوبة / ١٠٧ - ١٠٨

(160) (الجن / ١٨ .

(161) (نزل رسول الله 7 بقاء على بني عمرو بن عوف في اليوم الثامن من ربيع الأول الموافق ٢٠ ايلول ٦٢٢م، ومكث بها اياما واسس مسجد قباء، وقبل ان النبي 7 كان عمره ٥٣ سنة عند قدومه المدينة (سيرة المصطفى / معروف الحسيني ، ٦٣٧ - ٦٤٠).

(162) (الطباطبائي / الميزان ٩ / ٤٠٤ ، وكذلك الطوسي / التبيان ، ٥ / ٣٤٤ .

(163) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى ٦٣٨ / ٧ .

(164) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى ٦٣٩ / ٧ .

(165) (التوبة / ١١٣ .

(١) المجلسي / بحار الانوار / ٣٥ / ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) مستحيل ان يروي مثل سعيد بن المسيب هكذا رواية لانه كان من خلص الشيعة الامامية، ولكنها السياسة!!! وقد يكونون قاصدين ادراج اسمه في هكذا موضع لتعزيز روايتهم الكاذبة.

(٤) البخاري / سنن البخاري / وقد ورد في ص ٢٥١ برقم ١٣٦٠ وفي ص ٧٠٧ برقم ٣٨٨٤ وفي ص ٨٤٩ برقم ٤٦٧٥ ، وفي اسباب النزول / للواحيدي ، ١٩٧ وفي لباب النقول للسيوطي /

١٢٦ - ١٢٧ .

وهذه الرواية وان كنا نشم منها رائحة الوضع مئة بالمئة الا اننا نحاول تسليط الضوء على بعض من جوانبها عسى ان يحاكم عقله من جعل كتاب البخاري عدلا للقرآن!!!.

١- ان ابا طالب X (قد مات قبل الهجرة بثلاث سنوات كما هو ثابت تاريخيا وقد كان عضدا قويا لرسول الله 7.

٢- ان آية البراءة قد نزلت في السنة التاسعة من الهجرة أي بعد وفاة ابي طالب باثنتي عشرة سنة، فكيف تكن هذه الآية نازلة في ابي طالب؟!!

من هنا جاء استغراب السيوطي عندما تحدث عن سورة (براءة)، قال: (قال ابن القرس: مدنية الا آيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...))^(١٦٦) الى آخرها ثم اردف القول: غريب كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل واستثنى بعضهم (ما كان للنبي..)^(١٦٧) لما ورد انها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب (لأستغفرن لك ما لم انه عنك)^(١٦٨).

وكان الرجل قد شم هو الآخر رائحة الوضع لكنه يسلم للأمر من باب (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣))^(١٦٩).

ونحن هنا لسنا بصدد اثبات اسلام ابي طالب أو عدمه - وانما بصدد بيان سبب نزول هذه الآية- (اذ لا يقول بكفره الا ذووا الاحقاد على الاسلام والمسلمين احقاد بدر وحنين)^(١٧٠) لان علمائنا الاعلام لم يهدأ لهم بال حتى افاضوا في اثبات اسلام ابي طالب وقد اثبتوا ذلك رغم انوف الحاقدين، فقد أحصى الأميني في المجلد السابع من (غديره) نحو تسعة عشر كتابا الف في اسلام ابي طالب وفضائله وكذا الحال لو طالعت كتاب (ايمان ابي طالب) للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) تجد ان الناشر في مقدمة الكتاب قد احصى (سبعة وثلاثون) كتابا في ايمان الرجل اولها كتاب (ابو طالب عم النبي) لمحمد كامل حسن المحلي، وآخرها كتاب (الياقوتة الحمراء) في ايمان سيد البطحاء، لطالب الحسيني آل علي خان المدني الشهير بالخرسان^(١٧١).

هذا بالاضافة الى الاحاديث المنقولة في كل من الكتب الاربعة للأمامية^(١٧٢). وقد اجمعت هذه الكتب على تفنيد (هذه المزعومة بكل المكذوبة المفتعلة ان ابا طالب رحمه الله مات كافرا)^(١٧٣). هذه المزعومة ما اوجدها معاوية الا لان ابا طالب من ولد عليا X.

(وفي عقيدتي ان التاريخ ما ظلم احدا كما ظلم ابا طالب، وما اساء المسلمون اساءة افحش واعظم من اساءتهم لمحمد 7 في عمه ابي طالب)^(١٧٤).

وبهذا كان للنص القرآني التاريخي دور في اثبات ان سبب نزول هذه الآية ليس كفر ابو طالب بل ان سبب نزولها كما جاء في مجمع البيان: (وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي 7 لا نستغفر لآباءنا الذين ماتوا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين انه لا ينبغي لنبي ولا مؤمن ان يدعو لكافر)^(١٧٥) اضعف الى السبب الذي ذكرناه في مكان آخر من الرسالة^(١٧٦)، فكان لظرفي الزمان والمكان دورهما في اثبات ذلك.

وفي القرآن امثال كثيرة منها استطعنا الوقوف على بعض الاحداث التي سجلها التاريخ لكننا نكتفي بهذين المثليين للاختصار.

(166) (التوبة / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(167) (التوبة / ١١٣ .

(168) (السيوطي / الاتقان ، ٤٠ / ١ .

(169) (الزخرف / ٢٣ .

(170) (محمد هادي معرفة / التمهيد ، ٢٤٩ / ١ .

(171) (المفيد / ايمان ابي طالب من المقدمة ٥ - ١٣ .

(172) (كتب الامامية الاربعة هي: الكافي للكليني / التهذيب والاستبصار للطوسي / من لا يحضره الفقيه للصدوق .

(173) (محمد هادي معرفة / التمهيد ، ٢٤٩ / ١ .

(174) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى وقد استطاع تفنيد هذه المزعومة بالادلة الدامغة ودحضها بالبراهن الساطعة، وكذلك فعل السيد حسن الحسيني المجدد الشيرازي في مقالاته التي نشرت في مجلة (علوم الحديث) تحت عنوان ابو طالب عم الرسول المصطفى 7 مؤمن بني هاشم من ص ٨ الى ص ٤٩ .

(175) (الطبرسي / مجمع البيان ٥ / ١٣١ - ١٣٢ .

(176) (ذكر في صفحه ١٢٦ من رساله

وقبل ختام الحديث عن وظائف اسباب النزول لا بد من الاشارة الى وظيفة أخرى غير الوظيفيتين اللتين ذكرناهما، هي الوظيفة العقائدية حيث ان اسباب النزول كان لها الفضل الكبير في حل الكثير من الالغاز العقائدية المعقدة، والتي سببت ظهور كثير من الملل والنحل الاسلامية نتيجة الاختلافات في قضايا جوهرية، من ذلك مسألة الإمامة -لأنه ما اختلف المسلمون في اصل من اصول الدين كما اختلفوا في الإمامة؛ لأنه مجرد حذف الإمامة من الاصول معناه هدم الدين كله- التي عدت من اعقد المسائل عند الجميع -عدا الإمامية- فعندما يقول تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥))^(١٧٧) فهذه الآية عندنا نحن الإمامية- انها بينت لنا سبيل الولاية الالهية لامير المؤمنين X ، هذا طبعاً بعد معرفة سبب نزولها ومعرفة من نزلت به، حيث اجمع المسلمون كافة^(١٧٨) - باستثناء من تعصب منهم^(١٧٩) على نزولها في امير المؤمنين X حينما اعطى خاتمه ذلك السائل وهو في حالة الركوع، اما غير الإمامية فان هذه الآية لم تعني لهم شيئاً مهماً، علماً انها (من الادلة الواضحة على امامة امير المؤمنين X بعد النبي بلا فصل)^(١٨٠)، كذلك الحال بالنسبة لآية التطهير التي بمعرفة سبب نزولها عرف من هم اهل البيت X.

واخيراً نقول: ان هذه الوظائف كلها دروب أنارت للباحث الاسلامي او المفسر الاسلامي الدرب لمعرفة القرآن وتفسيره والله اعلم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين كما هو اهل ان يحمد. (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)^(١) .
 القائل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦))^(٢) .
 الذّاكر (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣))^(٣) .
 والصلاة والسلام على محمد رسوله المصطفى واله الطيبين الطاهرين الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد: فقد كانت رغبة راودتني مذ عرفت معنى الحياة ان اتشرف بخدمة كتاب الله العزيز، ولكن عندما اغلقت كلية الفقه على يد نظام التجهيل عدو المعرفة تأجل تحقيق تلك الرغبة، الا اني لم افقد الأمل في تحقيقها يوما ما، وكان دعائي الى الله تعالى ان يوفّقني لذلك، ولم اسمح لنفسي بترك الصلة بيني وبين القرآن فقد كان سلوتي في كل الاوقات ، وبعد سقوط نظام الطغيان وعودة كلية الفقه ثانية – بجهود المخلصين- لتفتح ابوابها من جديد، وها أنا في اول الطريق عسى ان ارزق علما ينفعني وعملا يرفعني وانا لا ادّعي ان الموضوع الذي اخترت لم يبحث سابقا ولكن من بحثه وقع في مشكلة اللاموضوعية فقد اغفلوا عنه آراء الإمامية، ولهذا السبب اجتمعت لدي الحوافز لاختيار الموضوع فخصصته لرفع هذا الحيف وتلافي آثار هذا الاقصاء فجعلته في: (اسباب النزول عند الإمامية).

وان كان لي ان اخص الاسباب التفصيلية الأخرى لاختياري له فانها:

١- ان هذا الموضوع قد ارتبط باعظم مصدريين من مصادر التشريع الاسلامي، هما: الكتاب والسنة، ففيه تفسير القرآن الكريم مدعما بالمأثور عنه 7.

(177) المائدة / ٥٥ .

(178) في الفصل الرابع (وسائل اثبات اسباب النزول) وفي بحث (الاخبار المتواترة) حصرا سنتعرض للحديث عن سبب نزولها بالتفصيل.

(179) ابن تيمية في (دقائق التفسير) حاول اثبات ان الآية عامة في كل من زكى وهو راع ظنا منه استطاعته حرف مفهوم الولاية عن امير المؤمنين (ع) لا لشيء الا انه التعصب المقيت وقد رد عليه السيد محمد رضا الجاللي في مقدمة تفسير الحبري / ٩٨ - ١٠٣ .

(180) الطوسي / التبيان ، ٣ / ٥٤٩ - ٥٥٣ .

^(١) الفرقان/١.

^(٢) الاحزاب / ٤٥ - ٤٦ .

^(٣) الفرقان/ ٣٣ .

٢- ان جامعتنا - وريثة مدرسة الكوفة الكبرى- اولى بالبحث القرآني من غيرها من الجامعات العراقية لا سيما كلية الفقه الموقرة، التي تبنت امثال هكذا بحوث من اجل احياء الفكر الاسلامي الاصيل والتعريف بالمغيب منه وعلى رأسه مذهب اهل البيت I ومناهجه الفكرية وانجازاته المعرفية.

٣- ان من أعطى لاسباب النزول اهمية مفرطة قد عطل مساحة كبيرة من الدلالات القرآنية بتقييدها بتلك الاسباب في الوقت الذي يجب ان لا يغادر حقيقة ان القرآن طي مع الزمان يجري كما تجري الشمس وهذا ما انعكس في مذهب الامامية وموقفهم حيث كانت آراؤهم تدور مع حركية النص القرآني فكانت الرغبة بتوضيح قصور الرأي الذي قيد القرآن لان **(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)**.

٤- ان معرفة سبب نزول الآية يعين كثيرا على فهم معناها، وقد اشكل فهم بعضها على الصحابة، فاسباب النزول اعانتهم على فهمها، فاراد البحث الوقوف على امثال هذه الآيات المشكلة ليتيسر للقارئ فهم بعض ما اشكل عليه منها.

٥- ان اسباب النزول كغيرها من العلوم قد دخلها الدخيل فحاول البحث ان يضع اليد على ما هو سبب وما هو ليس بسبب، وهذا لا يتحقق الا بمعايشة تلك الاسباب والكشف عن نقاط قوتها، ونقاط ضعفها عن كتب. وقد واجهت في طريقي بعض المتاعب، وان كانت (الضربات التي لا تقصم ظهره تقويك) وهذه المتاعب ساهمت وبشكل كبير في تأخير تقديم الرسالة في موعدها المبكر، كما فعل زملائي وزميلاتي في دورتي الدراسية وكان من أهم تلك المصاعب:

١- تغيير المشرف حيث عملت مع السيد مشرفي الأول مدة سبعة او ثمانية اشهر وانجزت قسما كبيرا من الرسالة ثم فوجئت بالتغيير وحمدت الله ان وفقت بقبول ابي واستاذي الكبير الدكتور الأول المتمرس في جامعة الكوفة الاستاذ محمد حسين علي الصغير بالاشراف على الرسالة، فغير الخطة القديمة مما حدا بي الى البدء بالعمل من جديد، بل واصبح لزاما علي ان اعاود مراجعة المكتبات من جديد، بعد ان كان المفروض اني قد انتهيت من جمع المادة العلمية، وكتابة فصل او فصلين من الرسالة لكن عزائي ان هذا الوضع قد ساهم بشكل كبير في احداث تغييرات مهمة في الرسالة اسهمت في اثرائها وتعميقها بشيء من الرصانة، وان ضيعت من وقتي كثيرا وفوتت علي فرصة القبول بالدكتوراه لهذا العام.

٢- كان لكثرة المصادر المتوفرة بين يدي وتعدد الطباعات في المكتبات المختلفة التي راجعتها ان عرضني الى صعوبة كبيرة في توحيد التوثيقات الخاصة بالنصوص حيث اضطررت الى الاعتماد على عدة طباعات اشترت اليها تحريا للدقة والامانة العلمية.

ولا ادعي معاناتي من قلة المصادر فالمكتبات وبحمد الله وجهود الخيرين من اهل العلم عامرة بانواع الكتب وباحدث الطباعات.

اما اسباب النزول التي هي موضوع الرسالة فالبحث يذهب الى تثبيت حقيقة توصل اليها من خلال دراسته لها وهي: ان للقرآن الكريم بكامله اسباب نزول عند الباحثين فيها حيث انهم جعلوا لكل آية من آياته سببا خاصا بها، ولما كان نزول القرآن على محمد 7 لغاية هي هداية الناس الى احكامها العملية ونقلهم من الظلمات الى النور، كما ان لكل آية سببا وهو ما تحققه تلك الآية وما تمتاز به عن الآيات الأخرى- غاية الأمر ورود بعض الاخبار في بيان سبب نزول بعض الآيات ، ولم تردنا اخبار في سبب نزول آيات أخر- وهذا لا يعني ان ما لم ترد فيه اسباب نزول لم يكن له اسباب، وانما تلك الاسباب لم تصل، الينا وحيث ان نزول الآية داخل في اطار ممكن الوجود، ولا بد للممكن الوجود من علة، والعلة مؤلفة من سبب ومقتضى وشرط عدم مانع، فالقرآن الكريم كله نزل بسبب وحيث ان روايات اسباب النزول هي من المأثور الذي يفترض ان يكون صادرا عن الرسول 7 او عن أحد الأئمة الهداة I او عن احد الصحابة الذين عاصروا التنزيل، الأمر الذي يشكل خطورة في هذا الباب ؛ اذ اصبح من الضروري التحرز منه، فليس كل الروايات على الدرجة نفسها من الحصانة؛ لهذا اتجهت جهود العلماء الى محاولة تنقيتها مما علق بها ، وهذا الأمر لا يعني بالضرورة ان لا قيمة لاسباب النزول في التفسير، بل الأمر على العكس تماما، غاية ما في الأمر ضرورة توخي الحذر والحيطه في الوثوق بها وهذا ما حاولنا تأكيده في ثنايا هذه الرسالة والتي جاءت موزعة على مقدمة وتمهيد وفصول اربعة وخاتمة.

اشتمل التمهيد على اربعة مباحث، عرضت في الاول منه لمعنى اسباب النزول لغة واصطلاحا، وفي المبحث الثاني لموقع اسباب النزول بين علوم القرآن، وفي المبحث الثالث وقفت عند اهم ركيزة ارتكزت عليها اسباب النزول الا وهي ان **(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)** هذه الركيزة التي اعتمدها الامامية في حركية النص القرآني وعدم تعطيله وشل حركته بتقييده بسبب نزوله، ومن ثم تعطيل جانب كبير من احكام الاسلام وتشريعاته ونظمه، وجاء المبحث الرابع للكشف عن وظائف اسباب النزول.

وقد خصصت الفصل الاول للبحث في **(اسباب النزول بين الجمهور والامامية)** والذي اشتمل على مبحثين، تناول الأول اسباب النزول عند الجمهور، والثاني عند الامامية، وجاء الفصل الثاني يبحث في **(اهمية اسباب النزول عند الامامية)** وقد توافرت له مادة غزيرة الى الدرجة التي اضطررنا فيها - السيد المشرف وانا - الى تقسيمه الى خمسة مباحث، تناول الأول منها **(رأي اهل البيت I في اسباب النزول)**، واسهم الثاني

في الكشف عن موقع اسباب النزول الذي اعطاها اهمية خاصة تحدث عنها المبحث الثالث، ومن فوائدها هذه تعرفنا على الحالات التي تأتي بها اسباب النزول فكان المبحث الرابع بعنوان: (حالات اسباب النزول) ثم تصدى المبحث الخامس للبحث عن جانب مهم منها هو: (مجالات اسباب النزول) حيث تناول تأثيرها على العلوم الأخرى.

اما الفصل الثالث فكان بعنوان: (اسباب النزول في مناهج مفسري الامامية) وقد انقسم على ثلاثة مباحث، تعرف الأول منها على (اسباب النزول في منهج التفسير بالقرآن) وفي الثاني على (اسباب النزول في المنهج الروائي) وخصصت الثالث منها للبحث في (اسباب النزول في المنهج الحديث). اما الفصل الرابع فجاء للكشف عن (وسائل اثبات اسباب النزول) فكان مبحثه الأول والذي جاء بعد مدخل طويل بعنوان: (الاخبار المتواترة) في اسباب النزول، والثاني عن (اخبار الآحاد المحفوفة بالقرآن)، والثالث عن: (اخبار الآحاد غير المحفوفة بالقرآن) واخيرا جاءت الخاتمة التي توجت بأهم النتائج التي توصل اليها البحث، وهذا كله كان بفضل منه عز وجل علي الذي اخاطبه: (كيف لي بتحصيل الشكر وشكري اياك يفتقر الى شكر؟ فكلمنا قلت: لك الحمد وجب علي ان اقول: لك الحمد)^(١٨١) لمذك علي اكمال ما ابتغيت به وجهك، فعسى ان تقبل مني هذا العمل باحسن قبول، وان تتفضل علي بان ينال رضا عبادك الصالحين، فان قبلوه (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ...) (١٨٢)، وان كان غير ذلك فمعذرة الى الله واليه، وحسبي اني قد بذلت في ذلك جهدي، داعية المولى ان يوفق الجميع لما فيه الخير وان يجعل القرآن نور صدورنا وربيع قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا، فهو يظل لنا نوراً في حياتنا، ونوراً في مماتنا ونوراً في قبورنا، ونوراً في حشرنا ونوراً في كل شيء حتى يبلغنا الجنة^(١٨٣) ان شاء الله وان يلهمنا معرفة الصواب انه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

المبحث الاول:

التعريف بأسباب النزول :

أسباب النزول : (حدود العنوان) :

١- لغة:

أ- الأسباب : جمع سبب ، والسبب لغة - : الحبل وما يتوصل به إلى غيره ، جمعه أسباب^(١٨٤) . وقيل : السبب الحبل يشد بالشئ فيجذب به ، ثم جعل كل ما جرّ شيئاً سبباً^(١٨٥) . ومثله ما ذكر من أن معنى السبب : الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً ، قال تعالى (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥))^(١٨٦) ، ومعناه أن الله آتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها فاتبع واحداً من تلك الأسباب^(١٨٧) .

وفي الحديث : (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب ، فجعل لكل شيء سبباً . وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح علماً ، وجعل لكل علم باباً ناطقاً)^(١٨٨) .

(١٨١) الامام السجاد علي بن الحسين H / الصحيفة السجادية / ٣٧٥ (مناجاة الشاكرين).

(١٨٢) الكهف / ٦٤ .

(١٨٣) صالح الجوهرى / ضياء الصالحين / ٤٠٢ / مضمون دعاء اليوم ، ٢٦ ، من ادعية الايام لأمير المؤمنين X.

(١٨٤) الفيروزي آبادي ، القاموس المحيط ، باب السين فصل الباء ، ٨١/١ .

(١٨٥) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٩١ .

(١٨٦) الكهف ، ٨٤-٨٥ .

(١٨٧) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٣٩١ .

(١٨٨) فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين ، ٧٩/٢-٨٠ .

ب- النزول: الحلول ، نزلهم وبهم وعليهم ينزل ونزولا ومنزلا : حل^(١٨٩) وهو في الأصل الانحطاط من علو يقال : نزل عن دابته ، ونزل مكان كذا : حط رحله فيه وانزله غيره ، قال تعالى : (أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩))^(١٩٠) ،... وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق وإعطاءهم إياها ، وذلك بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن ، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس ونحو ذلك . قال تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ...) ^(١٩١)... وقال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٦)) ^(١٩٢)(١٩٣) .

وعلى ما لهاتين الكلمتين من معنى لغوي يصير المعنى المركب الإضافي منهما : الوسائل التي توصل المنزل المعهود - وهو الكتاب المجيد - من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه المصطفى محمد 3 .

أو أسباب نزول بعض آياته الشريفة أو آية من آياته الكريمة .

٢- المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للمركب الإضافي (أسباب النزول) هو كونه اسماً لعلم من (علوم القرآن) .

و (المعروف لدى الكاتبين في تاريخ هذا الفن (علوم القرآن)) أن أول عهد ظهر فيه هذا الإصطلاح أي إصطلاح علوم القرآن هو القرن السابع^(١٩٤) ، على الرغم من وجود كتاب مخطوط في دار الكتب المصرية منسوب لعلّي بن ابراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي (ت ٣٣٠ هـ) اسمه (البرهان في علوم القرآن) ^(١٩٥) .

على الرغم من وجود كتاب ألفه ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) اسمه : (فنون الأفتان في علوم القرآن) ، وهو مخطوط أيضاً بدار الكتب المصرية^(١٩٦) .

ولم يعلم أن أحداً قبل المئة الرابعة للهجرة ألف في (علوم القرآن) بالمعنى الاصطلاحي المدون فيه ، ولكن هذا لا يمنع من القول : أن محتويات علوم القرآن كانت لدى المبرزين من علماء الأمة الإسلامية وروادها . فمما يروى أن الشافعي قال للرشيد : (أن علوم القرآن كثيرة ، فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه ، أو عن تقديمه وتأخيرها ، أو عن ناسخه ومنسوخه ، أو عن أو عن ...)^(١٩٧) .

وهذه العناوين التي سردها هي موضوعات ومصاديق علوم القرآن بمعناه الاصطلاحي ، البالغة أنواعها على سبيل الإجمال والإدماج - كما جاء في كتاب (الإتيقان في علوم القرآن) للسيوطي ، المؤلف سنة ٨٧٢ هـ - ثمانين علماً .

والذي قال فيه بعد أن سرد أنواع هذه العلوم : (ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة)^(١٩٨) .

إن علوم القرآن بالمعنى المدون الذي هو كالفهرس لعلوم القرآن الكثيرة - المشتتة حتى على التفسير والحديث والأمثال والإعراب والرسم والناسخ والمنسوخ وغيرها - لم يعرف لها مدون قبل البرهان للحوفي^(١٩٩) . لكن هل التدوين من المقومات لإضفاء اسم العلم على مجموعة المسائل النظرية التي يجمع موضوعاتها موضوع واحد ، أو تحقيق بمجموعها غرضاً واحداً ؟ إن كان التدوين شرطاً فتسميته محل البحث من علوم القرآن (أسباب النزول) يمكن أن يراد منه :

(189) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ٥٦/٤ مادة نزل .

(190) المؤمنون ، ٢٩ .

(191) الحديد ، ٢٥ .

(192) الأعراف ، ٢٦ .

(193) الراغب الاصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ٧٩٩ مادة نزل .

(194) محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ٣٤/١ .

(195) المصدر السابق ، ٣٤/١-٣٥ .

(196) المصدر السابق ، ٣٣/١ .

(197) محمد عبد العظيم الزرقاني ، المناهل ، ٣٣ .

(198) السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ، ١٧/١-١٨ .

(199) محمد عبد العظيم الزرقاني ، المناهل ، ٣٤/١-٣٥ .

أ- معنى الأسباب اصطلاحاً:

الأسباب : جمع سبب، وبالسبب قد يراد منه المعنى اللغوي^(٢٠٠)، كما يمكن أن يراد بالسبب معناه الفلسفي باعتبار تأخر زمن التدوين عن زمن بداية ترجمة الفلسفة اليونانية بمصطلحاتها - ومنها مصطلح السبب والعلة - في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، وتحديدًا أبان خلافة المأمون العباسي .

فقد جاء في (الموسوعة الفلسفية) التي ألفها جمع من العلماء الأكاديميين والسوفييتيين ، في بيان معنى السببية (العلية) قولهم :

(السببية "العلية" مقوله فلسفية تدل على الروابط الضرورية بين الظواهر التي تحتم الواحدة منها - وتسمى السبب أو العلة - الظاهرة الأخرى التي تسمى بالسبب أو المعلول أو الأثر . وهناك اختلاف بين السبب الكامل والسبب المحدد)^(٢٠١).

وإذا ما استحضرنّا المعنى اللغوي - الذي ذكرناه في الهامش رقم (٤) من الصفحة السابقة - للسبب ، وانه الوسيلة التي توصل إلى أمر ما ، نجد أن المعنى الفلسفي في المصطلح الفلسفي الذي نقلناه عن الموسوعة الفلسفية لا يختلف عنه ، فالوسيلة التي توصل إلى أمر ما - وهو المعنى اللغوي للسبب ، هي الرابط بين الفاعل وفعله ، سواء أكان الفاعل مريداً مختاراً أم فاعلاً موجباً ، فالهواء إذا ارتفعت سرعته إلى حد تهديم البيوت أو قلع الأشجار تكون السرعة للهواء هي السبب بمعنى الوسيلة التي تهدمت بها البيوت ، ويمكننا القول بأنها السبب والعلة بمعنى الرابط بين الهواء وانهدام الدور . غاية الأمر أن هذه العلة ناقصة أو غير تامة ؛ لان العلة التامة ما تكونت من أربعة مقومات : (فاعلية ومادية وصورية وغائية) كل مقوم منها علة ناقصة ، والمجموع علة تامة: ويمكننا القول باعتبار آخر : مقومات العلة الثلاثة : (مقتضى ، وشرط ، وعدم مانع) وكل واحد منها جزء علة أو جزء سبب ، ولكن يقال له أيضاً سبب ناقص^(٢٠٢) . وعلى هذا لا داعي لما تكلفه محقق تفسير الحبري محمد رضا الجلالى الذي عرفها بالقول : (هي القضايا والحوادث التي وردت الآيات من أجلها وفي شأنها، أو نزلت مبينة لحكم ورد فيها ، أو نزلت جواباً عن سؤال مطروح)^(٢٠٣) . وهذا التعريف قد اختاره فيما إذا عرف معنى السبب بأنه العلة الموجبة لوجود الشيء ثم عَقِبَ ذلك بإعراضه عن هذا التعريف لسببين :

الأول: أن هذا المعنى بعيد أن يقصده علماء الإسلام وخاصة في مجال علوم القرآن ، لان السبب بهذا المعنى اصطلاح فلسفي لم يتداوله المسلمون إلا في القرون المتأخرة ، وعلى هذا فلا بد من حمل كلمة (سبب) على معناه اللغوي ، وهو (ما يتوصل به إلى أمر) وهذا يعمم ما فيه سببية بالمصطلح الفلسفي ، أو يكون مرتبطاً به بشكل من الإشكال ، فسبب النزول هو (كل ما يتصل بالآية من القضايا والحوادث والشؤون، سواء كانت علة نزلت الآية من أجلها ، أو لم تكن كذلك ، بل ارتبطت بالنزول ولو بنحو الظرفية والمكانية أو الزمانية أو الاقتران ، وما شابه ذلك .

الثاني: إن ملاحظة ما ذكره المفسرون وعلماء القرآن من أسباب نزول الآيات تدلنا بوضوح على أن مرادهم به ليس هو خصوص ما كان سبباً بالمصطلح الفلسفي ، بأن يكون علة نزلت الآية من أجله ، وإنما يذكرون تحت عنوان ، سبب النزول كل القضايا التي كان النزول في إطارها ، وما يرتبط بنزول الآيات بنحو مؤثر في دلالتها ومعناها ، بما في ذلك الزمان والمكان ، وإن لم يتقيد ذلك حتى بالزمان والمكان ، ولذلك فإن سبب النزول يصدق على ما يخالف زمان النزول بالمضي والاستقبال^(٢٠٤).

هذا ما ذكره السيد الحسيني الذي نقض ما استظهره أولاً من (أن الظاهر من كلمة (سبب) هو العلة الموجبة لوجود الشيء) وعليه نقول: إن كلا الوجهين غير مستقيم ؛ لان تداول المصطلح الفلسفي ليس في القرون المتأخرة عن علم أسباب نزول القرآن الكريم ، وإنما ترجمت الفلسفة قبل بروز علم أسباب نزول القرآن بكثير ، وإن المقصود بمفردات هذا العلم هو معنى واحد هو الوسيلة والسبب الذي انضم إلى أمور أخرى للاشتراك في السببية التامة لنزول الآية والله اعلم .

(200) وهو ما ذكرناه عن كتب اللغة العربية في الصفحات السابقة ، بمعنى الوسيلة التي توصل إلى أمر ما ، مادية كانت أو معنوية .

(201) جمع من العلماء الأكاديميين السوفييتيين ، الموسوعة الفلسفية ترجمة : سمير كرم ، ص ٨٥.

(202) محاضرات ألقاها الشيخ احمد كاظم البهادلي على الطالبة لتوضيح ما أشكله محمد رضا الحسيني عند تعريفه (أسباب النزول) .

(203) مقدمة تفسير الحبري لمحققه محمد رضا الحسيني ، ١١٠-١١١.

(204) مقدمة تفسير الحبري ، تحقيق محمد رضا الحسيني ، ١١٠-١١١.

ب- النزول :

المقصود بالنزول - ههنا - هو نزول القرآن الكريم او بعض آياته الشريفة على النبي محمد 3 وقد وردت آيات عدّة في استعمال كلمة النزول وما تصرف منها في الكتاب العزيز، منها قوله تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) (٢٠٥).

كما وردت أحاديث عدة أيضا بهذا المعنى والاستعمال ، منها ما روي عن أبي عبد الله A بعد أن سأله احد الصحابة قائلا : (أن الناس يقولون : أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال : (كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد) (٢٠٦).

ومنها أيضا ما رواه الترمذي حول الموضوع نفسه قال : قال النبي 3 (أن القرآن انزل على سبعة أحرف فافقأ ماتيسر) (٢٠٧).

ومن معانيه اللغوية - كما أسلفنا - الانحطاط من علو او الانحدار من علو إلى سُفل ، من قبيل قوله تعالى (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) (٢٠٨).

ومن المعلوم بالأدلة القاطعة أن العلو والسُفل الماديين المكانيين لا يمكن تطبيقهما على نزول القرآن من الله إلى رسوله . لا ستحالة أن يكون الله تعالى في مكان كي يوصف هذا المكان بالعلو او بغيره .

وإنما إنزال القرآن على النبي 3 يناسبه أن يكون بمعنى إعلامه به ، والعلو والدنو بين المنزل والمُنزَل عليه لما بينهما من التفاوت في المقام والرتبة (٢٠٩).

ج- أسباب النزول اصطلاحا :

أما أسباب النزول بمعناها الاصطلاحي ، فهي اسم جنس لعلم من علوم القرآن المجيد ويعني هذا الاسم ، بموجب ما أوضحناه مفرديته ، وبما وجدنا مسائلة في مدوناته ، (الوسائل التي لها صلة بنزول الآيات القرآنية) (٢١٠).

أما ما ذكره السيوطي بقوله : (والذي يتحرر من سبب النزول انه ما نزلت الآية أيام وقوعه) (٢١١) فهو أضيق مما ذكره آخرون في تحديد هذا العلم .

ولكن نستطيع القول انه: (هو الحادثة او الواقعة او المشكلة التي ألجأت إلى نزول شيء من القرآن لتحريره وإعطاء السواء رأي فيه) (٢١٢)

(205) الإسراء ، ١٠٥ .

(206) الكليني ، الكافي ٦٣/٢ كتاب فضائل القرآن ح ١٣ .

(207) الترمذي ، سنن الترمذي ، كتاب القراءات ، ٨٢١ .

(208) البقرة ، ٢٢ ، وكذلك سورة الرعد ، ١٩ ، وسورة ابراهيم ، ٣٢ ، سورة النحل ، ٦٥ ، سورة طه ، ٥٣ ، سورة الحج ، ٦٣ ، سورة فاطر ، ٢٧ ، سورة الزمر ، ٢١ ، وغيرها كثير تدل على هذا المعنى .

(209) وهناك آراء أخرى ، أنظرها في مناهل العرفان / الزرقاني ، ٤١/١ .

(210) وانظر أيضا مقدمة تفسير الحبري ، تحقيق محمد رضا الحسيني ، ١١١-١١٦ .

(211) السيوطي ، الإتقان ، ٩٤/١ .

(212) محمد حسين الصغير ، لقاءات مع الطالبة في ٢٠٠٦/٢/٨ .

تنويه:

قبل ختام الحديث عن تعريف اسباب النزول لا بد لنا من الإشارة الى ان هناك خلطا قد وقع عند العوام من الناس – الذين لا يمتلكون معلومات كبيرة عن امثال هكذا مواضيع- وهذا الخلط اساسه ان هناك مصطلحين آخرين غير (اسباب النزول) هما مصطلح: (الجري والانطباق) ومصطلح (علة التشريع) وهذه المصطلحات تبدو في ظاهرها مصطلحا واحدا ولكنها في الحقيقة ثلاثة اشياء مختلفة:

لان سبب النزول – وكما عرفناه- هو الحادثة التي نزلت الآية بسببها. اما الجري والانطباق فنعني به ان حكم الآية منطبق على تلك الحادثة، او ذلك الشخص وهو (مما انفرد به أهل البيت Γ فوضعوا اسسه الخاصة بهم في فهم النص ولهذا التفسير خصوصية علمية ذات بعد مرتبط بالقدرة على استنتاج باطن النص وكشف معانيه كشفا يزيل عنها كل حجب وحدود ظاهر الالفاظ وقيودها لينطلق الى باطن الآية وقدرتها على الشمولية وكسر قيود الزمان والمكان والقدرة على الانطباق على معان متجددة تمثل مصاديق يشملها النص^(٢١٣)

وأول من استعمل هذا المصطلح من المحدثين العلامة الطباطبائي في الميزان^(٢١٤).

وكثيرا ما وقع الخلط بين سبب النزول والجري والانطباق عند المفسرين.

والجري والانطباق يحصل غالبا في الآيات ذات السبب والأخرى التي نزلت من غير سبب للنزول^(٢١٥).

(وقد يطلق السبب على ما يعتبر من باب الجري وقبيل الانطباق وليس من الاسباب)^(٢١٦). أما علة التشريع فنعني به: (ما شرع الحكم من أجله كعلة الاسكار في تحريم الخمر)^(٢١٧)

(213) ستار جبر الأعرجي/ منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ٨٩/٨٨.

(214) تحدث عنه في اماكن متعددة في تفسير الميزان منها في: ٣٤٨/١١، وكذلك في ٨٣/٣ وفي ٥٩/٥-٣٤٠-٣٤١؛ وكذلك في ٦٧/٣ و ٤٤/١.

(215) هاشم الموسوي/ القرآن في مدرسة أهل البيت Γ، ١٥٤.

(216) محمد حسين الصغير / تاريخ القرآن، ٥٦.

(217) هاشم الموسوي / القرآن في مدرسة أهل البيت/ ١٥٤.

المبحث الثاني:

موقع أسباب النزول من علوم القرآن :

مما لا شك فيه الأهمية التي نالتها أسباب النزول عند كافة الفرق والطوائف الإسلامية ؛ وذلك لما (لمعرفة أسباب النزول من أهمية كبرى في تجلية معانيها ، والوقوف على حقيقة تفسيرها ، إذ رب آية من القرآن يعطي ظاهرها دلالات غير مقصودة منها ، فإذا وقعت على مناسبتها وسبب نزولها انحسر عنها سبب اللبس وظهرت فيها حقيقة المعنى ومدى شموله واتساعه)^(٢١٨).

ولكن ثمة خلاف وقع بين العلماء مفاده : هل أن أسباب النزول من علوم القرآن؟ أم أنها من تاريخه؟ أم هي لا من هذا ولا ذاك ؟ هذه التساؤلات ولدت ثلاثة مذاهب ذهب إليها العلماء :

١- فريق ذهب إلى القول : أنها من علوم القرآن واحد فنونه وأصحاب هذا المذهب كثيرون منهم الزركشي والسيوطي اللذين كانا رائديه من القدماء ، ومن المحدثين داوود العطار ومحمد باقر الحكيم وعناوين كتبهم توجي

لكن ثمة خلاف وقع بين العلماء مفاده : هل أن أسباب النزول من علوم القرآن؟ أم أنها من تاريخه؟ أم هي لا من هذا ولا ذاك ؟ هذه التساؤلات ولدت ثلاثة مذاهب ذهب إليها العلماء :

٢- فريق ذهب إلى القول : أنها من تاريخ القرآن وليست من علومه ، والدكتور محمد حسين الصغير (معاصر) من رواد هذا المذهب ومن مؤيديه فهو يقول في ذلك: (والأدق أن نعتبرها من تاريخ القرآن ، لأنها جزء من تاريخه في النزول ، وتحديد ذلك النزول هو ضبط لتاريخ الحادثة في السؤال أو الاستفسار أو التشريع أو القصة... وكل ذلك تاريخ)^(٢١٩).

٣- فريق ثالث فضل عدم الإفصاح من ماهية أسباب النزول ، بل اكتفى بالقول : أنها من الأمور التي يجب على المفسر الإمام بها معتبرا إياها من مقدمات تعلم علم التفسير ومن أصحاب هذا الرأي محمد حسين الذهبي (ت ١٩٧٧م) حينما تكلم عن العلوم التي يحتاجها المفسر ، وعدد منها أسباب النزول^(٢٢٠).

والبحت إذ يورد هذه المذاهب الثلاثة لا يسعه تبني مذهب واحد منها، بل يفضل ضرورة الجمع بين هذه المذاهب ، ولكن كيف يكون ذلك؟

والجواب: إننا إذا اعتبرنا أسباب النزول من علوم القرآن فهذا لا يكون إلا بلحاظ أنها تساعد المفسر على معرفة وفهم ما أشكل فهمه من آيات قرآنية ، وإذا اعتبرناها من تاريخ القرآن فهذا لا يكون أيضا إلا بلحاظ تأثيرها الزماني والمكاني على التفسير ، وإما إذا قلنا بما قاله أصحاب المذهب الثالث فهذا بلحاظ كونها من الأمور التي يجب على المفسر حقيقة الإمام بها ، ولا يكون المفسر مفسراً إلا إذا ألم بها ، وهذا مما لا نقاش فيه والله اعلم .

وموقعها هذا أكسبها أهمية خاصة حدا بعلماء الأمة إلى بذل جهود حثيثة لجمعها وتدوينها في مؤلفات خاصة بها ، لذا فانه من الناحية الفنية نستطيع تقسيمها إلى ثلاث مجاميع :-

- ١- المؤلفات الشاملة.
- ٢- المؤلفات المختصة.
- ٣- المؤلفات الحديثة.

وسنحاول الحديث عن كل مجموعة من هذه المجاميع الثلاثة باختصار تاركين تفاصيل ما ألفت في كل مجموعة منها إلى صفحة (الملاحق) في نهاية هذه الرسالة والله الموفق .

١- المؤلفات الشاملة :

وقد وقع السيوطي على عدد منها فقال (وافرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي)^(٢٢١).

وقد اعتبر أشهرها كتاب (أسباب النزول) للواحي الذي نال فيه المؤلف والكتاب من الشهرة ما لم ينله غيره لا لأنه الأوح في هذا المجال (فان مؤلفين كثيرين قد سبقوه في هذا الميدان إلا أنهم لم ينالوا شهرته ، ولم يصلوا إلى شأوه لا لأنه فاقهم بمؤلفه المشهور علما ومعرفة بل لان كتبهم لم تصل إلينا)^(٢٢٢).

- (218) الدكتور البوطي ، من روائع القرآن ، ٤٠ .
- (219) محمد حسين الصغير ، تاريخ القرآن ٥٥-٥٦ .
- (220) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ٢٦٥/١-٢٦٩ .
- (221) السيوطي الإتيقان ، ٨٧ / ١ .
- (222) ابتسام مرهون الصفار ، معجم الدراسات القرآنية ، ١٣ .

وأنت تطلع على قائمة المؤلفات في هذا الباب يصبح معلوما لديك تاريخ الكتابة في أسباب النزول وكيف أنها كانت منفصلة عن علم التفسير حيث بدأت مرحلة مبكرة من تاريخ التدوين ، فهذا ابن النديم في فهرسه يشير إلى أن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) له كتاب بعنوان (نزول القرآن) وكذلك كتاب بالاسم نفسه للحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وكتاب آخر لابن شهاب الزهري محمد بن مسلم (ت ١٢٤ هـ) واسمه (تنزيل القرآن) (٢٢٣) . وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن ما ادعاه السيوطي من أن أول من كتب بأسباب النزول هو علي بن المديني (ت ٢٣٤ هـ) ادعاء عار من الصحة .

٢- المؤلفات المختصة :

ذكر السيوطي في إتيقانه بابا (النوع الحادي والسبعين) سماه باب (من نزل فيهم القرآن) وقال عنه (رأيت فيه تاليفا مفردا لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك) (٢٢٤) . وقد بذل العلماء الأعلام جهودا لا تتكرر في جمع أمثال هكذا روايات يعتقد أنها نزلت في أشخاص معينين وقد كثر القول والقليل في مثل هكذا نوع من الآيات والتي يدعى أنها نزلت في شخص بعينه ، فدخل فيها الوضع والدس فأخذت كل فرقة تحاول ولأغراض سياسية أن ترفع من شأن رجالها ورموزها لتدعي أنهم ممن نزل به قرآنًا وأنه وأنه إلى غير ذلك من الادعاءات فكثرت عند ذلك المؤلفات ، لذا لا يستطيع أحد أن يدعي أنه قد جمع كل ما قد ألف من هذا النوع ، وعندنا يعد كتاب (شواهد التنزيل) للحسكاني أشهر هذه الكتب فقد جمع فيه الآيات النازلة في فضل أمير المؤمنين A وأهل بيته Γ .

٣- المؤلفات الحديثة:

أما المؤلفات الحديثة فقياسا لما ألف من كتب مختصة وأخرى شاملة ، يعد قليلا ، فقد انخفض العدد فيها إلى اقل من القليل وان كان البعض منها لا يستحق أن يطلق عليه مؤلف ؛ وذلك لأن المحدثين انصبحت جهودهم فقط على جمع ونقل ما قاله الأوائل ، واقتباسه اقتباسا من كلا القسمين السابقين - المؤلفات الشاملة والمختصة- وقسم منهم عمد إلى القيام بتحريف ما نقله المتقدمون ، إما عن قصد منه وسوء نية (إذ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) (٢٢٥) ، او عن عدم فهم لما قرأوه في كتبهم ، وقسم ثالث قام بنقل اخطاء الأوائل دون مناقشة ولا تمحيص من باب (بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) (٢٢٦) . علما أن هذا قد صدر منهم في عصر تطور العقل البشري ورفضه للكثير من الأمور التي عدت خرافية فيما مضى وللأسف الشديد فإن هذا النقل الحرفي المحرف المنحرف عن الأولين قد تسبب في تشويه معالم (أسباب النزول) (٢٢٧) تلك بيد أن هذا العلم لو اخذ كما انزل لقدم للقرآن خدمة عظيمة في شتى علومه من ناسخ ومنسوخ ومكي ومدني .

يقول العلامة الدكتور محمد حسين الصغير (والحق أن تعيين أسباب النزول يعين كثيرا على معرفة المكي والمدني في وجه من الوجود لارتباطه بالأحداث التاريخية والأشخاص ولكن اغلب ذلك في الآيات لا في السور والمرويات فيه متضاربة متعارضة) (٢٢٨) . ولكن نقلهم الأعمى هذا عاد بالضرر على هذا العلم ، والذي يدمي القلب أن أمثال هذه الكتب قد وجدت طريقها إلى المطابع ، بينما صار تراث الأمة مخبوءا في متاحف الأوربيين ، يلعب به المستشرقون ، يفسرونه كيف شاءوا ويؤولونه كما يحلو (لجو لدتسهير) (٢٢٩) .

هذا بالنسبة للمؤلفات المفردة في أسباب النزول ، أما ما كتب عن أسباب النزول في كتب علوم القرآن ، فكانت كثيرة وأهمها (البرهان في علوم القرآن) للزرکشي و (الإتيقان في علوم القرآن) للسيوطي . أما ما كتب عن أسباب النزول في مقدمات تفاسير المفسرين فكثير لا يعد ولا يحصى ولا يكاد يخلو تفسير منها ، ومع هذه الكثرة إلا أنها إذا ما قيست مع ما كتب عن العلوم القرآنية الأخرى يعد قليلا وهذا عائد - على ما يعتقد البحث - إلى طبيعة الموضوع نفسه ، وذلك لأن اغلب من كتب عن أسباب النزول اشترط فيه سماع

(223) المصدر السابق ، ١٣ .

(224) السيوطي ، الإتيقان ، ٢ : ٤٠٣ .

(225) النساء ، ١٠٨ .

(226) لقمان ، ٢١ .

(227) ظ : محمد رضا الحسيني ، تفسير الحبري ، المقدمة ، ١٥٢ .

(228) محمد حسين الصغير ، تاريخ القرآن ، ٥٦ .

(229) جولد تسهر او (زيهر) كما يسميه البعض (١٨٥٠ - ١٩٢١ م) هو مستشرق يهودي مجري الأصل ، وله كتاب باسم (مذاهب التفسير الإسلامي افرغ فيه سمومه الناقعة وهو ما كان يهدف إليه) (نصوص في علوم القرآن ، علي الموسوي الدرابي ، ١ / ١٧ .

الصحابي عن رسول الله 3 مباشرة او ممن شاهدوا التنزيل ، وهذا بطبعه أدى إلى ضرورة غربلة تلك الروايات والمقارنة فيما بينها، ونقدها وتمحيصها ، وترجيح رواية على أخرى لان مفسر ما إذا تبنى رواية ما ورجحها على غيرها ثم تبين له فيما بعد عدم مصداقية هذه الرواية ، فسيعرض نفسه للنقد والتجريح ، وعدم ثقة الآخرين به ، لذا فان مصادر الرواية في أسباب النزول (قد تشدد العلماء على الأخذ بها باعتبار أنها ليس فيها رأي إجتهادي او عقلي بل أن العملية كلها لا تعدوا أن تكون عملية سماعية أي (نقل ورواية))^(٢٣٠) .

كذلك يجب علينا أن نميز الصحابة الذين عاشوا هذه الأحداث عن كُثب وشاهدوا تفاصيلها وبين الآخرين الذين اعتمدوا في نقلهم لها على الشائعات والأقاويل ، الأمر الذي قد يؤدي في اغلب الأحيان إلى التباس في نقل الخصوصيات والتفصيلات.

لذا يمكن تقسيم مصادر الرواية الى:

١- عصر الصحابة الكرام :

فقد اهتم الرعيل الأول من الصحابة بأسباب النزول ، وان كان بعضهم قد أعلن عن تحرجه في القول بأسباب النزول أمام الملأ ، خوفاً من أيراد رواية ضعيفة او مطعون بها ، زيادة منه في الحرج الديني . وابرز من روى علمه بأسباب النزول وروى عنه :

١- عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ):

وكان ابن عباس عالماً بجميع علوم القرآن ، وخصوصاً أسباب النزول وكان أمير المؤمنين A يثني على تفسير ابن عباس ويقول: (كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق) وقال ابن عباس : ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب A^(٢٣١).

ومن نماذج علمه بأسباب النزول : ما رواه الطبرسي عن ابن عباس (رض) في سبب نزول الآية الكريمة (وَأَخْرَجُوا عَتَرَهُمْ خُطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢))^(٢٣٢).

قال عن سبب نزولها : أن عشرة رهط تخلفوا عن النبي 3 في غزوة تبوك وقد أوثق سبعة منهم أنفسهم بجوار المسجد وكان ممر رسول الله 3 عليهم فسأل عنهم 3 قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك تطلقهم وتعذرهم فقال الرسول 3: (لا أطلقهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم) ولما بلغهم ذلك قالوا : لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا) فنزلت الآية الكريمة^(٢٣٣).

وغيره ، كثير والذي يدل على أحاطته (رض) علماً بأسباب النزول^(٢٣٤).

ليس هذا فقط بل وصل الحد بالسيوطي إلى القول: أن ابن عباس كان يعرف حتى الحضري من السفري والليلي من النهاري^(٢٣٥).

ولكن الشيء الذي ينبغي أن يحتاط منه أن الرواية عن ابن عباس (غير مرضية ورواتها مجاهيل)^(٢٣٦)، أضف إلى ذلك الرواية عن ابن عباس من السنة النبوية (قليلة جدا ولعل هذا يعود إلى صغر سنه (رض) يوم وفاة الرسول 3^(٢٣٧)، فتفسير الطبري مثلاً على ضخامته لا يضم من روايات ابن عباس المرفوعة إلى النبي 3 إلا بضع آيات تكاد تكون محصورة بأسباب النزول^(٢٣٨).

٢- عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) :

فقد روى البخاري قوله 3 : خذوا القرآن عن أربعة عبد الله بن مسعود ، وسالم ومعاذ ، وأبي بن كعب^{(٢٣٩) (!)}.

وقد نقل البخاري أيضاً عن ابن مسعود انه خطب خطبة جاء فيها : (والله لقد علم أصحاب النبي 3 أني من أعلمهم بكتاب الله ، وقال في حديث آخر : والذي لا اله غيره : ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين

(231) الزركشي ، البرهان ، ٨/١.

(232) التوبة ، ١٠٢.

(233) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان ، ١١ : ١٣.

(234) راجع كل كتب التفسير من كلا الطرفين تجد صوراً من المامه (رض) بأسباب النزول فلا يكاد يخلو تفسير من ذلك.

(235) السيوطي ، الإتقان ، ١ / ١٨٨.

(236) المصدر نفسه ، ١ / ١٨٨.

(237) كان عمره ١٣ عام عند وفاة النبي 3.

(238) هدى جاسم محمد طبرة ، المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم ، ٩٥.

(239) البخاري ، سنن البخاري باب القراء من اصحاب النبي 3 حديث رقم ٤٩٩٩ ، ص ٩٤٥.

(!) هذا الحديث لم يذكر الإمام علي A ، فهل نعقل هكذا حديث عن رسول الله 3 وهو يعلم من علي A !!!.

نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا اعلم فيم أنزلت ، ولو اعلم أحدا اعلم بكتاب الله مني تبلغه إلا بل لركبت إليه (٢٤٠).

وان كان هذا الحديث قد روي على غير وجهه ، فقد رواه ابن طاووس في سعد السعود هكذا : قال علقمة : قال ابن مسعود ذات يوم ، وكنا في حلقة : لو علمت أن أحدا هو اعلم مني بكتاب الله عز وجل لضربت إليه أباط الإبل . قال علقمة : فقال رجل من الحلقة : ألقيت عليا ؟ فقال : نعم ، قد لقيته ، وأخذت عنه ، واستفدت منه ، وقرأت عليه . وكان خير الناس وأعلمهم بعد رسول الله 3 ولقد رأيته بحرأ يسيل سيلا (٢٤١).

أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي A بإسناده عن عبيدة السلماني قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لو اعلم احد اعرف بكتاب الله مني تبلغه المطايا فقال له رجل : فأين أنت من علي ؟ قال به بدأت ، أني قرأت عليه (٢٤٢).

ومن شواهد علمه بأسباب النزول قيل: أنه قال : (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل... قال فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، قال: وجاء رجل فتصدق بصاع من تمر ، فقالوا ، أن الله لغني عن صاع هذا فنزلت (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)) (٢٤٣)(٢٤٤).

٣- أبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) :

أما الصحابي أبي (رض) فقد كان سيد القراء وأخذ كتاب الوحي وحبراً من أحبار اليهود قبل إسلامه العارفين بأسماء الكتب السماوية مما جعله على مبلغ كبير من العلم ومعرفة آيات الكتاب المجيد ، ولا ننسى كلام أبي الصلاح تقي الدين الحلبي (٣٧٤ - ٤٤٧ هـ) فيه وفي ابن مسعود ، حيث قال :

(أبي وإبن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول ﷺ ، المتخصصين بهم في العهد الأول بعد وفاة الرسول 3 (٢٤٥) ، وأضاف أن أبيا حاول الاجهار بما يكنه ضميره في أخريات حياته لولا حؤول الموت (٢٤٦).

عن عبد الله بن فرقد والمعلی بن خنيس قالأ : كنا عند أبي عبد الله A ومعنا ربيعة الرأي فذكرنا فضل القرآن فقال أبو عبد الله A : إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال ، فقال ربيعة : ضال ؟ : فقال نعم ضال ، ثم قال أبو عبد الله A : أما نحن فنقرأ على قراءة أبي (٢٤٧).

وقد كان من العلماء بأسباب النزول ، حتى وصل به الحد أن يحاول معرفة سبب نزول ما لم يكن له الإماما به ممن كان مقرباً للنبي 3.

ومن ذلك ما نقله انس بن مالك (ت ٩٣ هـ) وكان خادم الرسول 3 فيما رواه الطبري بسنده عنه قال سألتني ابي بن كعب عن الحجاب (٢٤٨) فقلت انا اعلم الناس به ، نزلت في شأن زينب ، أولم النبي 3 عليها بتمر وسويق ، فنزلت (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّا هُوَ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ

(240) المصدر السابق من نفس الباب .

(241) ابن طاووس: سعد السعود ، ٥٥٨.

(242) تاريخ ابن عساكر، تاريخ دمشق ترجمة الإمام، ٣: ٢٥-٢٦ رقم ١٠٤٩.

(243) التوبة ، ٧٩.

(244) الطبري ، جامع البيان ، ١٠ : ١٩٦ وكان الذين تصدق بمال كثير هو عبد الرحمن بن عوف ، وصاحب الصالح هو أبو عقيل اخو بني انيق الاراشي حليف بني عمر وابن عوف كما في رواية الطبري في التفسير والجزء .

(245) ابو الصلاح ، تقريب المعارف ١٦٨.

(246) ظ: ابو الصلاح: تقريب المعارف ، ١٦٨ كذلك: التستري : قاموس الرجال ، ١ : ٢٣٧.

(247) الكليني ، الكافي ، ٢/ ٦٣٤ باب فضل القرآن وهذا يدل على ان قراءة ابي بن كعب اصح القراءات عندهم Γ.

(248) اعتقد انه كان يقصد انه بسؤاله له عن سبب نزول اية الحجاب .

كان ياتم بعلي بن الحسين A وكان علي A يثني عليه ، وماكان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الامر وكان مستقيما^(٢٥٨).

وفي مصنفات اصحابنا الامامية عنه وصف جميل^(٢٥٩) وقد اخذ الرواية عن ابن عباس حيث لازمه في طلب العلم وقد اجازه ابن عباس في التحديث قال له : حدث، فقال - متحاشيا-: احدث وانت ها هنا؟! وفي رواية -وانت موجود-؟! فقال ابن عباس : ليس من نعم الله عليك ان تحدث وانا شاهد؟! فان اصبحت فذاك، وان اخطأت علمتك^(٢٦٠). ولذا كانت الرواية التي تنقل عنه غالبا ما تكون عن ابن عباس عنه (رض).

فمثلا عندما سئل عن سبب نزول قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦))^(٢٦١).

نقل الرواية عن ابن عباس قائلا : (نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالوا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به)^(٢٦٢).
وغيرها من الروايات التي تدل على علميته التي شهد له بها حتى احمد بن حنبل!! حيث قال : قتل الحجاج سعيد بن جببر ، وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه)^(٢٦٣).

٢- سعيد بن المسيب (١٥ - ٩٥ هـ):

وكان من خيرة التابعين وهو ممن رباهم امير المؤمنين A في حجره بوصية من جده (خزن) فقد نشأ وترعرع في اهل بيت العلم والورع والطهارة كما اصبحت من خالص اصحاب الامام علي بن الحيسن زين العابدين A حتى قال عنه A (سعيد بن المسيب اعلم الناس بما تقدمه من الآثار وافهمهم - او افقههم - في زمانه)^(٢٦٤).
وقد عجت كتب التفسير في الروايات المنقولة عنه في اسباب نزول بعض الايات القرآنية منها ما نقله عن سبب نزول قوله تعالى (وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨))^(٢٦٥).

فقد ذكر ان سبب نزولها : قال كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت : بل راجعني واصبر على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الاية ، وهذا مروى ايضا عن ابي جعفر A^(٢٦٦).

٣- عصر تابعي التابعين :

وجاء بعدهم تابعوا التابعين وهؤلاء ممن لقي التابعين واخذ عنهم (والاصل فيهم ان لا يؤخذ الا كما يؤخذ الحديث المسند مع شروط الاسناد عند الصحابة والتابعين ، وذلك لوجود فترة زمنية بعيدة جدا بينهم وبين اسباب النزول)^(٢٦٧).
اما اهل البيت X فنحن نتحدث عن دورهم هذا بمعزل عن الصحابة والتابعين او تابعيهم، وذلك لأنه

(258) الكشي : رجال الكشي ، ١١٠/١ ، برقم ٥٥.

(259) الامين العاملي ، اعيان الشيعة ، ٣٤/٢٣٤-٣٢٦ برقم ٧٠٦٤.

(260) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٢/٢ برقم ٢٤٧.

(261) التوبة ، ٧٥-٧٦.

(262) الطبرسي ، مجمع البيان ، ٩٣/٥-٩٤.

(263) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١١٦/٢ برقم ٢٤٧.

(264) الطوسي ، معرفة اختيار الرجال ، ١٣٥/١ ، وقد ذكر الكشي في رجاله ص ١٠٧ ان سعيد بن المسيب دعي للصلاة على جنازة السجاد A فرفض ، وقد دفع المامقاني عنه هذه التهمة في كتاب التنقيح ، ٣٠/٢ بانه انما ترك الصلاة تقية وخوفا .

(265) النساء ، ١٢٨.

(266) الطبرسي : مجمع البيان ، ٣ : ٢٠٥.

(267) حكمت عبيد ، الامام الباقر A واثره في التفسير ، ٢٣٥.

من الظلم اجحاف حقهم وعدهم من هؤلاء أو هؤلاء وإن كنا قد افردنا لهم في الفصل الثاني مبحثاً خاصاً عن (آرائهم بأسباب النزول) ولكننا نشير هنا الى دورهم وجهودهم في تتبع اسباب النزول وإذا عتقها بين الناس بما ورثوا عن جدّهم رسول الله 7 وعن أبيهم امير المؤمنين من علوم.

فكان أمير المؤمنين A بعد رسول الله 7 من اقدر الناس على تفسير القرآن، لأحاطته علماً بأسباب النزول^(٢٦٨).

يقول محمد حسين الذهبي: (الحق ان الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع الى اختلافهم في ادوات الفهم... فمنهم الواسع الاطلاع...منهم من لازم النبي 7 فعرف من اسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلي بن ابي طالب)^(٢٦٩)).

ولقد ابلى امير المؤمنين بلاءً حسناً في هذا المجال مما حدا بابن عباس القول: (جل ما تعلمت من تفسير من علي بن ابي طالب، وقال: علي علم علماً علّمه رسول الله، ورسول الله علمه الله، فعلم النبي من علم الله، وعلم علي من علم النبي، وعلمي من علم علي A، وما علمي وعلم اصحاب محمد (ص) في علم علي إلا كقطرة في سبعة احرف، وفي حديث اخر قال: فماذا علمي بالقرآن في علم علي A كالقارورة في المتعرج قال: القارورة الغدير، والمتعرج البحر)^(٢٧٠)

عن ابي حمزة الثمالي، عن ابي جعفر X، قال: قال امير المؤمنين X: (ما نزلت آية الا وانا عالم متى نزلت، وفيمن نزلت، ولو سألتهموني عما بين اللوحين لحدثتكم)^(٢٧١)

268- ظ: داود العطار/ موجز علوم القرآن ١٣٠.

269- محمد حسين الذهبي/ التفسير والمفسرون ١/ ٣٥.

270- ابن طاووس/ سعد السعود ٢٨٥- ٢٨٦.

(271) المجلسي: بحار الأنوار، م ٣٧، ج ٨٩: ٥٧ كتاب القرآن باب ٨، ح ٤.

المبحث الثالث:

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

العام: (هو اللفظ الدال على استغراق افراد مفهوم نحو: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢))^(٢٧٢)، فالإنسان عام أي: يدل على استغراق افراد مفهومه، فإذا حُلَّ اللفظ آل الى جميع افراد ذلك المفهوم الذي وضع لفظ انسان، ليدل عليه حكمه كذا، والخاص ما ليس بعام)^(٢٧٣).

وهذه القاعدة الاصولية يراد بها (اذا نزلت الآية بسبب خاص وكان اللفظ فيها عاما، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول، او الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ على عمومها، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص، وقد جرت عادة القرآن ان ينزل بعض احكامه وتعليماته وارشاداته على اثر وقائع واحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكما وتعليما من الله لكي يجيء البيان القرآني ابلغ تأثيرا واشد اهمية في نظر المسلمين وان كان مضمونه عاما شاملا) وقد وظف هذه القاعدة^(٣) علماء التفسير لتكون في خدمة اسباب النزول، ولكن كيف يكون هذا؟ او بمعنى اخر هل أن السبب الذي استدعى نزول الآية يخصص او يفيد المدلول القرآني العام لها؟ او لتكن صيغته السؤال هكذا: هل ان ما نزل من القرآن لسبب معين يقتصر حكمه او مدلوله على ذلك السبب فقط دون ان يتعداه الى غيره من الوقائع المشابهة لتلك الحادثة مستقبلا؟.

وحيث أننا لا يمكن ان نقصر احكام الايات القرآنية أو توجيهها على اسباب نزولها فقط - حتى وان صحت اسباب نزولها ووافقت النص القرآني- فالغاية (بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وحيث انها تحكمت في ايات القرآن الكريم، فلا ينبغي توقف احكام وتشريعات الآية وتوجيهاتها، وانطباقها على من نزلت فيهم في تلك الواقعة ولو تخصص أو تقيد ظاهر الايات بخصوصية في النزول غير مأخوذ في لفظ الآية مات القرآن بموت من نزلت فيهم وانقطع الحجاج في واقعه من الوقائع التي بعد عصر التنزيل ولا يوافقه كتاب ولا سنة ولا عقل سليم)^(٢٧٤).

وكان هذا الامر معمولاً به ومعروفاً عند علماء الامة ابتداءً من عصر الصحابة والى يومنا هذا، فهذا التطبيق قد اخذ مجراه في حياة المسلم قبل ان تعنى المذاهب والفرق الاسلامية بدلالاته في التفسير؛ وذلك وفق معتقد كل فرقة، فمنها من اصاب الحق وبقي في حدود دائرة الاسلام، ومنها من حاد عن جادة الصواب. واعتبر السيوطي احتجاج الصحابة وغيرهم بعموم آيات نزلت في اسباب خاصة دليل على ان (العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب)^(٢٧٥)، مورداً امثله على ذلك كاحتجاج ابن عباس بآية السرقة (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)^(٢٧٦)، التي نزلت في امرأة سرقت على عهد رسول الله (ص) بان الحكم فيها عام، بعد ان سئل عن حكمها اهو خاص ام عام؟^(٢٧٧).

وهناك امثلة اخرى تدل على استعمال الصحابة لهذا في غير الخصوصيات التي نزلت بها منها:

١- آية الكلاله التي قيل انها نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري (رض) ولكنها اصبحت فيما بعد حكماً عاماً فقد ورد الحديث عن الكلاله في سورة النساء مرتين مرة في بداية السورة عندما قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً) (٢٧٨)، ووردت مرة اخرى في نهاية السورة عندما قال تعالى: ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ امْرُؤًا هَلَكًا...)) (٢٧٩)، فقد قال جابر بن عبد الله الانصاري: (اشتكت وعندي تسع اخوات اوسبع، فدخل علي النبي (ص) فنفخ في وجهي، فافقت فقلت: يا رسول الله إلا اوصي لأخواتي بالثلثين؟ فقال: احسن. قلت: الشطر قال: احسن، ثم خرج وتركني، ورجع إلي فقال: يا جابر اني لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وان الله عز وجل قد انزل في الذي لا خواتك فجعل لهن الثلثين، قال وكان جابر

272- العصر / ٢.

273- محمد الخضري: اصول الفقه ١٣٥.

(٣) محمد باقر الصدر/المدرسة القرآنية/ ٢٣٢.

274- الطباطبائي/ الميزان ٤ / ٣٧٠.

275- السيوطي/ الاتقان ١ / ٨٥.

276- المائدة / ٣٨.

277- السيوطي / الاتقان ١ / ٨٦.

278- النساء / ١٢.

279- النساء / ١٧٦.

يقول: نزلت هذه الآية في^(٢٨٠)، أي ان حكمها كان خاصاً ثم اصبح عاماً فيما بعد.
فالكلالة عند الامامية كما قال الشيخ الطوسي (٥): (هم الاخوة والاخوات ممن ذكر منهم في الآية الاولى - آية رقم ١٢ - و هو من كان من قبل الام، ومن ذكر في اخر السورة - آية ١٧٦ - فهو من قبل الاب والام او من قبل الاب)^(٢٨١)

فاحكام الارث هذه وان نزلت في حالة خاصة لكنها اصبحت فيما بعد عامة الى يوم القيامة.
٢- آية الانفال والتي هي الاخرى نزلت لسبب خاص ولكنها اصبحت فيما بعد حكماً عاماً، فقد ذكر بعض المفسرين انها (نزلت في غنائم بدر لأن النبي 7 كان نفل اقواماً على بلاء، فابلى اقوام وتخلف اخرون مع النبي 7 فلما انقضى الحرب اختلفوا، فقال قوم: نحن اخذناه لأننا قتلناه، وقال اخرون: نحن احطنا بالنبي 7 ولو ردنا لأخذناه، وقال آخرون: نحن كنا وراءكم نحفظكم، فانزل الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١))^(٢٨٢)، فاراد تعالى ان يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله 7 ماضي جائز، ذهب إليه ابن عباس وعكرمة وعبادة بن الصامت)^(٢٨٣).

ولكن العلماء اختلفوا في تحديد معنى الانفال الا ان الامام الصادق X قال: (ان الانفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال اذا انجلى عنها أهلها)^(٢٨٤)

وهو عندنا - نحن الامامية - لا يكون إلا (لله والرسول وبعده القائم مقامه يصرفه حيث يشاء في مصالح نفسه ومن يلزمه مؤنته ليس لأحد فيه شيء)^(٢٨٥).

٣- وفي القرآن الكريم امثلة كثيرة اخرى عن ورود اللفظ خاصاً بينما حكمه عاماً (فأية اللعان^(٢٨٦)، مثلاً تشرع حكماً شرعياً عاماً لكل زوج بتهمة زوجته بالخيانة وان نزلت في شأن هلال بن امية، وآية الظهار^(٢٨٧)، تبين حكم الظهار بصورة عامة وان كان سبب نزولها سلمة بن صخر^(٢٨٨))^(٢٨٩).

الى غير ذلك من امثلة دلت على ان كل حادثة جرت في زمن الرسول 7 ونزل فيها قرآن او صدر فيها تشريع، فان ذلك النص و التشريع ينطبق على كل حادثه مشابهة لها في كل عصر ومصر (فالقرآن الكريم وان نزل في زمان محدد ولكن الخطاب القرآني لا يختص بجيل النزول وهو يخاطب البشرية عامة والاجيال كلها)^(٢٩٠). وبهذا تكون هذه القاعدة قد منحت اسباب النزول مطاطية في تطبيق الخصوصيات على العموميات وهذا الذي حدا بالعلماء الى الاخذ بها.

ابو السعود المعماري (ت ٩٥١ هـ) بعد ان استدلل بالاثار على سريان هذه القاعدة من الخصوص الى

280- الطوسي/ التبيان ٣ / ٤٠٨ .

281- المصدر نفسه ٣ / ١٣٥ .

282- الانفال/ ١ .

283- الطوسي/ التبيان ٥ / ٨٧، وكذلك اورد روايات اخرى عن سبب نزولها فراجعها من هناك .

(284) المصدر نفسه ، ٥ / ٨٦ .

285- المصدر نفسه ٥ / ٨٦ .

286- آيات اللعان في سورة النور ٦ - ٧ - ٨ حيث قال تعالى (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩))

287- آية الظهار وردت في سورة المجادلة برقم ٣ - ٤ وهي قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ ثَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ...).

288- آية الظهار نزلت في اوس بن الصامت، وبعد ان وقعت لسلمة بن صخر حادثه مشابهة لتلك الحادثة سرى حكمها على الثاني كما كان على الاول ، (ولم يكن حديث سلمة سبب نزولها ولكن حديث اوس كان سبب نزولها، فقالوا في اوائل تفسيرها على سبيل التجوز: نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر (صحيحي الصالح): مباحث في علوم القرآن/ ١٥٨ ، نقلاً عن تفسير ابن كثير ٤ / ٣١٨ - ٣٢٢).

289- محمد باقر الصدر/ المدرسة القرآنية ٢٣٢ .

290- مؤسسة المعارف الاسلامية/ الوجيز في علوم القرآن/ ٥٥ .

العموم.

يقول: انه (خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلوكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة عند انتظامهم فيه، لكن لا بطريق الحقيقة، فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين على درجة التكليف إلا عند الحنابلة... فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبي عنه قوله عليه السلام: الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة... واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لأختصاص الا وامر والنواهي بمن يتصور منه الامثال^(٢٩١)).

والطباطبائي (ت ١٩٨١م) يقول في ذلك ايضاً: (القرآن الكريم كتاب دائم لكل الازمان وتسري احكامه على كل الناس، فيجري في الغائب كما يجري على الحاضر وينطبق على الماضي والمستقبل كما ينطبق على الحال)^(٢٩٢).

وقبل ختام الكلام عن تلك القاعدة لا بد من الاشارة الى أن هناك من يذهب (الى ان العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فالدليل العام دليل على صورة السبب الخاص، ولا بد من دليل اخر لغيره من الصور كالقياس ونحوه حتى يبقى لنقل رواية السبب الخاص فائدة ويتطابق السبب والمسبب تطابق السؤال والجواب)^(٢٩٣)، مثال ذلك قولهم: ان الآيات الأول من سورة المجادلة على سبيل المثال لا الحصر - نزلت لبوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبة عندما ظاهرها، وعلى رأيهم ان هذا (الحكم الذي تضمنته هذه الآيات خاص بهما وحدهما اما غيرهما فيعلم بدليل اخر قياساً او سواء وبديهي انه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب، وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة)^(٢٩٤). **ثمرات هذه القاعدة:**

نستطيع القول ان هذه القاعدة عند تطبيقها على اسباب النزول ستكون لها نتائج مثمرة كثيرة منها:

١- مع الأدلة الكثيرة التي استدلت بها علماء الاسلام على خلود القرآن الكريم، نستطيع ضم هذه القاعدة كدليل على خلود القرآن الكريم؛ لأن فيها تتجلى اهم سماته من انه ابلاغ يُرى فيه كل عصر ما يناسب حضارته وفهمه، حيث انه لا يحده عصر ولا جيل، فهو خاص في كل جيل وعام للاجيال جميعاً، خاص في كل زمان وعام للازمان جميعاً، بمعنى ان الآية ذات بعدين: بعد خاص، وبعد عام، وهذا العام جعل من الخاص - في المناسبة التي نزلت من اجلها - عمومية تجري مع الاجيال و الزمان.

٢- كذلك بها نستطيع ان نحاج من اغلق على نفسه باب الاجتهاد، كيف انه ارتكب خطأ كبيراً؛ وذلك لأن الاجتهاد ضروري في كل زمان ومكان؛ حيث لكل عصر وزمان خصوصياته التي لا تشابه عصر وخصوصيات عهد الرسول (3) و الصحابة من بعده، وهذه ميزة امتاز بها الدين الاسلامي الحنيف الا وهي المرونة، لإملاكه المادة الحيوية الخلاقة القادرة على الاجابة ببيان حكم جميع الاحداث التالية والطارئة؛ لأنه ينظر الى الجميع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشي جميع الازمنة و الاجيال أي القدرة على الاستمرارية والتجدد، وغلق باب الاجتهاد مصيبة ما بعدها مصيبة!!.

٣- ان اللفظ العام الوارد على سبب، حكمه يعم كل ما يشمله اللفظ ما لم يقم دليل بوجوب قصر الحكم على السبب كالايات النازلة خصوصاً في رسول الله - باعتبار انه له (3) خصوصيات لا يحق لأحد مشاركتها بها - او النازلة في امير المؤمنين (ع) واهل بيته واعتبرت من مختصاتهم.

٤- يمكن الاستدلال بالايات القرآنية التي نزلت في الكفار على المسلمين وغيرهم على حد سواء.

291- ابو السعود العماري / تفسير ارشاد العقل السليم ١ / ٣١١.

292- الطباطبائي/ القرآن في الاسلام / ٥١.

293- مناع القطان / مباحث في علوم القرآن / ٨٥.

294- محمد عبد العظيم الزرقاني/ مناهل العرفان ١ / ٨٦.

المبحث الرابع: وظائف اسباب النزول

من الامور التي كانت اكثر شيء جدلا بين المسلمين هي قضية النزول، فهذه القضية نالت اهتمامهم مما حدى بهم تقسيمه الى:

١- وقت النزول: أي الوقت الذي نزلت فيه الآية هل نزلت في مكة او المدينة، في سلم او حرب، وفي ليل أو نهار.

٢- مكان النزول: أي المكان الذي نزلت فيه الآية وقد انحصر هذا المكان في اما مكة او المدينة، من هنا جاء تقسيمهم للآيات اما مكية او مدنية، مع ايرادهم فروق معينة بين الآيات المكية والمدنية تعرض لها العلماء في كتبهم^(٢٩٥).

٣- موضوع الآية: وهذا اهم من القسمين اللذين سبقاه، وذلك لان منه يعرف ادراج الآية تحت أي عنوان هل هي من آيات الاحكام؟ ، ام من آيات العبادات والمعاملات؟^(٢٩٦).

وهذا القسم عندما يذكر فلاغراض ابرزها:

أ- توضيح رؤية تاريخية: فالقرآن الكريم هو النص الوحيد الذي لم تعبت به يدي الوضّاع؛ لذا منه نستطيع الحصول على الخبر اليقين في واقعة من الوقائع التاريخية.

ب- قد يسلك النبي 7 سلوكاً معيناً يرد عليه القرآن الكريم كما حصل مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ....)^(٢٩٧).

ج- حدث وقع عند المسلمين اثار اهتمامهم نحو قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤))^(٢٩٨).

د- قد تأتي بعد سؤال يوجه له 7 كما في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١))^(٢٩٩)^(٣٠٠).

من هذه الاقسام الثلاث تولدت وظائف اسباب النزول التي تجلت اهميتها في ادراك مراد الله تعالى فكانت:

١- الوظائف التفسيرية: والتي تعنى بالكشف عن المعنى.

٢- الوظائف التاريخية: والتي تعنى بالزمان والمكان تأريخيا ويستعان بها على معرفة تفسير القرآن وسنحاول التعرض لكل واحدة من هذه الوظائف على حدة:

١- الوظيفية التفسيرية:

وتعد هذه الوظيفة من ابرز وظائف اسباب النزول فهي (تعنى بالكشف والابانة واطهار المعنى المراد...؛ لان الهدف منه تقريب المعاني للاذهان بحسب الفهم العربي للنصوص تارة، وبحسب الفهم الديني تارة أخرى)^(٣٠١).

وذلك لأن (التعرف على اسباب النزول يسلط الضوء على مفاد الآية ومفهومها وهو غير خفي على من له المام بالتفسير)^(٣٠٢).

من ذلك خذ مثلاً قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥))^(٣٠٣)، فهذا النص لولا اننا عرفنا سبب نزوله لأباح الناس لانفسهم التوجه في الصلاة الى الناحية التي

(295) من ذلك ما ذكره محمد حسين الصغير في تاريخ القرآن / ٥٣ - ٥٤، وكذلك صبحي

الصالح في (مباحث في علوم القرآن) ١٨١ - ١٨٤ وغيره كثير.

(296) ظ: حكمت عبيد / الامام الباقر واثره في التفسير / ٢٣٣.

(297) التحريم / ١.

(298) الشعراء / ٢١٤.

(299) الانفال / ١.

(300) ظ: حكمت عبيد / الامام الباقر واثره في التفسير / ٢٣٤.

(301) مظاهر جاسم / البحث الروائي في تفسير الميزان / ١٥٥.

(302) جعفر السبحاني / مفاهيم القرآن ، ١٠ / ٣٧٨.

(303) البقرة / ١١٥.

يرغبون عملا بالمتبادر وتوهما في فهم الآية. ولكنك حالما تطلع على سبب نزول هذه الآية تستنتج انها عالجت حال نفر من المؤمنين صلوا مع النبي 7 في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة، فصلى كل رجل منهم على حاله تبعاً لاجتهاده، فلم يضع الله لاحد منهم عمله واثابه الرضا عن صلاته، ولو لم يتجه الى الكعبة^(٣٠٤). وكذلك قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٩٣) ((٣٠٥)). فلو لا معرفة سبب نزولها لظل الناس الى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات وشرب الخمر آخذين بظاهر قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ...) الآية، فقد حكى عن عثمان بن مظعون، وعمر بن معد يكرب انهما كانا يقولان: الخمرة مباحة، ويحتجان بهذه الآية، وخفي عليهما سبب نزولها، لانه يمنع من ذلك، وهو ما قاله الحسن البصري وغيره لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف بأخواننا ماتوا وهم يشربونها فنزلت هذه الآية^(٣٠٦). وعلى هذا فان معرفة سبب النزول قاد الى معرفة الحكم الشرعي في كلا الآيتين وهو مراد الله تعالى.

٢- وظيفة تاريخية (زمانية ومكانية):

ارتبطت الكثير من آيات القرآن باحداث تاريخية عدت السبب المباشر في نزولها. وهذه الاسباب وصمت جبين تلك الفترة من حياة المسلمين واصبحت تاريخيا لاحداث لا يمكن ان يُزَوَّرَ أو يستهان به او يستغنى عنه. والنص القرآني بصفته الوحيد الذي سلم من التزوير؛ ومن عبث اللذين كانوا يعيشون على موائد الملوك متزلفين لهم بمآثر وفضائل ليسوا لها أهلاً لذا فهو قد حفظ لنا الكثير من هذه الاحداث بشرط الحيطة والحذر من التلاعب بالفاظ القرآن وعدم تسييسها لأي جهة، او حرفها عن معناها تحت أية ذريعة؛ لذا صار من وظائف هذه الوظيفة بالاضافة الى معرفة زمان ومكان نزول الآية انه يستعان بها على معرفة تفسير القرآن كذلك. فمثلا انت تقرا الآيات النازلة في معركة احد والتي قاربت الستين آية^(٣٠٧)، والتي ذكر في اسباب نزولها الكثير عند علماء الطرفين -الامامية والجمهور- ولكن هل يا ترى ان كل ما قد قيل عنها هو صحيح مئة بالمئة؟ والجواب اكد بـ(لا)!! لان فيها ما هو سبب وما هو ليس بسبب؛ لذا تحتاج هذه الاسباب الى بذل جهود جاهدة لتحيصها والبت فيها، وان كان هذا الجهد لا يتعدى كونه ربطا بين الاحداث التاريخية التي حصلت في تلك الفترة وبين اسباب النزول الوارد البناء، اضافة الى اجراء موازنة بين تلك الآيات بالفاظها المختلفة، واسباب النزول لمعرفة الصحيح من السقيم^(٣٠٨).

فانت تقرأ (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ((١٢٢))^(٣٠٩).

فهاتان الطائفتان هما بنو سلمة، وبنو حارثة - حيان من الانصار، رجع بهم عبد الله بن أبي وهم ثلاثمائة رجل^(٣١٠)، (وعبد الله هذا دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن القاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه)^(٣١١) فهذه الآية قد بينت حال هؤلاء وكيف انهم هموا بالرجوع لولا التسديد الالهي، لان (الهم) هنا معناه الجبن قال الجبائي: (هما قوم من المهاجرين والانصار والفشل الجبن)^(٣١٢) فنحن لا نعرف عن هاتين الطائفتين شيئا لولا اخبار القرآن لنا بذلك، فعندما تردنا رواية في سبب نزولها في هكذا مناسبة، فواجبنا الربط بين هذا السبب الوارد وبين الفاظ تلك الآية التي تدل على ان هناك فرقتان كانتا في حالة حرب فاصابهما شيء من الجبن

(304) (الواحدي / اسباب النزول / ٢٥.

(305) (المائدة / ٩٣.

(306) (الواحدي / اسباب النزول / ١٥٦، والسيوطي الاتقان ٨٣/١ وزاد القمي في ٨٢/١ القول: فهذا التحريم لمن مات او قتل قبل تحريم الخمر والجناح هو الاثم على من شربها بعد التحريم.

(307) (آل عمران من الآية ١٢١ الى الآية ١٨٠.

(308) (ظ: محمد شاكر الخفاجي / ملامح الفكر التاريخي في القرآن الكريم / ١١٢.

(309) (آل عمران / ١٢٢.

(310) (الطباطبائي / الميزان ، ١٥/٤ - ١٦.

(311) (الطوسي / التبيان ، ٥٧٧/٢.

(312) (المصدر نفسه ، ٥٧٧/٢.

فهما بالرجوع لولا التسديد الالهي، وبذلك فان هذه الآية قد سردت لنا حدثا تاريخيا او لنقل ارخت لنا هذا الحدث وسجلت لنا موقف هؤلاء، لتكون عبره لمن اعتبر.

وقد تقرا في القرآن الكريم نصا يسجل لك حدثا تاريخيا مهما يثير لديك عشرات علامات الاستفهام ، من ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (١٠٧) (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَنْتَظَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) (١٠٨) ((٣١٣) فهذا النص نفهم منه ان الله يأمر رسوله 7 بتهديم مسجد سماه تعالى (مسجد ضرار) مع العلم انه تعالى يقول (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ.....) (١٨) ((٣١٤)، فما هذا الحدث التاريخي الذي دعاه تعالى لانه يامر رسوله بهذا؟! ولكنك عندما تطيل النظر بكلمات هذه الآية، وتقرأ سبب نزولها، تجد ان هناك ترابطا بين هذه الكلمات وبين هذا السبب الوارد الذي مفاده ان (جماعة من بني عمرو بن عوف بنو مسجد قباء^(٣١٥) وسألوا النبي 7 ان يصلي فيه فصلى فيه، فحسدهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون، فبنوا مسجدا الى حيث مسجد قباء، ليضروا به ويفرقوا المؤمنين)^(٣١٦)، ولما اخبر الله نبيه بحديث هذا المسجد (امر النبي 7 بهدمه واحرقه وامرهم ان يتخذوا محله مكانا للاوساخ والنفايات)^(٣١٧) وهذه الآية وان كانت قد سجلت حدثا تاريخيا وحفظته من التزوير، مع ذلك فهي ارادت ان توضح (الاهداف التي يجب ان تبني لاجلها المساجد وغيرها من المشاريع العامة التي توجد في كل زمان، هذه المساجد والمشاريع يجب ان تكون لله لا للشيطان وللخير لا للشر، ولتأليف الناس وجمعهم على الحق والهدى، لا للبغيضاء والنفاق والمظاهر الفارغة التي لا تخدم الدين والانسانية)^(٣١٨).

وكذلك خذ مثلا قوله تعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) ((١١٣) ((٣١٩)

فقد ذكر الشريف النسابة العلوي المعروف بالموضح باسناده: ان ابا طالب لما مات ما كانت نزلت الصلاة على الموتى، فما صلى النبي 7 عليه ولا على خديجة، وانما اجتازت جنازة ابي طالب والنبي 7 وعلي وجعفر وحزمة جلوس، فقاموا فشيّعوا جنازته واستغفروا له، فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا واقاربنا المشركين ظناً منهم ان ابا طالب مات مشركاً لانه كان يكتنم ايمانه فنفى الله عن ابي طالب الشرك ونزه نبيه والثلاثة المذكورين عن الخطأ في قوله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)^(٣٢٠) بينما نجد ان البخاري (ت ٢٥٦هـ) قد اخرج عن سعيد بن المسيب^(٣٢١) عن أبيه قال: (لما حضرت ابا طالب الوفاة، دخل عليه النبي 7 وعنده أبو جهل وعبد الله بن ابي امية، فقال النبي 7: (أي عم قل لا اله الا الله، أحاج لك بها عند الله) فقال ابو جهل وعبد الله بن امية يا ابا طالب، اترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي 7: (لاستغفرن لك ما لم انه عنك) فنزلت الآية^(٣٢٢).

(313) (التوبة / ١٠٧ - ١٠٨

(314) (الجن / ١٨.

(315) (نزل رسول الله 7 بقباء على بني عمرو بن عوف في اليوم الثامن من ربيع الأول الموافق ٢٠ ايلول ٦٢٢م، ومكث بها اياما واسس مسجد قباء، وقبل ان النبي 7 كان عمره ٥٣ سنة عند قدومه المدينة (سيرة المصطفى / معروف الحسيني ، ٦٣٧ - ٦٤٠).

(316) (الطباطبائي/الميزان ٩ / ٤٠٤ ، وكذلك الطوسي/ التبيان ، ٥ / ٣٤٤.

(317) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى ٦٣٨ / 7.

(318) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى ٦٣٩ / 7.

(319) (التوبة / ١١٣.

(٣) (المجلسي/بحار الانوار / ٣٥/ ١٢٧-١٢٨.

(٣) مستحيل ان يروي مثل سعيد بن المسيب هكذا رواية لانه كان من خلص الشيعة الامامية، ولكنها السياسة!!! وقد يكونون قاصدين ادراج اسمه في هكذا موضع لتعزيز روايتهم الكاذبة.

(٤) (البخاري / سنن البخاري / وقد ورد في ص ٢٥١ برقم ١٣٦٠ وفي ص ٧٠٧ برقم ٣٨٨٤ وفي ص ٨٤٩ برقم ٤٦٧٥ ، وفي اسباب النزول/ للواحي، ١٩٧ وفي لباب النقول للسيوطي/

١٢٦ - ١٢٧.

وهذه الرواية وان كنا نشم منها رائحة الوضع مئة بالمئة الا اننا نحاول تسليط الضوء على بعض من جوانبها عسى ان يحاكم عقله من جعل كتاب البخاري عدلا للقرآن!!!.

١- ان ابا طالب X (قد مات قبل الهجرة بثلاث سنوات كما هو ثابت تاريخيا وقد كان عضدا قويا لرسول الله 7.

٢- ان آية البراءة قد نزلت في السنة التاسعة من الهجرة أي بعد وفاة ابي طالب باثنتي عشرة سنة، فكيف تكن هذه الآية نازلة في ابي طالب؟!.

من هنا جاء استغراب السيوطي عندما تحدث عن سورة (براءة)، قال: (قال ابن القرس: مدنية الا آيتين (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...))^(٣٢٠) الى آخرها ثم اردف القول: غريب كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل واستثنى بعضهم (ما كان للنبي..)^(٣٢١) لما ورد انها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب (لأستغفرن لك ما لم انه عنك)^(٣٢٢).

وكان الرجل قد شم هو الآخر رائحة الوضع لكنه يسلم للأمر من باب (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣))^(٣٢٣).

ونحن هنا لسنا بصدد اثبات اسلام ابي طالب أو عدمه - وانما بصدد بيان سبب نزول هذه الآية- (اذ لا يقول بكفره الا ذووا الاحقاد على الاسلام والمسلمين احقاد بدر وحنين)^(٣٢٤) لان علمائنا الاعلام لم يهدأ لهم بال حتى افاضوا في اثبات اسلام ابي طالب وقد اثبتوا ذلك رغم انوف الحاقدين، فقد أحصى الأميني في المجلد السابع من (غديره) نحو تسعة عشر كتابا الف في اسلام ابي طالب وفضائله وكذا الحال لو طالعت كتاب (ايمان ابي طالب) للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) تجد ان الناشر في مقدمة الكتاب قد احصى (سبعة وثلاثون) كتابا في ايمان الرجل اولها كتاب (ابو طالب عم النبي) لمحمد كامل حسن المحلي، وآخرها كتاب (الياقوتة الحمراء) في ايمان سيد البطحاء، لطالب الحسيني آل علي خان المدني الشهير بالخرسان^(٣٢٥).

هذا بالاضافة الى الاحاديث المنقولة في كل من الكتب الاربعة للأمامية^(٣٢٦). وقد اجمعت هذه الكتب على تفنيد (هذه المزعومة بكل المكذوبة المفتعلة ان ابا طالب رحمه الله مات كافرا)^(٣٢٧). هذه المزعومة ما اوجدها معاوية الا لان ابا طالب من ولد عليا X.

(وفي عقيدتي ان التاريخ ما ظلم احدا كما ظلم ابا طالب، وما اساء المسلمون اساءة افحش واعظم من اساءتهم لمحمد 7 في عمه ابي طالب)^(٣٢٨).

وبهذا كان للنص القرآني التاريخي دور في اثبات ان سبب نزول هذه الآية ليس كفر ابو طالب بل ان سبب نزولها كما جاء في مجمع البيان: (وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي 7 لا نستغفر لآباءنا الذين ماتوا في الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الآية وبين انه لا ينبغي لنبي ولا مؤمن ان يدعو لكافر)^(٣٢٩) اضعف الى السبب الذي ذكرناه في مكان آخر من الرسالة^(٣٣٠)، فكان لظرفي الزمان والمكان دورهما في اثبات ذلك.

وفي القرآن امثال كثيرة منها استطعنا الوقوف على بعض الاحداث التي سجلها التاريخ لكننا نكتفي بهذين المثليين للاختصار.

(320) (التوبة / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(321) (التوبة / ١١٣ .

(322) (السيوطي / الاتقان ، ٤٠ / ١ .

(323) (الزخرف / ٢٣ .

(324) (محمد هادي معرفة / التمهيد ، ٢٤٩ / ١ .

(325) (المفيد / ايمان ابي طالب من المقدمة ٥ - ١٣ .

(326) (كتب الامامية الاربعة هي: الكافي للكليني / التهذيب والاستبصار للطوسي / من لا يحضره الفقيه للصدوق.

(327) (محمد هادي معرفة / التمهيد ، ٢٤٩ / ١ .

(328) (هاشم معروف الحسني / سيرة المصطفى وقد استطاع تفنيد هذه المزعومة بالادلة الدامغة ودحضها بالبراهن الساطعة، وكذلك فعل السيد حسن الحسيني المجدد الشيرازي في مقالاته التي نشرت في مجلة (علوم الحديث) تحت عنوان ابو طالب عم الرسول المصطفى 7 مؤمن بني هاشم من ص ٨ الى ص ٤٩ .

(329) (الطبرسي / مجمع البيان ٥ / ١٣١ - ١٣٢ .

(330) ذكر في صفحه ١٢٦ من رساله

وقبل ختام الحديث عن وظائف اسباب النزول لا بد من الاشارة الى وظيفة أخرى غير الوظيفتين اللتين ذكرناهما، هي الوظيفة العقائدية حيث ان اسباب النزول كان لها الفضل الكبير في حل الكثير من الالغاز العقائدية المعقدة، والتي سببت ظهور كثير من الملل والنحل الاسلامية نتيجة الاختلافات في قضايا جوهرية، من ذلك مسألة الامامة -لأنه ما اختلف المسلمون في اصل من اصول الدين كما اختلفوا في الامامة؛ لأنه مجرد حذف الامامة من الاصول معناه هدم الدين كله- التي عدت من اعقد المسائل عند الجميع -عدا الامامية- فعندما يقول تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥))^(٣٣١) فهذه الآية عندنا نحن الامامية- انها بينت لنا سبيل الولاية الالهية لامير المؤمنين X ، هذا طبعاً بعد معرفة سبب نزولها ومعرفة من نزلت به، حيث اجمع المسلمون كافة^(٣٣٢) - باستثناء من تعصب منهم^(٣٣٣) على نزولها في امير المؤمنين X حينما اعطى خاتمه ذلك السائل وهو في حالة الركوع، اما غير الامامية فان هذه الآية لم تعني لهم شيئاً مهماً، علماً انها (من الادلة الواضحة على امامة امير المؤمنين X بعد النبي بلا فصل)^(٣٣٤)، كذلك الحال

(331) المائدة / ٥٥ .

(332) في الفصل الرابع (وسائل اثبات اسباب النزول) وفي مبحث (الاخبار المتواترة) حصراً سنتعرض للحديث عن سبب نزولها بالتفصيل.

(333) ابن تيمية في (دقائق التفسير) حاول اثبات ان الآية عامة في كل من زكى وهو راع ظناً منه استطاعته حرف مفهوم الولاية عن امير المؤمنين (ع) لا لشيء الا انه التعصب المقيت وقد رد عليه السيد محمد رضا الجاللي في مقدمة تفسير الحبري / ٩٨ - ١٠٣ .

(334) الطوسي / التبيان ، ٣ / ٥٤٩ - ٥٥٣ .

الفصل الاول

اهمية اسباب النزول عند الامامية

- ١- المبحث الاول: رأي اهل البيت Γ في اسباب النزول
- ٢- المبحث الثاني: موقع اسباب النزول عند الامامية.
- ٣- المبحث الثالث: عائدة اسباب النزول في فهم النص القرآني.
- ٤- المبحث الرابع: حالات اسباب النزول.
- ٥- المبحث الخامس: مجالات اسباب النزول.

المبحث الاول:

رأي اهل البيت Γ في اسباب النزول.

إذا اردنا الحديث عن اسباب النزول عند أهل البيت Γ وما قالوا عنها وما هو رأيهم بها لا بد لنا قبل هذا من الحديث عن علاقتهم Γ بالقرآن على اعتبار ان اسباب النزول من مواضع القرآن.

فلأهل البيت والقرآن خصوصية مميزة تختلف عن أية خصوصية لاية جهة اسلامية بعد النبي 7 وذلك من خلال الحديث المتواتر عن النبي 7 الذي قال: (يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي)^(٣٣٤). (اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(٣٣٤).

وقد نستوحي من هذا الحديث - بمختلف معاييرهِ - ان العلاقة بين الكتاب وبينهم ليست علاقة مقارنة بين موقع وموقع لينفرد كل واحد منهما بذاتيته في دوره وحركيته، بل العلاقة علاقة ارتباط عضوي يفتح فيه احدهما على الآخر، لينطلق فيه أهل البيت Γ في عملية تفسير وتوضيح وتطبيق للقرآن وتحريك لمفاهيمه في الواقع الانساني (وهذه الأصرة لا تتوقف ولا تنتهي وانما تمتد لتواكب حركة الزمان. فالقرآن رسالة الله يشرحها النبي 7 وآل النبي Γ وفي غير هذه الحالة سوف تتأثر

القراءة، كنص موضوعي بالحالة الذاتية للقارئ والمفسر وما يرتبط بها من مستويات الوعي والادراك والرؤية الشخصية^(٣٣٤). من هنا كانوا بذاتهم مدرسة، وعندما نقول مدرسة فاننا نعني (ذلك الصرح العلمي المنهجي الشامخ الذي شاده أئمة أهل البيت Γ على اساس الكتاب والسنة و توارثوه ابنا عن اب عن رسول الله 7)^(٣٣٤).

وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الامام الصادق X عندما قال: (حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث ابيه، وحديث ابيه حديث علي بن ابي طالب، وحديث علي حديث رسول الله 7 وحديث رسول الله 7 قول الله عز وجل)^(٣٣٤). من هنا جاءت تفاسيرهم لآي القرآن الكريم تفاسير نموذجية عرضوها على العلماء وقصدهم في ذلك أن يعلموهم مناهج واساليب التفسير تلك المناهج ذات الاصول والقواعد التي ورثوها عن صاحب الرسالة (وان في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم Γ ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم الامة كيف يفسرون القرآن الكريم، وايقافهم على نكت وطرف من هذا الكلام البارع، نعم كانوا Γ ورثة القرآن العظيم وحملته الى الناس، في امانة صادقة واداء وايفاء كريم)^(٣٣٤). ألم يقل زعيم البيت الهاشمي وسيدهم امير المؤمنين X (علمني رسول الله الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب)^(٣٣٤). وهذا دليل على استيعابه علوم القرآن وعلوم السنة بكل عقله وروحه وتحرك بها الى الآفاق الواسعة التي تلتقي في ساحاتها كل مواقع المعرفة في المشاكل الفكرية والعلمية التي تتمثل فيها التحديات المتنوعة الموجهة الى الاسلام وأهله.

ثم يأتيك حديث سليم بن قيس قال: سمعت امير المؤمنين X يقول: (ما نزلت آية على رسول الله 7 الا اقرأنيها واملأها علي فكتبتها بخطي و علمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لي ان يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي فكتبته مذ دعا لي ما دعا وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا امر ولا نهى كان ويكون من طاعة او معصية الا علمني وحفظته فلم انس حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري ودعا الله ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً لم انس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه)^(٣٣٤). ليؤكد لك قيمة هذه العلوم التي ورثوها عن امير المؤمنين الامر الذي اكده الامام الصادق X حيث قال: (كان علي X صاحب حلال وحرام وعلم بالرقى ونحن على منهاجه)^(٣٣٤).

وهكذا يتجلى لنا دور العترة في الحفاظ على القرآن وعلومه على مر الزمان وليعرف الناس ممن يأخذون علومهم هل يأخذونها عن كل من هب ودب ام هناك معايير؟، وفي الحديث الذي رواه الكليني عن ابي البخاري عن ابي عبد الله X قال: (...فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه؟ فان فينا اهل البيت في كل خلق عدولا ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)^(٣٣٤).

فهم من اسس العلوم، وهم من دعم هذه العلوم وهم من سيعيد لهذه الامة مجدها التليد فعندما يقول لنا رسول الله 7: (اولنا محمد واوسطنا محمد وآخرنا محمد)^(٣٣٤).

هل كان قصده 7 ان يحصي الاسماء فقط؟ ام انه كان يلوح لشيء اكبر من هذا؟

فكأنما كان 7 يريد القول: ان امتكم هذه ستمر بثلاث مراحل:

- ١- مرحلة التأسيس ووضع القواعد العامة للدولة الاسلامية وهذا كان دوره 7.
- ٢- مرحلة تدعيم الأصول، اصول الفكر الانساني وتثبيت القواعد التي ارسى جذورها صاحب الرسالة 7 وهذا الدور لعبه ابنه الامام الباقر X.
- ٣- مرحلة اقامة الدولة الاسلامية بتمام اجزائها بعد ان انحرقت هذه الامة عن خط الرسالة المحمدية وهذا ما سيقوم به محمد بن الحسن المهدي (عج) ان شاء الله تعالى وهو قريب^(٣٣٤).

من هنا اكدت العترة الطاهرة على ان القرآن هو القاعدة الاصولية المعصومة- بعد الوضع الذي اصاب كل شيء- التي ينطلق منها كل فكر اسلامي، وكل حكم شرعي في أي مفهوم من المفاهيم الاسلامية وفي أي حركة ينطلق منها الواقع الاسلامي من هنا اثاروا Γ عددا من المسائل التي تهم القرآن الكريم، ومن هذه المسائل التي اثاروها مسألة اسباب النزول، فقد تنزل الآية في واقعة او شخص معين فهل تتجمد عند هذه الواقعة او في ذلك الشخص او تمتد الى كل النماذج المماثلة التي تتحرك في مرحلة نزولها وفي الابعاد الزمنية الممتدة في الحياة. فقد ذكر العياشي ان الامام ابا جعفر الباقر X مخاطبا عبد الرحيم القصير: (يا عبد الرحيم ان القرآن حي لا يموت والآية حية لا تموت فلو كانت الآية اذا نزلت في اقوام ماتوا، ماتت الآية لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضين)^(٣٣٤).

فمعنى هذا ان مفهوم اسباب النزول عندهم Γ ان الآية جارية باحكامها ومفاهيمها ما لم تكن خاصة في مورد معين^(٣٣٤) ما دامت البشرية، وهكذا نزول المنافاة بين الاحاديث التي تدل على اسباب نزول الآية في حالة خاصة او شخص معين وبين شمول القرآن للواقع كله والانسان كله لتكون الخصوصية المنطلق الذي تتحرك فيه الآية وليست المضمون الذي تتجمد فيه، وقد أكدوا Γ على تلك الملازمة بينهم وبين القرآن وضرورة تعلم علومه التي منها اسباب التنزيل، ويتجلى ذلك واضحا عندما تقرأ الحديث المروي عن اسماعيل بن جابر الذي قال فيه: (سمعت ابا عبد الله الصادق X يقول: ان الله تبارك وتعالى بعث محمدا 7 فختم به الانبياء فلا نبي بعده، وانزل عليه كتابا فختم به الكتب فلا كتاب بعده، احل فيه حلالا وحرم فيه حراما، فحلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم، وجعله النبي 7 علما باقيا في اوصيائه، فتركهم للناس وهم الشهداء على أهل كل زمان، وعدلوا عنهم ثم قتلوهم، واتبعوا غيرهم، ثم أخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أهدر ولاية ولالة الأمر وطلب علومهم، قال تعالى: (وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ)^(٣٣٤) وذلك انهم ضربوا بعض القرآن ببعض واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون انه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون انه المحكم، واحتجوا بالخاص وهم يقدررون انه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تاويلها، ولم ينظروا الى مفاتيح الكلام، والى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره اذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا واضلوا، واعلموا يرحمكم الله انه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم

من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني واسباب التنزيل... فليس عالماً بالقرآن ولا هو من أهله...^(٣٣٤).

وقد تجلى سر عناية أمير المؤمنين بأسباب النزول بصورة خاصة واضحا عندما قال: (والله ما نزلت آية في ليل ونهار، ولا سهل ولا جبل، ولا بر ولا بحر، إلا وقد عرفت أي ساعة نزلت أو في من نزلت، وما من قریش رجل جرت عليه المواسي^(٣٣٤)، إلا أنا اعرف به، آية تسوقه الى جنة، وآية تسوقه الى نار)^(٣٣٤).

وامير المؤمنين X منحه الله عز وجل امتيازاً خاصاً وشرفاً عظيماً ما ناله احد بعده ابداء، لذا قال النبي 7 بحقه X في الحديث المروي عن انس بن مالك: (علي يعلم الناس بعدي من تأويل القرآن ما لا يعلمون بخبرهم)^(٣٣٤). فعده العلماء (المؤيد بالنصرة من الله عز وجل) فقال عن ذلك ابن عطية: (فاما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب)^(٣٣٤). وعليه من خلال ذلك يمكننا استichاء القرآن لكل الواقع المتحرك الذي يسير في حياة الانسان في كل النماذج المماثلة للمورد الذي كان السبب في نزول الآية، وهذا الأمر الذي جرى عليه أهل البيت Γ في تفسيرهم حيث كانوا يستوحدون اسباب النزول ليمتدوا بنماذجها في الموارد المماثلة في كل القضايا التي وقعت مثارا للجدل وفي مقدمتها قضية الامامة وموقف الائمة من اهل البيت Γ منها، مما يقدم للانسان المسلم الخطوط العامة في ذلك. فكانوا يقولون Γ: نزل القرآن بآياك أعني واسمعي باجاره)^(٣٣٤) - وهذا المثل نضربه اذا اردنا مخاطبة بشخص ما او تكلمنا في امر ونحن نريد غيره على سبيل الكناية والتعريض - فهل يعقل عاقل انه تعالى يقول لرسوله 7: (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنِيَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا)^(٣٣٤) وانما جل وعلا عني به غيره 7 فالخطاب القرآني جاء بهذا الاسلوب لكي يكون تأثيره ابلغ واشمل في الدلالة، ثم ان مكانة الرسول 7 ومنزلته عند المولى جعلته يخاطبه نيابة عن الكل؛ وذلك لان الآخرين غير مؤهلين لأن يكونوا مخاطبين منه تعالى بالمخاطبة المباشرة، ثم انه تعالى اذا وجه الخطاب لشخص معين سوف تخرج دلالاته عن الباقيين، لكنه عندما يوجه كلامه لرسوله المرسل فهذا سيكون شاملاً الكل في عمومية الزمان والمكان؛ كونه خاتم الرسالات والمرسلين، وقد تنبه الطباطبائي في ميزانه الى هذا المعنى فعلق عليه بالقول: (واما قولنا كما ورد في بعض الروايات ان هذه الخطابات القرآنية من قبيل (آياك أعني واسمعي يا جارة) فمعناه ان التكليف لما كان من ظاهر امره ان يتعلق بمن تجوز عليه الطاعة والمعصية فلو تعلق بمن ليست منه الا الطاعة مع مشاركة غيره له كان ذلك تكليفاً على وجه أبلغ كالكناية التي هي ابلغ من التصريح)^(٣٣٤) وهذا بعينه ما قصده الامام الصادق X في الحديث المروي عن ابن أبي عمير عن حدثه عنه X انه قال: (ما عاتب الله نبيه فهو يعني به من قد مضى في القرآن)^(٣٣٤) والى هذا المعنى ايضا اشار الامام الباقر X في الحديث عن محمد بن مسلم انه قال: (يا محمد اذا سمعت الله ذكر أحدا من هذه الامة بخير فنحن هم. واذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممن مضى فهم عدونا...)^(٣٣٤).

وعليه فان القرآن لم يخاطب شخصا بعينه فانحصر الخطاب به على مر

الدهور وانما خاطب الكل وعلى مر الزمان لأن القرآن يجري اوله على آخره ما دامت السماء والأرض. ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر...

أهل البيت Γ أثاروا مسألة مهمة تخص اسباب النزول وهي انه يمكن اعتبار سبب نزول الآية أو من نزلت به الآية التفسير الظاهر للقرآن، وان من سيكون بوضعه مستقبلا التفسير الباطن للقرآن، مصداقه الحديث الذي رواه الصدوق عن حمran بن أعين، قال: (سألت ابا جعفر X) عن ظهر القرآن وبطنه؟ فقال: ظهره الذي نزل فيهم القرآن، وبطنه الذين عملوا بأعمالهم يجري فيهم ما نزل في أولئك^(٣٣٤) وعن هذا قال المدرسي: (ومن المعروف أن قصة الذين نزل فيهم القرآن تعتبر الجانب التربوي منه، ولكنه حينما ينتزع القرآن من القصص سننا عامة تشمل الذين نزل فيهم وتوسع الذين عملوا بمثل اعمالهم تعتبر - أنئذ - تلك السنن علما بالتاريخ أو الاجتماع أو ما شابه)^(٣٣٤) فهم عليهم السلام كانت لهم احاديث تتحدث عن أن للقرآن تفسيراً ظاهراً يعلمه بعض المفسرين وآخر باطناً لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم وبهذا فقد جعلوا اسباب النزول احد تلك المصاديق وقد عززوا ذلك بأحاديث دلت على ما عنوه، منها ما رواه الفضيل بن يسار قال: سألت ابا جعفر الباقر X، عن هذه الرواية (ما في القرآن آية الا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف الا وله حد ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء منها شيء وقع، قال الله تعالى: (مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)^(٣٣٤)(334).

وهذه الأحاديث انما تريد (التأكيد على ان الخصوصية التي تمثل موارد الآية تستبطن في داخلها المعنى الكلي العام، الذي يتجدد عبر الزمن كله كلما تجددت الموارد المماثلة في امتداده)^(٣٣٤)، وبالتالي سوف يؤدي النص القرآني دوره؛ وذلك لانه (ليس هناك معنيان للفظ بل هناك معنى واحد يتحرك في خط الزمن، من الماضي الى الحاضر، ليطل على المستقبل في خط الخصوصية التي تتجسد في جميع المراحل والافراد)^(٣٣٤).. وعلى ما فهمه البحث من كلام الشيخ الطوسي - والله العالم بتأويله- انه يذهب الى اعتبار ذلك ايضاً، حيث انه وعندما تحدث عن ظواهر القرآن وبواطنه نقل عدة آراء حول الموضوع منها ما نقله عن ابن مسعود حين قال: (ما من آية الا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها)^(٣٣٤)، كما نقل رايها آخراً للامامين الصادقين Γ قريب من هذا المعنى حيث قال: (ما روي في اخبارنا عن الصادقين H وحكي ذلك ابو عبيده ان المراد بذلك القصص باخبار هلاك الأولين وباطنها عظة الآخرين)^(٣٣٤)، وأياً من الرأيين تبني يبقى الموضوع واحد وهو: (ان تفسير الشيخ الطوسي لـ(بطن القرآن) بمعنى انما ورد من قصص واخبار عن الأولين والامم السابقة، انما هي امثال كلامه سبحانه وتعالى، ولا تقتصر على السابقين، بل هي منطبقة على غيرهم ايضاً، وبذلك يكون البطن من التطبيق، او ما يسميه البعض بـ(الجري) تبعاً لما ورد في روايات أهل البيت Γ)^(٣٣٤) وبهذا كانوا Γ قد ارسوا لنا قاعدة عدم التمسك باسباب النزول وترك مصاديقها، ومن هنا قال الامام الصادق X: (ان القرآن لم يمت وانه يجري كما تجري الشمس والقمر يجري على

آخرنا كما يجري على أولنا^(٣٣٤) وكان الأمام الصادق X اراد ان يؤكد على (ان) القرآن لا يموت اذا نزل في قوم مخصوصين يغيبون في الزمن ولكنه يجري مجرى الشمس والقمر يجري والليل والنهار لتكون القضية قضية النموذج الذي يجسد الفكرة العامة التي استهدفها النص القرآني ونزلت من خلالها الآية^(٣٣٤).

كذلك فان الائمة Γ كانوا يعلمون الناس من تأويل ذلك ما يسهل عليهم فهمه، فكل امام كان له ذلك كما اشار الامام الصادق X الى هذه النكتة بالقول: (ان للقرآن تأويلا، فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجيء فاذا وقع التأويل في زمان امام من الائمة عرفه امام ذلك الزمان)^(٣٣٤).

نماذج مما روي عن الائمة Γ في اسباب النزول:

قام الرسول 7 بمهمته الكبيرة في تفسير أي القرآن الكريم وبيانه للناس، فكان أهل البيت Γ ورتته في هذا المجال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)^(٣٣٤) فكان لاسباب النزول حظها الوافر منه حيث نقل الينا عن طريقهم Γ المئات من هذه الروايات اضافة الى آلاف الروايات في شتى مجالات التفسير الأخرى فهذا (السيد محمد برهاني - نجل العلامة المحدث السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان - يجمع ما اسند الى النبي 7 من التفسير المروي عن طريق أهل البيت فبلغ لحد الآن حوالي اربعة آلاف حديث)^(٣٣٤).

فأمير المؤمنين Γ كان له من ذلك حصة الأسد(فكان X يستخرج محاسن المعاني من الآيات مما يبهر العيون ويحير العقول)^(٣٣٤) وان بخسه البعض حقه^(٣٣٤) وقد عجت كتب التفسير عند الطرفين بهذه الروايات خصوصا الكتب المعتمدة لما له X من مكانه عند الكل، يقول السيوطي: (اما الخلفاء فاكثروا ما روي عنهم منهم علي بن ابي طالب عليه السلام ، والرواية من الثلاثة نزرة جدا، فاما علي عليه السلام فروي عنه الكثير)^(٣٣٤).

أما بقية الائمة Γ فكانت الروايات الواردة في كتب التفاسير عنهم Γ ايضا كثيرة جدا وعندهم كلهم - الاثنى عشر - فلا تكاد تطالع تفسير من التفاسير العامة والخاصة الا وقد وقعت عينك على واحدة من تلك الروايات، والامامية قاموا بجمع ذلك التراث العظيم لهم Γ فألفوا في هذا المضمار كتبا جليلة تفسر القرآن بالاثار المروي عنهم Γ، فهذا الامام الباقر وحده احصى له مؤلف كتاب (الامام الباقر واثره في التفسير)^(٣٣٤) في اسباب النزول فقط (١٥٦ رواية) غير ما ضاع منها ولم يصل الينا، والامام الصادق X الذي كان جامعة علمية كبرى ضمت اكثر من اربعة الاف طالب او اكثر شذوا الرحال اليها من بقاع مختلفة من العالم الاسلامي، والجدير بالذكر هنا ان الرواية عنهم Γ غير الرواية عن عامة المسلمين؛ لذا اخذ عنهم الكثير من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، الذين رووا عنهم بطرق مختلفة وما اكثر الروايات التي عندهم الا عن أهل البيت Γ.

ولكن الذي يلفت النظر الى رواياتهم Γ في اسباب النزول انهم اوردوا اسبابا

نزلت في آل البيت Γ او في غيرهم فات العلماء ذكرها، او انهم لا يعرفون ان لها اسباب نزول الا عن طريقهم Γ وكيف لا يكونوا كذلك (وهم عيش العلم وموت الجهل، يخبرنا حلمهم عن علمهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخافون الحق ولا يختلفون فيه، بهم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه)^(٣٣٤).

وفيما يلي نورد بعضا من الروايات عن الآيات النازلة بسبب، المروية عنهم Γ^(٣٣٤) وسنحاول البحث عن روايات واردة عن كل امام منهم حسب التسلسل الزمني لهم Γ.

١- الامام امير المؤمنين علي X: (ولد بعد ثلاثين سنة من ولادة النبي 7 ت ٤٠ هـ)

أ- عن علي X قال: قال النبي 7: (وان فيك مثلا من عيسى احبه قوم فهلكوا فيه، وابغضه قوم فهلكوا فيه، فقال المنافقون: اما يرضى له مثلا الا عيسى بن مريم؟ فنزل قوله تعالى: (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)^(٣٣٤)).

ب- عن عباد بن عبد الله الاسدي قال: (سمعت عليا يقول وهو على المنبر: ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه آية او آيتان).

فقال رجل ممن تحته: فما نزل فيك أنت؟

فغضب ثم قال: (اما وانك لو لم تسألني على رؤوس الاشهاد ما حدثتك. ويحك ، هل تقرأ سورة هود.

ثم قرأ علي X: (أَقَمْنِ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)^(٣٣٤)، رسول الله 7 على بيينة وأنا الشاهد منه)^(٣٣٤).

٢- الامام الحسن المجتبي X (٣ هـ - ٤٩ هـ):

عن محمد بن علي ما

جبلوبه، عن محمد بن ابي القاسم...^(٣٣٤) عن جده الحسن بن علي بن ابي طالب قال: (جاء نفر من اليهود الى رسول الله 7 فقالوا: يا محمد، انت الذي تزعم انك رسول الله ، وانك الذي يوحى اليك كما اوحس الى موسى بن عمران؟ فسكت النبي 7 ساعة ، ثم قال: نعم، انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا خاتم النبيين، وامام المتقين، ورسول رب العالمين قالوا: الى من، الى العرب ام الى العجم، ام الينا؟

فانزل الله عزوجل (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السماوات والارض)^(٣٣٤)).

٣- الامام الحسين الشهيد X (٤ هـ - ٦١ هـ):

عن الحسين بن علي X

قال: اجتمع المهاجرون والانصار الى رسول الله 7، فقالوا: يا رسول الله ان لك مؤونة في نفقتك ومن يأتيك من الوفود، وهذه اموالنا مع دماننا، فاحكم فيها مأجورا،

اعط منها ما شئت وامسك ما شئت من غير حرج، فانزل الله عز وجل عليه الروح الامين، فقال: يا محمد (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)^(٣٣٤) يعني ان تودوا قرابتي من بعدي، فخرجوا. فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه الا ليحثنا على قرابته من بعده ان هو الا شيء افتراه في مجلسه، فكان ذلك قولهم عظيمًا، فانزل الله عز وجل: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٣٣٤).

فبعث اليهم النبي 7، فقال: هل من حدث؟

فقالوا: أي والله قال بعضنا كلاما غليظا كرهناه.

فتلا عليهم رسول الله 7 الآية، فبكوا واشتد بكاءهم فانزل الله: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)^(٣٣٤)(334).

٤- الامام علي بن الحسين السجاد X (٣٨هـ، ٩٥هـ):

عن عمرو بن ابي

المقدام، عن علي بن الحسين X قال: ناول رسول الله 7 علي بن ابي طالب X قبضة من تراب الذي رمى بها في وجوه المشركين، فقال الله: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(٣٣٤).

٥- الامام محمد بن علي الباقر X (٥٧هـ - ١١٤هـ):

عن جابر بن يزيد

الجعفي عن الامام الباقر X قال: قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)^(٣٣٤). انه نزل في علي بن ابي طالب حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله 7 لما طلبته كفار قريش^(٣٣٤).

٦- الامام جعفر بن محمد الصادق X (٨٣هـ - ١٤٨هـ):

عن الصادق X

قال عن قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْغَى (٣) أَوْ يَذْكَرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦))^(٣٣٤) انها نزلت في رجل من بني امية، كان عند النبي 7^(٣٣٤) فجاء ابن ام مكتوم، فلما راه تعذر منه وعبس وجهه وجمع نفسه، واعرض بوجهه عنه، فحكى الله ذلك عنه وانكره عليه^(٣٣٤).

وقد سمى صاحب اليقين من نزلت فيه الآية فقال: (نزلت في عثمان وابن ام مكتوم، مؤذن رسول الله وكان اعمى)^(٣٣٤) وهذه الرواية تبطل مزاعم من قال انها نازلة في رسول الله 7!!.

٧- الامام موسى بن جعفر الكاظم X (١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ):

حدثنا محمد بن

همام، عن محمد بن اسماعيل ، عن عيسى بن داوود، عن موسى بن جعفر: انه سئل عن سبب نزول قوله تعالى (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٥٨) لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)) (٣٣٤).

قال: (نزلت في امير المؤمنين X خاصة) (٣٣٤).

٨- الامام علي بن موسى الرضا X (١٤٨ هـ - ٢٠٣ هـ):

عن احمد بن محمد

بن ابي نصر، عن ابي الحسن الرضا قال: سمعت الرضا يتحدث عن سبب نزول قوله تعالى (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (١)) (٣٣٤) قال: (ان رجلا من الانصار كان لرجل في حائطه نخلة ، وكان يضر به، فشكا ذلك الى رسول الله 7، فدعاه فقال: اعطني نخلتك بنخلة في الجنة، فأبى فسمع ذلك رجل من الانصار يكنى ابا الدحداح، فجاء الى صاحب النخلة، فقال: بعني نخلتك بحائطي، فباعه، فجاء الى رسول الله 7 فقال: يا رسول الله قد اشتريت نخلة فلان بحائطي، قال: فقال رسول الله 7 : فلك بدلها نخلة في الجنة، فانزل الله تعالى على نبيه 7: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى (٤) فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ) (٣٣٤)؛ يعني النخلة (وَأَتَّقَى) (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)) (٣٣٤)، هو ما عند رسول الله 7 (فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)) (٣٣٤).

٩- الامام محمد بن علي الجواد X (١٩٥ هـ - ٢٢٠ هـ):

عن المعلي بن

محمد البصري ، عن ابن ابي عمير، عن ابي جعفر الثاني (٣٣٤)، سئل عن سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...) (٣٣٤)، ان رسول الله 7 عقد عليهم لعلي X بالخلافة في عشرة مواطن، ثم انزل: (يَا أَيُّهَا.... الآية التي عقدت عليكم لأمر المؤمنين X) (٣٣٤).

١٠- الامام علي بن محمد الهادي X (٢١٢ هـ - ٢٥٤ هـ):

روى العياشي

باسناده عن محمد بن سعيد الازدي ان موسى بن محمد بن الرضا X وموسى هذا أخو الامام الهادي اخبره ان يحيى بن اكنم كتب اليه يسأله عن مسائل منها هذه الآية: (فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) (٣٣٤) فيمن نزلت (فان كان المخاطب فيها النبي 7 ليس قد شك فيما انزل الله، وان كان المخاطب به غيره فعلى غيره اذا انزل الكتاب؟ قال موسى: فسالت اخي عن ذلك -أي

الامام الهادي- فقال: فأما قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) فان المخاطب بذاك رسول الله 7 ولم يك في شك مما انزل الله، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث إلينا نبيا من الملائكة انه لم يفرق بينه وبين نبيه في الاستغناء في المأكل والمشرب والمشى في الاسواق، فأوحى الله الى نبيه (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك الا وهو يأكل الطعام ويشرب ويمشي في الاسواق، ولك بهم اسوة، وانما قال: فان كنت في شك ولم يكن ولكن ليتبعه كما قال له X: (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^(٣٣٤)، ولو قال تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيئون للمباهلة، وقد عرف ان نبيكم مؤد عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي عليه وآله السلام انه صادق فيما يقول، ولكن احب ان ينصف من نفسه^(٣٣٤)

١١- الامام الحسن بن علي العسكري X (٢٣٢هـ - ٢٦٠هـ):

عندما سئل

عن سبب نزول قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)^(٣٣٤)، أجاب: (انها نازلة في حق اليهود والنواصب الذين غلظ عليهم ما وبخهم به رسول الله، فقال جماعة من رؤسائهم وذوي الالسن والبيان منهم: يا محمد انك تهجوننا وتدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافا ان فيها خيرا كثيرا نصوم ونتصدق ونواسي الفقراء. قال رسول الله 7: (انما الخير ما أريد به وجه الله وعمل به على أمر الله تعالى، وأما ما اريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله 7 واطهار الغنى له والتمالك والتشرف عليه فليس بخير بل هو الشر الخالص ووبال على صاحبه ويعذبه الله به اشد العذاب)

ثم نقل X حوارا طويلا دار بينه وبين اليهود أعرضنا عن ذكره تجنباً للإطالة، الى ان قال 7: يا يهودي ان موسى لو ادركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئا، ولا نفعته النبوة يا يهودي ومن ذريتي المهدي اذا خرج نزل عيسى بن مريم X لنصرته فقدمه وصلى خلفه^(٣٣٤)

هذا بعض مما وقفنا عليه من رواياتهم I في اسباب النزول وقد اكتفينا بأيراد رواية عن كل امام، ولم نقف على رواية عن الامام المهدي (عج) ولنا في علمائنا اسوة حسنة^(٣٣٤)، ويذهب البحث الى ان ذلك يعود لقصر المدة التي عاشها الامام بين شيعة فقد اختفى في الغيبة الاولى وعمره الشريف ٥ سنوات، ثم كانت الغيبة الكبرى والله اعلم، وهذه الروايات التي اوردوها في مجال اسباب النزول لا يرونها الا ما وصل اليهم عن النبي 7 عن طريق ابائهم وأجدادهم (وليس مروياتهم آرائهم الشخصية التي تتبع من عقيدتهم، فمن قال بذلك وتصورهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممن يعتمدون على آرائهم الشخصية)^(٣٣٤) وفي ذلك قال الامام الصادق X في الحديث الذي رواه عنه حفص بن البختري قال: قلت له X (اسمع الحديث منك فلا ادري منك سماعه او من ابيك؟ فقال: (ما سمعته مني فاروه عن

ابي، وما سمعته مني فاروه عن رسول الله (7) (٣٣٤)

واخيرا نقول عنهم I: انهم قد احاطوا بالقرآن علما من كل جوانبه فلم يدعوا صغيرة ولا كبيرة الا بينوها معتبرين ان القرآن قد حوى كل ما تحتاجه البشرية الى يوم القيامة، مصداقه حديث الامام الباقر X فقد قال: (ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة الا انزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلا يدل عليه) (٣٣٤)

المبحث الثاني:

موقع اسباب النزول عند الامامية:

ان لاسباب النزول عند الامامية موقعا مرموقا كما أوضحنا ذلك سابقا. وسنوضح في الصفحات اللاحقة كيف انها حظيت بقسط وافر من الاهتمام لديهم، وقد ألف في ذلك جمع من علماء الامة الاسلامية من القدامى والمتأخرين وبذلوا جهودا مضنية في جمع الآيات القرآنية النازلة في أهل البيت X وكان اشهر تلك الكتب: كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل للحاكم الحسكاني (٣٣٤) وغيرها من الكتب التي اهتمت بابرار اهمية هذا العلم عند الامامية. وقد حاول بعضهم التقليل من هذه الاهمية تحت ذرائع وحجج واهية نوقشت من قبل العلماء والمختصين كان اهمها:

أ- ان المورد لا يخصص الوارد:

قيل ان اسباب النزول لا تصلح ان تكون مخصصة لما تضمنته الآية الشريفة من حكم فيما هو اهم مما نزلت بسببه واصفين (ان النازل من القرآن في تلك المناسبات لا يختص بذلك المورد او تلك المناسبة وعليه فان شأن النزول لا يلعب دورا في تخصيص ما نزل عامة وتغيير ما نزل مطلقا) (٣٣٤).

وكذلك فان في القرآن ما هو عام ومعناه خاص كقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ كُفَّارًا) (٣٣٤)، فهذا (لفظه عام ومعناه خاص لانه فضلهم على عالمي زمانهم بأشياء خصهم بها) (٣٣٤)، وقوله تعالى: (وَأَوْثَقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (٣٣٤)، ويعني بها بلقيس فهذا ايضا (لفظه عام ومعناه خاص، لانها لم تؤت أشياء كثيرة منها الذكر والالحية) (٣٣٤).

وهناك ما كان خاصا ومعناه عاما كقوله تعالى: (مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (334)، فهذا (كان لفظه خاصا في بني اسرائيل ومعناه عاما للناس كلهم) (٣٣٤).

و (اذا ورد لفظ العموم على سبب خاص لم يسقط عمومه.. وكيف ينكر هذا، واكثر احكام الشرع نزلت على اسباب، كنزول آية الظهار في اوس بن الصامت وآية اللعان في هلال بن امية ونحو هذا) (٣٣٤)

وللجواب عليهم:

- ١- ان هذا البحث الاصولي يختص بآيات الاحكام كما يتجلى ذلك واضحا من عنوانهم له (ان المورد لا يخصص الحكم)
- ٢- انما نرجع الى اسباب النزول لفهم معنى الآية وتشخيص من نزلت فيه لا لأجل ان نبحث العموم والخصوص في الحكم.
- ٣- ان هذه القاعدة الاصولية لا تمس المهم من بحث اسباب النزول؛ (لأن البحث الاصولي يتوجه الى شمول الاحكام المطروحة في الآيات لغير مواردنا وعدم شمولها، فالبحت يعود الى ان الآية هل تدل على الحكم في غير مواردنا ايضا كما تشمل موردها، اولا تشمل الا موردها دون غيره)^(٣٣٤)

- ب- انه لا أثر لهذا العلم في التفسير :
- فقد (زعم زاعم انه لا طائل تحت هذا الفن - أي فن اسباب النزول- لجريانه مجرى التاريخ)^(٣٣٤)
- وهذا الادعاء باطل ايضا من عدة وجوه:
- ١- ان الائمة Γ والعلماء صرحوا بضرورة معرفة اسباب النزول لمن اراد تفسير القرآن الكريم، ووصل الحد ببعضهم الى تحريم التفسير بدون معرفته.
 - ٢- ان لم يكن له اثر فما مصير آلاف المؤلفات التي كتبت عنه، هل ترمى في عرض البحر تحت هذه الذريعة؟!
 - ٣- ان اشكل فهم بعض الآيات القرآنية التي لا تفهم الا بمعرفة سبب نزولها فالى من الرجوع في ذلك؟!

ج- بعض العلماء استندوا الى حديث مروي عن الامام الصادق X للتقليل من اهمية اسباب النزول:

روى الكليني باسناده الى عمر بن يزيد قال: قلت لابي عبد الله X: (الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...) ^(٣٣٤).

قال X: نزلت في رحم آل محمد عليه وآله السلام، وقد تكون في قرابتك، ثم قال: فلا تكونن ممن يقول للشيء انه في شيء واحد ^(٣٣٤)

فهذا الشيخ حسن الكركي (ت: ١٠٧٦ هـ) احتمل ان مراد الامام القول: (انه لا عبرة بخصوص سبب النزول، وانما العبرة بعموم اللفظ) ^(٣٣٤)، معتبرا ان ما يفهم من كلام الامام X من قوله: (فلا تكونن ممن يقول للشيء...) هو: (انه لا يجوز حمل العام على شيء خاص؛ لان الاصل الظاهر من اللفظ هو العموم، واذا اردنا حمله على الخاص يجب ان توفر له الدليل والقرينة الواضحة، وهذه الآية وان نزلت في رحم آل محمد 7 الا انها تشمل كل الارحام والقربات الذين يجب على الانسان صلتهم ولا يختص بالبيت Γ) ^(٣٣٤).

ومن جملة صور الردود على هذا الفهم الذي اورده الشيخ الكركي:

- ١- ان الآية المذكورة لم تنزل في خصوص رحم آل محمد 7، وانما طبقت

عليهم باعتبارهم قرابة النبي 7 الذي له حق الابوة على الامة، وقد جعل المودة في قرباه اجرا لرسالته في قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٣٣٤)(٣٣٤).

فلا تناقض بين الاثنين.

٢- ان اللفظ وان كان عاما ، ولكن علم ارادة الخاص منه سواء من جهة التصريح بارادة خصوصية او لانهصاره به، فلا بد من الاعراض عن العموم وارادة الخصوص فقد يكون التصريح بسبب النزول قرينة على نفي العموم، ليكون الحكم في هذا الخبر على اطلاقه غير صحيح) (٣٣٤).

٣- ان ما ورد عن ائمتنا Γ من تأكيد على اهمية اسباب النزول وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لدليل على بطلان من ذهب الى هذا القول.

فمن تلك الاحاديث والايثار ما نقل عن ابي جعفر X باسناده عن عبد الرحيم القصير انه قال في قوله تعالى: (...وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٣٣٤): علي الهادي ومنا الهادي، فقلت: فانت جعلت فداك الهادي؟ قال: صدقت ، القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت فلو كانت الآية اذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين، كما جرت في الماضين (٣٣٤). الى غير ذلك من الاحاديث التي اوردها في مبحث (أهل البيت Γ واسباب النزول) فلا داعي للاعادة هنا.

واذا ضمنا هذه الاحاديث الى تلك الاحاديث المارة الذكر - أي في ذلك المبحث- يتضح لدينا ما يلي:

أ- ان خلود احكام القرآن بخلود هذا الكتاب، فهذه الاحكام حية به الى ما شاء الله.

ب- ان احكام القرآن هذه وكما جرت في الأولين فانها تجري كذلك في الآخرين الى يوم يبعثون، وهذه ميزة امتاز بها الكتاب العزيز عن بقية الكتب السماوية التي ماتت بموت انبيائهم وأهل ملهم، هذا ما دلت عليه هذه الاخبار، اما اذا حملنا دلالة هذه الاخبار على عدم الالتزام بخصوص اسباب النزول فهذا غير وارد ولا مقبول (٣٣٤).

د- الدس والتحريف في اسباب النزول:

حاول البعض التقليل من اهمية اسباب النزول ، بعدما نالها التحريف والدس، ونتيجة لذلك لم يعلق عليها السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) الكثير من الاهمية معتبرا ان المعارف القرآنية العالمية الدائمة لا تحتاج ابدا الى اسباب نزول حيث قال: (وليعلم ان الاهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة لا تحتاج كثيرا او لا تحتاج ابدا الى اسباب النزول) (٣٣٤).

وقد اسلفنا رأي السيد الصدر الثاني P الذي صب في الرافد نفسه (٣٣٤).

بينما نجد الواحد قد خالفهم الرأي معللا ذلك بالقول: (لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) (٣٣٤).

والحقيقة ان الآراء التي قللت من اهميتها ماكان لها وجود لولا ما احصي من

موضوعات ومدسوسات في هذا الباب، اصف الى ذلك روايات وردت لاشخاص لم يكونوا موجودين حين نزول الآيات، كما يحصل مثلاً فيما يروى عن ابن عمر او ابن عباس او عائشة في مناسبات النزول في السور المكية الأولى، ليس على نحو الرواية عن الغير والحكاية عنهم، بل على نحو الحضور والمشاركة في الحديث^(٣٣٤).

وهذه الاسباب مجتمعة هي التي دعت (الطباطبائي) وغيره من علماء الامامية الى التشكيك فيها.

على ان الطباطبائي قد اورد عدة نقاط بين فيها سبب عدم ثقته باسباب النزول موجزا اياها بما يأتي:

أ- سياق كثير منها يدل على ان الراوي لا ينقل السبب عن طريق المشافهة والتحمل والحفظ، بل ينقل قصة ما، ثم يحمل الآيات عليها حملاً ويربطها بها ربطاً، وفي الحقيقة ان سبب النزول الذي يذكره انما هو سبب اجتهادي نظري، وليس سبب مشاهدة بالعيان وضبطه بحدوده الدقيقة^(٣٣٤).

ب- ثبت تاريخياً ان الخلافة كانت تمنع من كتابة الحديث .. وبقي هذا المنع الى آخر القرن الأول الهجري أي لمدة تسعين سنة تقريباً.

هذا المنع فتح للرواة النقل بالمعنى... وشيوع النقل بالمعنى بهذا الشكل المريب هو احد الاشياء التي تسبب عدم الوزن لاحاديث اسباب النزول وقلة اعتبارها^(٣٣٤).

ويعتقد البحث ان السيد الطباطبائي (P) قلل من قيمة روايات اسباب النزول لاسباب التي ذكرها، الا ان الناظر الى تلك الاسباب يجد امكانية حملها على عموم ما ورد عن الرسول⁷، وعليه يكون علم الجرح والتعديل هو الحيز الذي تمحص فيه الرواية سواء اكانت في اسباب النزول ام في عموم ما ورد عن الرسول⁷ لان هذا يجنبنا الطعن بعشرات الروايات الصحيحة مثل اسباب نزول آية النجوى والمباهلة والانسان.

اضف الى ذلك ان الخلافة وان منعت كتابة الحديث لاغراض سياسية فلا نجزم ان روايات اسباب النزول قد اصابها المنع وذلك لانها كانت بمثابة قصص يتناقلها العوام من الناس، وان كنا نقر انهم منعوا تداول اسباب نزول آيات قد نزلت بأهل البيت [وفضائلهم، ولكنها وبالرغم من ذلك وصلت اليها عن طريق مواليتهم ومحبيهم.

اذا ادعاء من ادعى ان الدس والتزوير سببا في اسقاط اسباب النزول من الاعتبار ادعاء باطل.

المبحث الثالث:

عائدية اسباب النزول في فهم النص القرآني:

لو اراد احد ان يسلخ النص من خلفياته فلا يجد الا متاهة او ضياعا تنأى به النتائج الطبيعية لحركة النص^(٣٣٤).
واسباب النزول واحدة من تلك الخلفيات التي سارت تأريخيا يدا بيد مع النص القرآني، فكان لها دور مهم في فهمه وادراك كنهه.
من هنا صار الاهتمام بها حتميا بحيث اصبح من الصعب تجاوزها لانها من الامور التي يجب على المفسر الالمام بها ومعرفتها قبل الشروع في التفسير، فكان هناك آيات قرآنية لا تفهم الا اذا عرف سبب نزولها، ونورد هنا بعضا منها مصداقا لما أكد عليه بعض المفسرين - من انه لا يعرف السبب الا اذا عرف المسبب- وبها تتجلى لنا اهمية اسباب النزول:

اولا: ازالة اللبس والاشكال والابهام عن آيات الذكر الحكيم أي معرفة الحكمة الباعثة على التشريع.

فلولا اسباب النزول لأشكل فهم بعض الآيات على الناس وحملوا هذه الآيات ما لم تحمله كما حدث ذلك (لمروان بن الحكم عندما توهم ان قوله تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ)^(٣٣٤).

فان مروان قال لرافع بوابه: اذهب الى ابن عباس وقل له لئن كان امرؤ منا فرح بما أتى واحب ان يحمد بما لم يفعل عذب لنعذب اجمعين، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا انما دعا النبي 7 يهوداً فسألهم عن شيء فكتموا اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ)^(٣٣٤) الى قوله (يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا...) الآية.

ثانيا: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين: حتى لا يشتبه بغيره لان الخطأ في ذلك يقضي الى اتهام البريء وتبرئة الخائن. كما كان ذلك واضحا من بعض الكتاب القاصرين عن ادراك الحقائق. حيث أنهم ذكروا ان سبب نزول آية تحريم الخمر^(٣٣٤) انما هو اجتماع علي X مع جماعة في مجلس شرب الخمر حيث نقل الترمذي عن ابي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن ابي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا الخمر فاخذت الخمرة منا وحضرت الصلاة، فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فانزل الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)^(٤)(٥) علما ان التاريخ يشهد بكذب ذلك، فهذه الآية ليس لها سبب نزول عند اصحاب التفاسير الامامية عدا ما ذكره الكافي عن ابي اسامة زيد الشحام قال: قلت لابي عبد

الله X في قول الله عز وجل: (لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) فقال: سكر النوم^(٦) وقد تكرر الخطأ نفسه مع قوله تعالى: (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ)^(٧) حيث ادعى الخوارج انها نزلت في شأن ابن ملجم حين شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله بقتله سيد الموحدين علي X^(٨) والحقيقة انها كما صرح بها الامام ابو جعفر X انها (نزلت في علي X حين بات على فراش رسول الله 7 لما ارادت قريش قتله ، حتى خرج رسول الله 7 وفات المشركين غرضهم)^(٣٣٤). وكذا الحال نقل السيوطي ان عائشة ردت مروان حين اتهم اخاها عبد الرحمن بن ابي بكر بانه الذي نزلت فيه آية (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُيْهُ أَفٍّ لَكُمْ) ^(٣٣٤) وقالت: والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته)^(٣٣٤) الى آخر تلك القصة، فهي ردت الشبهة باسباب النزول.

ثالثا: اسباب النزول: (يبين مجملات ويدفع متشابهات)^(٣٣٤). فاننا نقرأ قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)) ^(٣٣٤) نلاحظ ان احدا اذا ظن (ان من هنا للشرط اشكل عليه كيف يكون الجور في الحكم كفرا ، ثم اذا علم ان سبب النزول هم النصارى علم ان (مَنْ) موصوله وعلم ان الذين تركوا الحكم بالانجيل ولا يتعجب منهم ان يكفروا بمحمد)^(٣٣٤).

رابعا: دفع توهم الحصر عما يفيد بظاھرہ الحصر^(٣٣٤): نحو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَلْهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..)^(٣٣٤) قال الشافعي: ان الكفار لما حرموا ما احل الله، وكانوا على المضادة والمحادّة، فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال لا حلال الا ما حرمتموه ولا حرام الا ما احلتموه، نازلة منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فنقول: لا اكل اليوم الا الحلاوة؛ الغرض المضادة، لا النفي والاثبات على الحقيقة ، فكأنه تعالى قال: لا حرام الا ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل)^(٣٣٤).

قال امام الحرمين : (وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية)^(٣٣٤)، اذ القصد منه اثبات التحريم في هذه الاشياء لا نفي الحرمة عن غيرها)^(٣٣٤)، ولها ايضا ثمة فوائد أخرى.

خامسا: وهذه الفائدة تتجلى في (ان في نزول القرآن عند حدوث الحوادث دلالة على اعجازه من ناحية الارتجال وهي احدى طريقتين لبلغاء العرب في اقوالهم فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا انه اساطير الأولين)^(٣٣٤)

سادسا: وهذه الفائدة تريد (تثبيت الوحي في ذهن كل من سمع الآية اذا عرف سببها وذلك لان ربط الاسباب بالمسببات والاحكام بالحوادث، والحوادث بالاشخاص والازمنة والامكنة، كل اولئك من دواعي تقرير الاشياء في الذهن وتسهيل

سابعا: تيسير الحفظ وتسهيل الفهم: حيث اننا نجد كثير من المربين في مجال التربية والتعليم يعانون من عدم انتباه الطلبة للدرس وبالتالي يؤدي الى عدم فهمهم وخصوصا في مجال درس القرآن وفهمه وتفسيره.

وقصة سبب النزول يثير انتباه الطالب ويشده للدرس، وبهذا سوف تساهم في تهيئة نفوس الطلبة لتقبل الدرس وتصورهم فيؤدي ذلك الى أن (تتوق نفوسهم الى معرفة ما نزل ملائما له وما يتضمنه من اسرار تشريعية واحكام تفصيلية تهدي الانسانية الى نهج الحياة والاقدام وصراتها المستقيم وسبيل عزها ومجدها وسعادتها)(٣٣٤).

ثامنا: تخصيص الحكم بالسبب:

وهذا عند (من يرى ان العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ)(٣٣٤)، فعلى رأي هؤلاء ان آية المجادلة في سورة المجادلة خاصة بخولة بنت ثعلبة عندما ظاهرها زوجها اوس بن الصامت ولا تتعدى الى غيرها (وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة)(٣٣٤).

تاسعا: عندما يتدرج المولى في بعض الاحكام ، أي انه لا يحرمها دفعة واحدة فتترسخ في نفوس الناس، ان هذا الدين ليس دينا استبداديا او تعسفيا في احكامه وانما رعاية مصالح الناس عنده فوق كل شيء، فيزداد المؤمن ايمانا على ايمانه، والكافر اذا كان من المنصفين يبهره صدق هذه الرسالة الالهية فيكون سببا لاسلامه، لأن ما ينزل بسبب من الاسباب انما يدل على عظمة المنزل وصدق المنزل عليه، ومن ذلك (ان المرأة كانت في الجاهلية اذا زنت تحبس في بيتها حتى تموت، والرجل يؤدي، فانزل الله في ذلك : (وَاللّٰتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوْنَ عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَاِنْ شَهِدُوْا فَاَمْسِكُوْهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتُ اَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا (١٥)) (٣٣٤) وفي الرجل: (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاَدُوْهُمَا فَاِنْ تَابَاْ وَأَصْلَحَاْ فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمَا اِنَّ اللّٰهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيْمًا (١٦)) (٣٣٤) فلما قوي الاسلام أنزل الله (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوْا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) (٣٣٤)(٣٣٤).

المبحث الرابع:

حالات اسباب النزول

بعد مطالعتنا لاسباب النزول وجدنا ان نزولها كان على حالتين:
الأولى: تعدد الاسباب والنازل واحد.
الثانية: تعدد النازل والسبب واحد.

الحالة الأولى: تعدد الاسباب والنازل واحد:

قد يتفق وقوع عدة اشياء في عصر الوحي كلها تتفق في اشارة واحدة وتستدعي نزول القرآن بشأنها ، كما اذا تكرر السؤال - من النبي مثلا عن مشكلة واحدة- فان كل سؤال يقتضي نزول الوحي بجوابه، ويقال في هذه الحالة ان الاسباب متعددة والمنزل واحد^(٣٣٤)، وقد فسر بعض العلماء سبب هذه الظاهرة بالقول: (وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه)^(٣٣٤). وعلى هذا نقول: (ان تعدد الاسباب ، قد يقتضي تعدد النزول ، وان كان النازل واحداً)^(٣٣٤).

وقد تكررت هذه الحالة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها:

١- (ان سورة الاخلاص نزلت مرتين في: احدهما بمكة جوابا للمشركين من اهلها ، والأخرى بالمدينة جوابا لأهل الكتاب الذين جاورهم النبي 7 بعد الهجرة)^(٣٣٤).

٢- نزلت : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا)^(٣٣٤) مرتين فقد قيل انها نزلت اولاً في (بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف)^(٣٣٤) . ونزلت ثانية في (بني المغيرة من بني مخزوم، وقيل نزلت في خالد بن الوليد)^(٣٣٤).
٣- قيل: (ان الفاتحة نزلت مرتين ، مرة بمكة وأخرى بالمدينة)^(٣٣٤).

٤- روي ان النبي 7 سئل مرتين عن وجد مع زوجته رجلاً كيف يصنع؟ سألته عاصم بن عدي مرة، وسألته عويمر مرة ، واتفق في مرة ثالثة ان هلال بن امية فذف امرأته عند النبي 7 بشريك بن سمحاء، فكانت هذه اسباباً متعددة تستدعي نزول الوحي، الهدف منها الوقوف على موقف الرجل الذي يقع على خيانة زوجته، وهل له الحق في قذفها وادانتها بدون بينه، ام لا يجوز ذلك الا ببينه؟ فان رضى لنفسه اتهامها بدون بينة ثم بان عكس ذلك استحق حد القذف شأنه في ذلك، شأن غير الزوج الذي يقذف امرأة غير زوجته)^(٣٣٤).

ولهذه الاسباب كلها نزل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦))^(٣٣٤).

اذا هنا تعددت الاسباب والمنزل واحد وغيرها كثير علما انه (في حالة تعدد السبب قد يوجد فاصل زمني كبير بين احد السببين والآخر، فيؤدي السبب الأول الى نزول الآية فعلاً ، ثم يتجدد نزولها حينما يوجد السبب الثاني بعد ذلك مدة، فيكون

السبب متعدد والنزول متعدد وان كانت الآية النازلة في المرتين واحدة^(٣٣٤)

الحالة الثانية: تعدد النازل والسبب واحد:

وكما يكون النازل واحد والاسباب متعددة كذلك يكون النازل متعدد والسبب الذي نزل من اجله واحدة وامثلته في القرآن الكريم كثيرة لكننا سنكتفي بالتعرض لواحد منها فقط للعلم:

فقد روي ان ام سلمة سألت رسول الله 7 قائلة: ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة ، فنزل قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلْزَمَ الْكُرْهُ الْكَرْهَ) ^(٣٣٤) وكانت هذه في سورة آل عمران ، وقيل ان الآية ٣٥ من سورة الاحزاب التي هي (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)) قد نزلت ايضا بعد حديث ام سلمة هذا^(٣٣٤)، وهناك رواية تقول ان ام سلمة قالت للرسول 7: يا رسول الله لا نغزوا مع الرجال ولنا نصف الميراث، يا ليت كنا رجالا، فكنا نقاتل معكم، فنزل قوله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ...) ^(٣٣٤) فهذه الآيات الثلاث المتفرقات التي ادرجت احداها في سوره آل عمران والأخرى في سورة النساء والثالثة في سورة الأحزاب، كلها نزلت بعد حديث ام سلمة مع رسول الله 7.

تنويه: قبل ختام الحديث عن حالات اسباب النزول لا بد من الاشارة الى (ان لا نسرع الى الحكم بالتعارض بين روايتين تتحدثان عن اسباب النزول اذا ذكرت كل منهما سببا لنزول مغاير للسبب الذي ذكرته الآية الأخرى لنزول نفس تلك الرواية، أو اذا تحدثت الروايتان عن سبب واحد فذكرت كل منهما نزول آية بذلك السبب غير الآية التي ربطتها الرواية الأخرى)^(٣٣٤)، وعلى هذا فلا تعارض بين روايات نزول آية ما، من ذلك

(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) ^(٣٣٤) والتي وردت في سبب نزولها عدة روايات^(٣٣٤) وذلك لعدة اسباب:

- ١- انه جائز ان يتعدد النازل والسبب واحد^(٣٣٤).
- ٢- ومن الجائز ايضا ان ينقل سبب للنزول ويراد به التفسير^(٣٣٤).
- ٣- وقد يراد بذلك انها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها^(٣٣٤) وعليه فلا تعارض بين هكذا روايات.

المبحث الخامس:

مجالات اسباب النزول

ان المتتبع لنصوص القرآن الكريم يجد ان آياته كلها ما نزلت الا لأجل الانسان الذي غرته قوته وعزته وصحته وما يملك من اسباب الثراء والجاه والسلطة وغيرها، فابتعد عن خالقه وذهب في عبادته مذاهب ، فجاء القرآن الكريم ليوقظه من غفوته وليكون له دواء من كل سقم وداء ، ولكل زمان ومكان.

وبهذا كانت الرسالة الاسلامية السمحاء ذات تأثير قوي وفعال في حياة الانسان في كل الازمنة والعصور فهو ذو ابعاد ثلاثة: (بعد الارهاص والتأسيس الماضي، وبعد البنى المنظورة أي الحاضرة ،بعد التأثير على المستقبل)^(٣٣٤)، وعليه لا يمكن لعطائها الفكري وتراثها المعرفي ان يتوقف عند حد معين ، وافق محدد لان البشرية تعيش على الدوام متجددة في افكارها ومتسعة في مداركها، وليس من المعقول لدين يبتغي الاستمرار والخلود ان يعجز في وقت من الاوقات عن تقديم ما يساهم في فتح آفاق مستجدة من التفكير والوعي لمعتنقيه ومتبعيه^(٣٣٤)

وعليه فان فعالية الدين الاسلامي والفكر الديني على الاستمرار والبقاء والتأثير في الممارسات العملية للناس مرهونة بقدرتها على الاستجابة لتغيرات الظروف الانسانية التي تتسم بدوام التطور والتبدل والتجدد، الامر الذي يستدعي اجابات وحلولا متطورة ومتغيرة لمشاكل ومستجدات كل عصر من العصور وليس من المقبول ابدا ان تتغير الظروف والاحوال البشرية في الوقت الذي تتوقف اجوبة الاسلام وحلول الفكر الديني عند اثارات الماضي ومشاكل السابقين.

الا يوجد في الاحكام ما يسمى (الثابت والمتغير) ، فالثابت معروف لدى الجميع، فحلال محمد 7 حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، وان كان هذا الثبات لا يمنحه الصفة الدائمة في كل الاحوال، فالدين عندما يحظر اكل الميتة والدم في الأمور الاعتيادية فانه يبيحهما في حالة الاضطراب وهكذا كل الاحكام الثابتة.

أما المتغير ، فان نصوص روايات اسباب النزول واحدة منه، وهذه النصوص تدلنا بما لا يقبل الشك على اهتمام بالغ بضرورة استجابة الدين لتطورات الوعي البشري وقدرة الدين الاسلامي بشكل خاص على القيام بهذا الأمر.

وما تطرحه النصوص الاسلامية في هذا الشأن هو ان دلالات النص لا تتوقف عند مستوى واحد من الفهم، بل هي تتعدد وتتعدد وتنوع الازمان والاشخاص ومستويات الفهم والادراك ، وان هذه النصوص - أي نصوص اسباب النزول- لها القابلية على الانفتاح على قراءات مختلفة، تتجدد وتتسع بتجدد افكار البشر واتساع مداركهم المعرفية المختلفة وبذا يمكن القول: ان النصوص الاسلامية جعلت انفتاح النص على الافهام المختلفة وقابليته للقراءات المتنوعة ميزة اساسية وحيوية من ميزات النص الديني ، وهذا هو الذي قصده امير المؤمنين X حينما وصف القرآن

بقوله: (ان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تقنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات الا به) (٣٣٤)

وهذا المعنى بثه X في هذه السطور ايضا حيث قال: (واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، و الهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان ، زيادة في هدى او نقصان في عمى) (٣٣٤)

والى هذا المعنى اشار الامام الصادق X بالقول: والله اني لا علم كتاب الله من اوله الى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، فيه تبيان كل شيء... كما قال تعالى. (٣٣٤)

وما النصوص التي اوردناها عن الائمة Γ في حديثنا عن آرائهم في اسباب النزول الا دليل آخر على قابلية النص للتوسع بابعاد مختلفة وعلى الدور الذي يقوم به النص القرآني في فتح آفاق للناس بشكل دائم ومستمر على كل جديد ومتغير في فهم خطاب الدين وكلماته. وما بقاء باب الاجتهاد عند الامامية مفتوحا على مصراعيه الا دليل على ان هذا الدين يمتلك القدرة على معالجة مشاكل الحياة المتجددة، وذلك لان الفقيه عندما يقوم بمهمة الاستنباط لا يمكنه ان يتغافل عن حيثيات الزمان والمكان والتغيرات التي تطرأ على مجمل الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، لهذا ومن اجل ان يكون الحديث عن مجالات اسباب النزول حديثا محدد الابعاد واضح المعالم فسوف نتحدث عن المجالات الرئيسية في الدين مع الاشارة الى طبيعة اسباب النزول تحكم كل مجال او بعد من الابعاد، لما تمثله باعتبارها منظومة فكرية شاملة وواسعة لا يمكن اختزالها في بعد او مجال واحد من مجالات المعرفة، وان كان النص القرآني الواحد له القدرة على استيعاب اكثر من مجال من هذه المجالات، وهذا المعنى هو الذي قصده صاحب الميزان حينما اشار الى فحوى بعض احاديث ائمة اهل البيت Γ واهميتها فقال: انك اذا تصفحت كلمات الائمة Γ في عموم القرآن وخصوصه، ومطلقه ومقيده، لوجدت كثيراً ما استفاد حكم عموم الآية ، ثم استفاد حكم آخر مع ملاحظة خصوصها، فقد يستفاد (الاستحباب) من الآية من وجه عمومها، و (الوجوب) من وجهها الخاص، وهكذا الحرمة والكراهة من الوجهين للآية بذاتها... الى أن قال: وعلى هذا المقياس نجد اصولا هي مفاتيح لكثير من مغالق الآيات، انما تجدها في كلماتهم Γ لا غيرها... ثم قال: ومن هنا يمكنك ان تستخرج من لباب كلامهم في المعارف القرآنية قاعدتين اساسيتين:

الأولى: ان كل عبارة من عبارات الآية الواحدة، فانها لوحدها تفيد معنى وتلقي ضوءاً على حكم من احكام الشريعة.. ثم هي مع العبارة التالية لها، تفيد حكماً آخر، ومع الثالثة حكماً ثالثاً... وهكذا دواليك.. مثل قوله تعالى (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ دَرُّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ((٩١)) (٣٣٤)(٣٣٤)

فقوله : (قُلْ اللَّهُ) جملة تامة الافادة... وهي مع قوله: (ثُمَّ دَرُّهُمْ) ايضا كلام آخر هو تام ومع: (في خَوْضِهِمْ)... وكذا مع (يَلْعَبُونَ) كلا كلام ذو فائدة تامة ... واعتبر

نظير ذلك في كل آية شئت من آيات القرآن..

الثانية : ان القصتين والمعنيين اذا اشتركا في جملة او نحوها فهما راجعان الى مرجع واحد.

قال: وهذان سران تحتها اسرار ... والله الهادي^(٣٣٤).

هذا فيما يخص الاحكام ، اما اذا اردنا تطبيق هذه القاعدة على اسباب النزول فلنأخذ مثالا واحدا ينبئك حالها عن بقية الاسباب .

فمثلا قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨))^(٣٣٤).

فقد قيل في اسباب نزولها عدة أقوال:

الاول: قيل نزلت بشأن الجن، استأذنوا رسول الله 7 ان يشهدوا مسجده.. وقد كان صعبا عليهم وهم منتشرون في فجاج الأرض... فنزلت : انه كل موضع من الارض فهو مسجد لله يجوز التعبد فيه.. سوى انه يجب الاخلاص في العبادة في أي مكان كانت اخرج به ابن ابي حاتم عن طريق ابي صالح عن ابن عباس^(٣٣٤) ، وكذلك رويت عن سعيد بن جبير^(٣٣٤) هذا اذا اخذت المساجد بمعنى المعابد : أي امكنة العبادة ، وربما فسرت بمعنى المصدر ، ذات العبادات باسرها خاصة بالله تعالى لا يجوز السجود لغيره.. روي ذلك عن الحسن^(٣٣٤).

وقال جمع من المفسرين كـ (سعيد بن جبير) و (الزجاج) و (الفراء): انها المواضع السبعة حالة السجود وهي لله، اذ هو خالقها والذي انعم بها على الانسان، فلا ينبغي ان يسجد بها لاحد سوى الله تعالى^(٣٣٤) وهذا التفسير هو الذي اعتمدته ائمة اهل البيت ٦ وقد اخذ به الامام الجواد X حينما سألته المعتصم العباسي عن هذه الآية فاخبره: هي الاعضاء السبعة التي يسجد عليها، وهذا كان جوابه X حينما جيء بسارق في مجلس المعتصم، اختلف الفقهاء في موضع القطع من يده، فكان الامام يرى ان يكون القطع من مفصل الاصابع ، وعندما سألته المعتصم عن السبب في ذلك أجاب: بان راحة الكف هي احدى مواضع السجود السبعة ، وان المساجد لله^(٣٣٤) ، فمن هذا استنبط الامام X وبأسلوب بديع ورائع دليلا على حكم من احكام الشرع حل بها معضلة حار الفقهاء فيها^(٣٣٤).

فهذا احد الادلة على ان اسباب النزول مع تفسير الآية لها خاصية التوسع كي تمنح النص (صورة اجتماعية انسانية زمانية ومكانية متحركة تجاه النص القرآني على اعتبار انها علم يرصد الاسباب الاجتماعية التي ساهمت في ولادة النص او تحريكه او بنائه)^(٣٣٤).

وعلى هذا تكون اسباب النزول هي الاطار الاجتماعي الموضح لحركة النص وليس المقيد له، (ولا ريب من ان فهم الاطار او الصورة الاجتماعية او الحدث الانساني الذي يساهم او ساهم بتحريك النص القرآني وانزاله للواقع ، لا ريب انه الاطار الذي يعطينا الابعاد الحركية للنص القرآني ، والاهداف الحقيقية لهذا النص كما انه يمثل روح النص ومدركه الواقعي ، ولذلك اهتم علماء الاسلام بهذا الباب من ابواب العلوم القرآنية، لما يمثله من ابعاد انسانية واجتماعية وبيانية للنص القرآني)^(٣٣٤).

وبعد كل هذه المواصفات التي تمتع بها النص القرآني النازل بسبب نأتي لبيان ابعاد مجالات اسباب النزول ، والتي تتمثل في:

١- المجال العقائدي :

ان من اسمى الاهداف الالهية لارسال الانبياء والمرسلين هو تعريف المخلوقين بخالقهم الواحد الذي لا شريك له، والذي له شتى الصفات الثبوتية والسلبية.

وكل ما يعني بيانه في هذا المجال من المعارف المتعلقة ببداية عالم الخلق وكيفية صنعه تعالى الانسان باعتباره اشرف مخلوق خلقه الله، ثم اطلاعه على كثير من الغيبات التي يعجز البشر عن ادراكها وما الى ذلك من علوم تخص عقيدة الانسان وفي صلبها ما يسمى بـ(اصول الدين). فكانت سورة التوحيد اول ما نزلت لبيان صفاته التي قيل ان سبب نزولها، كما رواه محمد بن يعقوب عن احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابي ايوب، عن محمد بن مسلم ، عن ابي عبد الله X قال: ان اليهود سألوا رسول الله 7 فقالوا: انسب لنا ربك فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٣٣٤) الى آخرها (٣٣٤) فعرّفت المخلوق قيمة الخالق، وان لا تعددية في العبادة ، وان بعض الاوائل كانوا يفهمون الامور على بساطتها، فلربما كانوا يفهمون ان الله سبحانه وتعالى واحد بالوحدة العددية ولكننا اليوم نرى انه تعالى واحد بالوحدة الحق الحقيقية ، وليس واحدا عدديا. اذا مفهوم الآية - سورة التوحيد- عند البشر وعلى مر العصور يختلف ، وهذا من جملة الحقائق الدينية التي يتغير فهم البشر لكنها ويتبدل وعيهم لحقيقتها في ضوء ما يستجد لهم من وعي وما يتطور لهم من معارف وما يفتح لهم من آفاق (٣٣٤).

وهذا الفهم الانساني وتغير وعي البشر لهذه الحقائق الدينية قد اشار اليه الامام زين العابدين X عندما سئل عن التوحيد فقال: ان الله عز وجل علم انه يكون في آخر الزمان اقوام متعمقون، فانزل الله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) والآيات من سورة الحديد أي قوله تعالى: (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (٣٣٤) فمن رام وراء ذلك فقد هلك (٣٣٤).

وهذا احد الادلة على خلود ما نزل باسباب من امور عقائدية وان اختلف مفهوم البشر له. ولناخذ مثلا آخر في العقيدة نزل بسبب، فقوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (٣٣٤)، هو خطاب خالد بخلود القرآن ليس لمن احب رسول الله 7 فحسب ، بل في كل من احب انسانا وحاول ان يجره الى جادة الهدى والصلاح، بيد ان هذه الآية نزلت في الحارث بن النعمان بن عبد مناف (٣٣٤) وكان النبي 7 يحبه ويحب اسلامه فقال يوما للنبي 7: انا لنعلم انك على الحق، وان الذي جئت به حق، ولكن يمنعنا من اتباعك ان العرب تتخطفنا من ارضنا ، لكثرتهم وقلتنا، لا طاقة لنا بهم، فنزلت الآية وكان النبي 7 يؤثر اسلامه لميله اليه (٣٣٤) وان ادعى البعض زورا وبهتانا انها نازلة في ابي طالب (٣٣٤).

ثانيا - المجال التشريعي :

جاء الدين يحمل كثيرا من التشريعات والقوانين التي استهدفت تنظيم حياة الانسان وعلاقاته فيما يرتبط بعلاقته مع ربه ومبدعه، وفيما يرتبط بعلاقته مع الآخرين من بني جنسه، وفيما يرتبط بعلاقته مع الطبيعة وما سخر الله له من نعم ومخلوقات.

وما نزل منه لاسباب لاجل التشريع كثير ، فلا نبالغ اذا قلنا ان آيات الاحكام الخمسمائة يكاد معظمها قد نزل لاسباب. من هنا جاء الخطاب الرباني في اكثر من موضع من القرآن (ويسألونك) من ذلك (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) (٣٣٤)... الخ وقد احصيت في هذا الباب يسألونك (١٦ مرة) (٣٣٤).

وهذا عائد على ما يعتقد البحث الى ان القرآن نزل على امة امية لم يسبق ان ارسل بين ظهرانيها نبي (٣٣٤)، لكننا نجد في نفس الوقت انهم برعوا في مجال البلاغة والبيان وهذا ما اهلهم لان يكونوا ميالين للتعلم.

من هنا كثرت تساؤلاتهم عن كثير من الامور لمعرفة ما شرع لهم وما عليهم، فكانوا يتلقون ما شرع لهم عن رسول الله 7 في اكثر الاحيان مجملا لا تفصيلا فيه كقوله تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (٣٣٤) ، فكانت مهمته 7 بيان ما اجمل وايضاح ما ابهم ، ولهذا اعتبر المسلمون السنة مكملة وشارحة للقرآن واهتموا ببيانها... ومن الآيات التشريعية النازلة باسباب:

١- قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) (٣٣٤) .

فعن صفوان ، عن عبد الله بن مسكان ، عن ابي عبد الله X : انه لما نزلت : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (١٠) (٣٣٤) خرج كل من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله 7 في اخراجهم فانزل الله تعالى ... الآية (٣٣٤) وانت تتأمل هذه الآية التي نزلت لتشريع حكم ابدى الى يوم القيامة وان كانت نازلة على اثر سؤال وجه للنبي 7 لكنها ادت اغراضا كثيرة احدها ضمانت حقوق الايتام وحثت على ضرورة رعايتهم وكيف ان كافل اليتيم سيكون من المقربين يوم القيامة فجاءت السنة لتؤكد هذا الاجر عندما قال 7: (انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئا (٣٣٤)

٢- قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١٠٦) (٣٣٤) قيل نزل قوله تعالى : (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه، فاعطاهم عمار ما ارادوا منه، ثم اخبر سبحانه بذلك رسول الله 7 فقال قوم : كفر عمار ، فقال رسول الله 7 : كلا ان عمارا ملي ايماننا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه.

وجاء عمار الى رسول الله 7 وهو يبكي، فقال 7: ما وراءك، فقال شرييا رسول الله ، ما تركت حتى نلت منك وذكرت الهتهم بخير ، فجعل سول الله 7 يمسح

عينيه ويقول: ان عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة^(٣٣٤).
فهذه الآية وان نزلت على اثر هذه الحادثة الا انها شرعت التقية حكما اسلاميا
الى يوم القيامة (فالشيعية يستخدمون التقية تماما كما استخدمها عمار (رض) وهذا
التشريع الذي نزل من اجل عمار هو تشريع لجميع المسلمين، اذ العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب)^(٣٣٤)

لذا فحكمها سار ما بقي الليل والنهار يستخدمها المسلم كلما احس ان خطرا ما
يهدد حياته ، والامامية على مر العصور كانوا اكثر الناس حاجة لها فقد روي علي
بن ابراهيم، عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة، قال: قيل لابي عبد الله X: ان
الناس يروون ان عليا X قال على منبر الكوفة: ايها الناس انكم ستدعون الى سبي
فسبوني ثم تدعون الى البراءة مني فلا تتبرؤا مني. فقال الامام الصادق X: (وما
اكثر ما يكذب الناس على علي X ، ثم قال : انما قال: انكم ستدعون الى سبي،
فسبوني ثم تدعون الى البراءة مني، واني لعلي دين محمد 7 ولم يقل: ولا تبرؤا
مني) فقال له السائل : ارأيت ان اختار القتل دون البراءة؟ قال: (والله ما ذلك عليه ،
وماله الا ما مضى عليه عمار بن ياسر، حيث اكرهه اهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان
، فانزل الله عزوجل: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)، فقال له النبي عندها: يا
عمار ان عادوا فعد ، فقد انزل الله عز وجل عذرك.... وتلا الآية ... وامرك ان تعود
أن عادوا)^(٣٣٤).

ثالثا : المجال الأخلاقي الاجتماعي :

جاء القرآن الكريم واقام بناءه (على اساس القيمة الخلقية للفرد
وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة ، فاما الفرد فان ثوابه مستحق يوم الحساب ، ومن
اجل هذا يقرر القرآن صراحة القيمة الدينية للفرد في قوله تعالى: (ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ
وَحِيدًا (١١))^(٣٣٤) واما الجماعة فان جزاءها عاجل ، يلفتنا القرآن الى قصته في هذه
الدنيا حين يدعونا دائما الى تأمل العقاب الدنيوي في عواقب الامم البائدة ،
والحضارات الدارسة:

(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١))^(٣٣٤)^(٣٣٤).
من هنا كان الربط بين تصرفات الافراد بما هم افراد وبين تصرفات الجماعة
ككل وبالتالي اعتبار الفرد من الجماعة بناء على ان هلاك الجماعة انما حدث بعد
صدور تصرفات فردية وبالتالي جماعية ادت الى سبب الهلاك او سبب الاثابة. وما
نزل بسبب يحث المسلم على التحلي بالاخلاق الحسنة كثير نختار منه نصين فقط:
١ - قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا
بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١))^(٣٣٤)

قيل: ان سبب نزولها صفية بنت حيي بن اخطب وكانت زوجة رسول الله 7
وذلك ان عائشة وحفصة كانتا تؤذيانهما وتشتمانهما وتقولان لها: يا بنت اليهودية ،
فشكت ذلك الى رسول الله 7 ، فقال لها: الا تجيبيهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال

7: قولي : ان ابي هارون نبي الله ، وعمي موسى كليم الله ، وزوجي محمد رسول الله، فما تنكران مني؟ فقالت لهما، فقلنا: هذا علمك رسول الله، فانزل الله الآية ... (٣٣٤)

وهذه الآية وان كانت نازلة لهذا السبب ، لكنها ارادت ان تضع حدا لتعامل البشر بعضهم مع بعض، ان لا يتعاملوا على اساس ابن من، بل على اساس ايهم اقرب الى الله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) (٣٣٤) ، ارادت من المسلم ان يتخذ من صاحب الرسالة مثلاً يحتذى به في كل شيء (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)) (٣٣٤) ارادت ان تنظف المجتمع من كل انواع المهارات اللا اخلاقية ليكون مجتمعا تسوده المحبة والوئام.

٢- قوله تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)) (٣٣٤)، عن ابن الجارود ، عن ابي عبد الله X عن هذه الآية قال: ذهب علي امير المؤمنين فأجر نفسه على ان يستقي كل دلو بتمرة يختارها، فجمع تمرات فأتى به النبي 7 وعبد الرحمن بن عوف على الباب، فلمزه - أي وقع فيه - فانزلت هذه الآية ... الى قوله تعالى (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (٣٣٤)(٣٣٤) فهذه الآية وان كانت نازلة بعد هذه الحادثة وفي هذه المناسبه ، لكنها تخاطب الإنسان المسلم على مدى التاريخ ، تريد منه أن يسعى في حاجة أخيه المسلم دون منة منه على أحد ، وحرصاً على أن يصطبغ المجتمع المسلم بصبغه متميزة تعكس طبيعة القيم الدينية والمثل الانسانية والاخلاقية التي تميزه عن غيره من المجتمعات لأن حاجتنا اليوم الى تنمية القيم الاخلاقية العليا ، واحياء الكرامات الادمية وايقاد جذوة الضمانر لاهي حاجة ملحة في خضم الأهواء والانحرافات الاخلاقية التي باتت تشكل خطراً كبيراً على المبادئ والقيم الاسلامية السمحاء ، لأن الحياة العارية عن تلكم القيم والفضائل أشبه بنهر عديم الماء وليس فيه خير ورحمة ، وان علت ورقت في جانب العلم الى أرقى الدرجات - وهذا مع الأسف الشديد- ما نشاهده في حياة البشر في عصرنا الحاضر ، ففي حين ارتقائه العلمي الى درجة كبيرة رجع في القيم الانسانية القهقرى بحيث صارت الجاهلية في هذا المجال أسوأ وأقبح من الجاهلية الأولى ، وحاجتنا الى الأخلاق اليوم من أهم الحاجات العصرية بل هي أعظمها ؛ لأن القيم الأخلاقية وليدة المعرفة والايمان بالله تعالى فمن عرف الله عرفها وتزين بها .

٤- المجال الجهادي:

الاسلام دين السلام والمحبة ، دين لا إرهاب فيه ولا دماء ولا قتل ولا تشريد ، ولا أسر ولا سبي ، لكنه وفي الظروف العصبية التي تحل بأتباعه -لتكون أيديهم فوق الأيادي- يضطر لتشريع القتال دفاعاً عن الدين ومبادئه ، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى . فقد نزلت في ذلك الشأن عدة روايات تحثهم على القتال منها :-

١- قوله تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (٣٣٤).

يقال : ان المشركين ، كانوا يقولون : إن أصحاب محمد 7 يقتلون أنفسهم في الحرب لا لمعنى ، فأنزل الله تعالى الآية ... وأعلمهم انه ليس الأمر على ما قالوه ، وانهم سيحيون يوم القيامة ويثابون ، حكاه البخاري ، وقد سمى الجهاد هنا بـ(سبيل الله) وذلك لأنه طريق الى ثواب الله تعالى (٣٣٤).

وان كان موضوع حياتهم هذه محل اختلاف لدى العلماء فمنهم من قال حياتهم تكون يوم استشهادهم ، وآخرون قالوا تكون يوم القيامة ، وأياً تكون النتيجة تبقى الآية نبشاً يستضيء به السائرون على طريق الشهادة وعلى مر العصور ، متخذين من الحسين (عليه السلام) مشعلاً يضيء دروبهم لأنه التجسيد الحي لهذه الآية.

٢- قوله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (٣٣٤).

فعن محمد بن العباس ، قال : حدثنا عبد العزيز بن يحيى عن محمد بن زكريا عن أحمد بن محمد بن يزيد ، عن سهل بن عامر البجلي عن عمرو بن أبي المقدام ، عن جابر ، عن أبي جعفر X قال : قال علي X : كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله 7 أنا وعمي حمزة ، وأخي جعفر ، وابن عمي عبيدة بن الحارث على أمر وفينا به الله ولرسوله فتقدمني أصحابي وخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل ، فأنزل الله سبحانه فينا : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ) (٣٣٤) ، حمزة وجعفر وعبيدة ، (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) فأننا المنتظر وما بدلت تبديلاً (٣٣٤).

وهذه الآيات وان كانت هذه أسباب نزولها ، لكنها بقيت نبشاً ينيّر دروب الثائرين الى يومنا هذا والى يوم القيامة ، وما قوافل الشهداء والقرايين التي قدمت الا دليل على سريان مفعول تلك الآيات الى يوم القيامة أي أن (الوارد لا يخص المورد).

وقبل أن نختم هذا المبحث لابد من الإشارة الى أن هناك آيات قرآنية نزلت لأسباب ، ولكنها لم تقع حوادثها في عهد النبي 7 وانما وقعت بعد وفاته 7، وهذا يعود على ما يعتقد البحث الى ان :

١- عند تحقق الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن الكريم يزداد المؤمنون

ايماًناً ويقوى ايمان ضعيفي النفوس .

٢- افهام الرسول 7 ان ليس كل أصحابه على درجة واحدة من الأيمان وانما سيكون هناك من يرتد على عقبيه ناكصاً منحرفاً عن الدين القويم ، وبذا تكون هذه الأمة قد ابتليت كما ابتلى بنو اسرائيل من ان بعض أبنائها سينحرفون عن الشريعة الغراء خصوصاً انه تعالى قد أخبرهم بذلك قائلأ لهم: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) (٣٣٤)، أي لتسلكن سبل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء (٣٣٤) .
وهذا النوع من الآيات اهتم بالافعال والحوادث التي تشعر بحدث مهم قريب الوقوع وقد اطلق عليه مصطلح (الارهاصات القرآنية) (٣٣٤) وقد ضم القرآن الكريم الكثير من هذا النوع من الآيات نأخذ منها نموذجين :

١- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٣٣٤) .
قال أبو جعفر وأبو عبد الله X وروي ذلك عن عمار وحذيفه ، وابن عباس : انها نزلت في أهل البصرة ومن قاتل علياً X فروي عن أمير المؤمنين X انه قال يوم البصرة : (والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم) وتلا هذه الآية (٣٣٤)
ومثل ذلك روى حذيفة وعمار وغيرهما والذي يقوي هذا التأويل ان الله تعالى وصف من عناه بالآية بأوصاف وجدنا أمير المؤمنين X مستكماً لها بالاجماع ، لأنه قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) وقد شهد النبي 7 لأمر المؤمنين X بما يوافق لفظ الآية اضافة الى انه 7 أنذر قريش بقتال علي لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا له : يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فاردهم علينا ، فقال رسول الله 7 : لتنتهين يا معاشر قريش أو ليبعثن الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما ضربكم على تنزيله فقال له بعض أصحابه : من هو يا رسول الله أبو بكر قال : لا ولكنه خاصف النعل في الحجره ، وكان علي 7 يخصف نعل رسول الله 7....) (٣٣٤) .

وروى ابن اسحاق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله 7 قال : يرد علي قوم من أصحابي يوم القيامة فيجلون عن الحوض فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال انك لا علم لك بما احدثوا من بعدك ، انهم ارتدوا عن أديارهم القهقهري (٣٣٤) .

وان وردت فيها روايات انها نزلت في مهدي الأمة (عج) وأصحابه وأولها خطاب لمن ظلم ال محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن أن ينصر هذا القول بأن قوله تعالى : (يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ) يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول

الخطاب^(٣٣٤).

٢- قوله تعالى : (وَأَنفُوا فِتْنَةً لِّأُتَصِيَّبَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٣٣٤).

قال الحسن والسدي ومجاهد وابن عباس : نزلت هذه الآية في أهل الجمل ، وقال قتاده قال الزبير : لقد نزلت وما نرى ان أحداً منا يقع فيها ثم اختلفنا حتى أصابتنا الخاصة^(٣٣٤).

والى هذا ذهب أيضاً القرطبي^(٣٣٤) ، والفخر الرازي^(٣٣٤) والطبرسي في مجمع البيان قال : (عن الحسن قال نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها ، فخالفنا حتى أصابتنا خاصة، وقيل نزلت في أهل بدر خاصة أصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا)^(٣٣٤) . وقد نقل الطبرسي أيضاً حديثاً وباسناد طويل – لا نرى ضرورة لنقله كاملاً- فعن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (واتقوا فتنة ...) قال النبي 7 : (من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد بنوتي ونبوته الأنبياء قبلي)^(٣٣٤).

وهناك آيات أخرى كلها من الارهاصات القرآنية ولكن لا نجد ضرورة لحصرها هنا ، فقط أردنا القول انها عدت من الآيات النازلة لأسباب وان لم تنزل بعد حادثة أو سؤال وجه للنبي 7 كما عرفنا من شأن النزول وأخيراً نود ان نذكر ان هناك مجالاً خامساً هو المجال التاريخي ولكننا فضلنا عدم التحدث عنه لأننا تقريباً قد استوفينا الحديث عنه عند حديثنا عن الوظيفة التاريخية في التمهيد.

الفصل الثاني

أسباب النزول بين الجمهور والأمامية

المبحث الاول: أسباب النزول عند الجمهور .

أ – آراء الجمهور بأسباب النزول .

ب – كتب أسباب النزول عند الجمهور .

المبحث الثاني: أسباب النزول عند الأمامية .

أ – عرض أسباب النزول عند الأمامية .

ب – آراء الأمامية في أسباب النزول .

المبحث الاول:

أسباب النزول عند الجمهور

أ – آراء الجمهور بأسباب النزول .

تختلف أسباب النزول لدى علماء الجمهور في آرائهم بين التأكيد عليها والإلزام بها، وبين اعتبارها عاملاً مساعداً لفهم المراد من كتاب الله تعالى وبإمكان البحث ان يلقي ضوءاً كاشفاً على ابرز السمات لديهم تاريخياً بحسب السبق في الرأي، والاقدمية في الوفاة .

فنجد الواحدي(ت ٦٨ هـ) في معرض حديثه عن أثرها في تفسير القرآن يقول: (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية اليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها ولايحل القول في أسباب نزول الكتاب، الا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل ووقفوا على

الأسباب وبحثوا في علمها وجَدُّوا في الطلاب . وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار^(١) .

وهنا نجد الواحدي، مبالغاً في أهمية أسباب النزول اذ اعتبرها أهم مباحث علوم القرآن على الإطلاق فلا ينبغي لأحد ان يفسر القرآن ما لم يُلمَّ بها .
بينما نجد أبا الفتح القُشَيْرِي (ت ٤٦٥ هـ) يقول : (بيان سبب النزول طريقٌ قويٌّ في فهم معاني الكتاب العزيز وهو امرٌ تَحَصَّل للصحابه بقرائن تحف بالقضايا)^(٢) . وهذا معتدلٌ بهذا العرض، حيث اشترط فيه نقل الصحابي له .

في حين نجد الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) يخطيء (من زعم إنَّه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك، بل له فوائد ...)^(٣) .

وقد ختم بحثه عنها بالقول : (فاعلم أنه جرت عادة المفسرين ان يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث ... بتقديم السبب على المسبب)^(٤) .

وهو بذلك لايجري مجرى التاريخ بل يذكر له بعض الفوائد المترتبة عليه ويأتي بعده السيوطي (ت ٩١١ هـ) فيسير على خطاه بالقول (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)^(٥) .

علماً أن ما يُلفت النظر بآرائه بها أنه الوحيد الذي شرط سبب النزول بـ (أيام وقوعه) وهذا الشرط قد ضيق كثيراً على أسباب النزول ولكنه كان محقاً بما ذكره من مبررات وقد اشرنا اليها سابقاً . فهو اذن يعتبر سبب النزول إحدى الطرق المؤدية لفهم معاني القرآن .

الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) جعل العلاقة وثيقة بين أسباب النزول وتحصيل علوم القرآن واستدل على ذلك بأمرين :

الوجه الأول : (ان علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب انما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ... ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بُد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال وينشأ عن هذا الوجه)^(١) .

الوجه الثاني : (وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع)^(٢) . وأورد في ذلك عدة روايات في نهاية كل آية يستخلص نكتة مهمة عن دور أسباب النزول في فهم النص القرآني منها : أنه بيّن (ان الغفلة عن أسباب التنزيل يؤدي إلى الخروج عن المقصود بالآيات)^(٣) .

ومنها (لو فقد ذكر السبب لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات)^(٤) .

ثم يستدل على (أن علم الأسباب من العلوم التي يكون العالم بها عالماً بالقرآن)^(٥) وذلك من خلال رواية يرويه عن الحسن انه قال: (ما انزل الله آية الا وهو يحب ان يعلم فيما أنزلت وما أريد بها وهو نص في الموضع مشيراً إلى التحريض على تعلم علم الأسباب)^(٦) .

وبهذا يكون الشاطبي قد منح أسباب النزول الثقة الكاملة والدور البارز في الكشف عن مراد الله تعالى .

ومن جاء بعده لم يَمْنَحْها الثقة التي مَنَحَها هو إياها فهذا الدهلوي(ت ١١٧٦هـ) قد تحدث عنها في موضعين من كتابه^(١) فقال : (ولا يشترط إحاطة المفسر بهذه الأشياء وإنما شرط المفسر أمران :

الأول : ما تعرض له الآيات من القصص فلا يتيسر فهم الإيماء بتلك الآيات إلا معرفة تلك القصص .

الثاني : ما يخصص العام من القصة أو مثل ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر فلا يتيسر فهم المقصود من الآيات إلا بدونها)^(٢) .

وإنما وصل إلى هذه النتيجة بعد أن يؤس من معرفة ما هو بسبب وما هو ليس بسبب خصوصاً بعد دخول الإسرائيليات في الحديث النبوي أو قد تكون الأسباب التي ذكروها مما استشهد به(9) واستنبطه أحد الصحابة وبمرور الزمن حُسبت على أسباب النزول وعدت منها ففي هذا يقول (ومن المواضع الصعبة معرفة أسباب النزول ووجه الصعوبة فيها خلاف المتقدمين والمتأخرين، والذي يظهر من استقرار كلام الصحابة والتابعين، أنهم لا يستعملون ((نزلت في كذا)) لمحض قصة كانت في زمنه(9) وهي سبب نزول الآية . بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه(9) وهي سبب نزول الآية)^(٣) .

ثم أردف الحديث عنها في موضع آخر من كتابه فقسمها على قسمين :

الأول : أن تقع حادثة يظهر فيها إيمان المؤمنين، ونفاق المنافقين، كما وقع في أحد والأحزاب، أنزل الله تعالى مدح هؤلاء، وذم أولئك ليكون فيصلاً بين الفريقين وربما يقع في مثل هذا من التعريض بخصوصيات الحادثة ما يبلغ حد الكثرة، فيجب أن يذكر شرح الحادثة مختصراً ليتضح سوق الكلام .

الثاني : أن يتم معنى الآية وعمومها من غير احتياج إلى العلم بالحادثة التي هي سبب النزول والحكم لعموم اللفظ لا بخصوص السبب)^(٤) .

ثم ختم كلامه إلى خلاصة البحث فقال: (أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً وللقصص المتعددة هناك سعة فمن استحضر هذه النكتة يتمكن من حل ما اختلف من سبب النزول بأدنى عناية)^(١) .

ومن كلامه هذا نستخلص أنه ناقد على ما أدخل في أسباب النزول واعتبر أن ما قيل في أسباب النزول ليس أكثره من الموثق والصحيح بل أن لإجتهادات الصحابة فيه رأياً والله أعلم .

إما ألقاسمي(ت ١٣٨٨هـ) فلم أجد له في محاسنه^(٢) أي رأي مستقل بل نقل آراء الآخرين أمثال ابن تيميه والزرکشي ... الخ، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أنه صوباً آراء كل من سبقه في حين كان المفروض منه أن تكون له وقفة مع كل رأي من آرائهم لأنه واحد ممن حسبوا على علمائهم !!! .

وسلك عبد القادر ملا حويش ال غازي(ت ١٣٨٨هـ) السلوك نفسه، فقد تحدث عن أسباب النزول بلسان ابن تيمية، فقد كان نَفْسُ ابن تيميه فيه واضحاً فهو قال بما

قال ابن تيميه عنها (فسبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن لان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب تنبه لهذا)^(٣) .

وعلى هذا فان المعاصرين جروا مجرى اسلافهم من علماء أسباب النزول مؤكدين قيمته وموقعه من الوقوف على تفسير القرآن بما لا جديد فيه .

وانه ليستوقفني ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) في كتابه التحرير والتنوير بما توسع فيه الحديث لديه عن أسباب النزول، فقد تحدث عن المصيبة التي المت بأسباب النزول نتيجة لولع الكثير من المفسرين بان يطلبوا لكل آية سبب نزول فقال في بداية الامر (أولع كثير من المفسرين بطلب أسباب نزول آي القرآن، وهي حوادث يروى ان آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أو إنكارها أو نحو ذلك واغربوا في ذلك وأكثروا حتى كاد بعضهم ان يوهم الناس ان كل آية من القرآن نزلت على سبب وحتى رفعوا الثقة بما ذكروا، بيد انا نجد في بعض آي القرآن اشارة إلى الأسباب التي دعت إلى نزولها ونجد لبعض الآي أسبابا ثبتت بالنقل دون احتمال ان يكون ذلك رأي الناقل، فكان امر أسباب نزول القرآن دائراً بين القصد والاسراف، وكان في غض النظر عنه ارسال حبله على غاربه خطر عظيم في فهم القرآن)^(١) .
والرجل يحمل على من سبقه ويحمّله مسؤولية ما آلت اليه أسباب النزول من تصدع على يد المتقدمين الذين وصفهم بالقول (ان كل من يتصدى لتأليف كتاب في موضوع غير مشبع تملكه محبة التوسع فيه فلا ينفك يزيد ملتقطاته ليذكي قبسه)^(٢) .

إما ان يأخذ هذه الروايات أساطين المفسرين -كما سماهم- حين قال: (ولكني لا اعذر أساطين المفسرين الذين تلقوا الروايات الضعيفة فاثبتوها في كتبهم ولم ينبهوا على مراتبها قوة وضعفاً حتى أوهموا كثيراً من الناس ان القرآن لا تنزل آياته الا لأجل حوادث تدعوا اليها وبئس هذا الوهم)^(٣) .

وبما ان ابن عاشور يمثل النظرة العصرية عند الجمهور لأسباب النزول، فقد هاله ما شاهد من الزخم الواسع من روايات أسباب النزول وهذا ولد عنده شعوراً بفداحة مامنيته به أسباب النزول من احجاف، فادخل فيها ما ليس منها، فادى ذلك إلى طعنه بأكثر رواياتها وعلى هذا يكون قد سلك مسلك الأمامية في تتبع أسباب النزول ورواياتها مما حدا به إلى تقسيمها إلى نوعين :

أولها : منه فلا غنى لمفسر القرآن عنه (لان فيه بيان مجمل من إيضاح خفي وموجز)^(٤) .

ثانيها : منها ما يحتاج المفسر فيه إلى ادلة لاثباته وبعد ذلك يقول: (وقد تصفحت أسباب النزول التي سمت اسانيدھا فوجدتها خمسة اقسام :

الأول : هو المقصود من الآية يتوقف فهم المراد منها على علمه، فلا بد من البحث عنه للمفسر وهذا منه تفسير مبهمات القرآن ...

الثاني : قسم هو حوادث تسببت عليها تشريعات أحكام وصور تلك الحوادث لاتبين مجملأ ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تعميم أو تقييد، ولكنها إذا ذكرت أمثاله وجدت مساوية لمدلولات الآيات النازلة عند حدوثها ...

وهذا القسم لا يفيد البحث فيه الا زيادة تفهم في معنى الآية ولا يخشى توهم تخصيص الحكم بتلك الحادثه، حيث اتفق العلماء أو كادوا على ان سبب النزول في مثل هذا لا يخصص واتفقوا على ان اصل التشريع ان لا يكون خاصاً .

الثالث : هو حوادث كثر امثالها ولا تختص بشخص واحد فنزلت الآية لاعلانها وبيان احكامها وزجر من يرتكبها، فكثيراً ما تجد المفسرين وغيرهم يقولون نزلت في كذا وكذا، وهم يريدون ان من الاحوال التي تشير اليها تلك الآية تلك الحالة الخاصة فكانهم يريدون التمثيل .

الرابع : قسم هو حوادث حدثت وفي القران آيات تناسب معانيها سابقة ولاحقة فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم ان تلك الحوادث هي المقصود من تلك الايات مع ان المراد انها مما يدخل في معنى الآية ويدل لهذا النوع وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من أسباب النزول .

الخامس : قسم يبين مجملات ويدفع متشابهات .

وبهذا يكون ابن عاشور قد وقف على ما لم يقف عليه غيره ممن كان قبله والحق يقال ان الرجل كان دقيقاً في بحوثه فهو في الوقت الذي لم يقلل من اهميتها بل دعا إلى ضرورة غربلة هذه الروايات لا اقحامها في كتب التفسير بدون تمحيص وتدقيق، من جانب اخر يدعوا إلى عدم حمل كلمات القران على خصوصيات جزئية لان ذلك يبطل مراد الله تعالى فقال في ذلك (فكما لا يجوز حمل كلماته على خصوصيات جزئية لان ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميم ما قصد به الخصوص ولا اطلاق ما قصد به التقييد، لان ذلك قد يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى ابطاله من اصله)^(١) .

وثمة فائدة أخرى ذكرها ابن عاشور سيكون لنا معها مسك الختام وهي قوله: ان في نزول القران عند حدوث حوادث دلالة على اعجازه من ناحية الارتجال وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في اقوالهم فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا انه أساطير الأولين)^(٢) وبهذا فهو يضيف لأسباب النزول منقبة أخرى ألا وهي جواز الاستدلال بها على اعجاز القران .

وبهذا يكون ابن عاشور قد اعترف اعترافاً ضمناً إلى تعرض (مناسبات النزول كما تعرض التاريخ ككل للدس والتشويه وذلك لاغراض عديده كالاغراض السياسيه التي كانت تهدف إلى تزييف الواقع لصالح الحكام ولاشك ان نزول آية في شخص معين يعني الشيء الكثير في هذا المجال)^(١) وهذا العرض الذي حبره ابن عاشور ربما كان من أجود ما ذهب اليه المعاصرون من الجمهور في رأيهم بأسباب النزول وعنده نختم حديث هذا المبحث .

ب - كتب أسباب النزول عند الجمهور .

اهتمت كتب علوم القران عند الجمهور كثيراً بأسباب النزول وافرد مؤلفوهم ابواباً خاصة اضافة إلى المؤلفات الخاصة بها مع ما كتبوا عنها في تفاسير العلماء فكان أهمها :

١ - كتاب (أسباب النزول) لعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) شيخ البخاري .

٢- كتاب (أسباب النزول) للواحدي (ت ٤٦٨ هـ) وهذا الكتاب (على ما فيه من اعواز وقد اختصره الجعبري، فحذف اسانيدَهُ ولم يزد عليها شيئاً)^(٢) وكانت طريقتهم فيها ان يأخذوا السورة الواحدة، ويوردوا أسباب نزول كل آية فيها ورد لها سبباً للنزول .

٣- كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وقد افرد لأسباب النزول الصنف الأول .

٤- كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) وقد افرد لها الصنف التاسع وأشبع البحث فيها فكان مرجعاً لمن جاء بعده .

٥- كتاب (لباب النقول في أسباب النزول) للسيوطي أيضاً . ولم يخل أيّ من تفاسير الجمهور عن ذكر أسباب النزول وعرض جزء من أثر ذلك في الكشف عن مراد الله تعالى .

فهذا الطبري (ت ٣١٠ هـ) قد اهتم بذكر أسباب النزول، فنراه يذكر أسباب النزول أو الحادثه التي واكبت نزول الآية ويذكر ما ورد فيها من أسباب نزول أو ما روى في ذلك أو يرجح احد الروايات أو يجمع بينهما وذلك لانه ممن اتخذ المأثور منهجاً له فهو من الذين فسروا القرآن بالسنة أو بما روي عن الصحابة والتابعين موقوفاً عليهم أو مرفوعاً للنبي (9) وكان (غالباً ما يميل إلى الروايات المسندة عن ابن عباس لما عرف عنه من جودة في التفسير وعلم بأسباب النزول)^(١)، (وكان يعقب بعض الإسناد بتصحيح أو تضعيف فيضعف بعض الرواة ... معتمداً على ثقافته بعلم الرجال ... وقد ينقد السند احياناً لوجود راو مجهول فيه)^(٢) .

كذلك فعل القرطبي (ت ٦٧١ هـ) فقد كان (يعير أهمية كبرى لأسباب النزول لأنّ لها أهمية بالغة في فهم الجو العام للآية فبدونها لا يكون فهمنا للآية دقيقاً أو صحيحاً)^(٣)، فهو في أكثر الأحيان كان لا يمانع ان تكون الآية نازلة لجملة أسباب^(٤)، فمثلاً عندما أورد قوله تعالى { زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا }^(٥) .

أورد ثلاث روايات عن سبب نزولها ثم أعطى رأيه فقال : (واعلم انه لا مانع من نزولها في جميعهم)^(٦)، وهذا نابع على ما يُظن من انه كان (يحرص على ان يجمع جميع الروايات الواردة في أسباب النزول)^(٧) . وقد يجمع بين الروايات كما مرّ في المثل أعلاه وقد (يختار من بينهما السبب الأكثر انسجاماً مع ترتيب الآية)^(٨) .

بينما نجده في أحيان أخرى وبعد (وضوح سبب النزول عنده، ووافق المعقول يرجح تفسير الآية على ضوئه)^(٩)، كما حصل مع قوله تعالى { نَسْأَلُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ }^(١٠) فهو بعد ان يورد روايات عديدة في أسباب نزولها يقول: (فإن قيل فما المختار من هذه الأقاويل؟ قلنا: ظهر عند المفسرين ان سبب نزول هذه الآية هو ان اليهود كانوا يقولون من أتى امرأة في دبرها أو من قبلها جاء الولد أحول فانزل الله تعالى هذا لتكذيب اليهود قولهم فكان الأولى حمل اللفظ عليه)^(١١) .

والرازي من الذين يؤمنون) ان عدم القول بسبب النزول يؤدي إلى تفكك الآية^(١) وذلك لأنه من الذين حرصوا (على ترتيب الآيات والترابط بينها فهو يرفض أسباب النزول اذا اصطدمت مع طريقته العقلية في الربط بين الآيات واحياناً يرفض السبب لاصطدامه مع جمال نظم الآيات القرآنية)^(٢) .

وبهذا يكون قد وصل بأسباب النزول في تفسيره هذا إلى ارقى درجات الاختيار الصحيح والترجيح الصائب لولا الزلة التي سجلت عليه عندما أورد سبب نزول آية النبأ في سورة الحجرات والتي سنذكرها عند حديثنا عن طرائق إثبات أسباب النزول عند الجمهور بعد قليل .

أما ابن كثير(ت ٧٧٤هـ) فهو ممن كان يفسر (القرآن بالقران ثم بالسنة ثم باقوال الصحابة ثم باقوال التابعين)^(٣) .

كذلك فهو(يرجح احياناً كثيرة رأيه واجتهاده عندما لا يجد في المأثور ما يقتنع به)^(٤)

وقد (أخذ عن ابن تيميه وشغف بحبه وامتنح بسببه ... حتى دفن في مقبرته)^(٥)، وتأثره هذا قد انعكس ايضاً على أسباب النزول، فشيوخه ابن تيمية كان يقول عن أسباب النزول (ان معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٦) .

وكان اهتمامه بإيراد أسباب النزول اهتماماً كبيراً فقد نقل رواياتها بكثرة وأطال الحديث عنها . ومن ذلك رواية سبب نزول قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ... }^(٧) .

فنقل الرواية عن ابي احمد بن ابي حاكم حدثنا ابو زرعه حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: (ان حييين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى اسلموا فكان احد الحيين يتناول على الآخر في العدة والأموال فحلفوا ان لا يذهبوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم فنزلت الآية)^(٨) .

وبهذا كان إيراد سبب النزول كجزء من تفسير الآية والاستدلال على معناها تماشياً مع رأي شيخه ابن تيمية مستفيداً من كونه (مؤرخاً ومفسراً كابن جرير الطبري)^(٩) .

وحفل المعاصرون من الجمهور بأسباب النزول فأكد عليها صبحي الصالح(ت ١٤٠٧هـ) في كتابه (مباحث في علوم القرآن) ومناع القطان (معاصر) في(مباحث في علوم القرآن) وافرد كلُّ منهما باباً خاصاً بذلك، سلط فيه الضوء على أسباب النزول وقيمتها التفسيرية وأهميته في مباحث علوم القرآن، والاستعانة به في فهم كثير من اسرار التنزيل.وقد عولوا فيما له سبب وما هو ليس بسبب خصوصاً بعد دخول الموضوعات الجانبية في كتب المفسرين فعاد التطبيق منهجاً قد لا يصيب الواقع، وقد وجدنا أن بعض أهل العلم من الجمهور يعتمدون لها بعض الطرق وأهمها ثلاث:

الطريقة الأولى : وهي الطريقة التي اختارها الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) واعتمدها في كتابه أسباب النزول والتي قال عنها: (لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب أو بحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد رد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار)^(٣) مستنداً في ذلك على حديث رواه عن رسول الله (٩) عن سعيد بن جبير (K) عن ابن عباس (K) قال: قال (٩) (اتقوا الحديث إلا ما علمتم فانه من كذب عليّ متعمداً فليتبؤا مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبؤا مقعده من النار)^(٤) وقد كان تشددهم يتناول أشخاص رواتها وأسانيدها ومتونها، فإما الأشخاص فما كان اشد ورعهم اذ يستفتون في أسباب النزول)^(٥)، وأنت تطالع منهجية الواحدي هذه في اختيار أسباب النزول ينتابك شعور بان الرجل متورع عن قبول الرواية إلا بالشروط التي ذكرها ولكنك حالما تطلع - {لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا} ^(٦) - على أسباب النزول التي أوردها في متون كتابه ترى انه إبتلي كما إبتلي غيره بإيراد روايات لا يقبل بها عاقل^(١)، وهذا النهج عرض رواياته هذه للنقد الشديد من قبل علماء الجرح والتعديل رغم ادعائه الورع، حتى أمسى يورد روايات عدها البعض من الموضوعات . وقد اتفق علماء الجمهور منهم: ابن الصلاح والحاكم وسواهما : (ان الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل اذا أخبر عن اية انها نزلت في كذا فانه حديث مسند^(٢)، وله حكم المرفوع^(٣))^(٤) من هنا رأينا العلماء عندما وافقوا على قبول التفاسير العقلية قد وضعوا من ضمن شروط القبول (الأخذ بقول الصحابي فقد قيل : أنه في حكم المرفوع مطلقاً وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوهما مما لا مجال للرأي فيه)^(٥) وهذه الطريقة اعتمدها الجمهور وشاركهم بها الأمامية ولاسيما الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في التبيان وان كان في بعض الأحيان لا يأخذ برواية الصحابي - ليس مطلق الصحابة^(٦) - لذا فضل الرواية الواردة عن آل الرسول (٩) باعتبارهم احد الثقلين وقد تابعه الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في مجمع البيان، بل قل : هي طريقة كل مفسري الأمامية .

الطريقة الثانية : قولهم نزلت الآية في كذا، لو تفحصنا تفاسير العلماء وكتبهم المؤلفه بأسباب النزول بصورة دقيقة، نجدهم يوردون هذا المصطلح بكثرة، وأكثر الظن ان العلماء حافظوا على هذا التعبير لأهداف معينة كان أبرزها:

- ١- ان هذا المصطلح قد استعمله كبار الصحابة والتابعين .

- ٢- كون المفهوم من هذا التعبير ما يفهم من قولهم (السبب في نزول الآية كذا) ويؤيد هذا القول ان الحرف (في) يستعمل فيما يناسب السببية والربط كما في قولك : لأمه في امر كذا، أي من اجله وعلى فعله^(١) ومثله قال ابن تيمية : (قولهم نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة انه سبب النزول ويراد به تارة أخرى ان هذا داخل في الآية وان لم يكن السبب كما تقول : غني بهذه الآية كذا)^(٢) .

وأشار الزركشي(ت ٧٩٤هـ) إلى القول انه : (قد عُرف من عادة الصحابة والتابعين ان احدهم اذا قال : نزلت الآية في كذا، فإنه يريد بذلك انها تتضمن هذا الحكم، لا ان هذا كان السبب في نزولها فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لامن جنس النقل كما وقع)^(٣) .

والى هذا ذهب السيوطي(ت ٩١١هـ): (وربما لم يجزم بعضهم، فقال : احسب هذه الآية نزلت في كذا، فهم قد يوردون حادثة أو قصة معينة ويتوقعون ويظنون ان هذا كان سبب نزولها كما في القصة التي اوردها عبد الله بن الزبير حيث قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج^(٤) الحرة فقال النبي(٩) : اسق يازبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري : يارسول الله ان كان ابن عمتك، فتلون وجهه(٩)... الحديث^(٥) .

قال الزبير : فما احسب هذه الآيات الا نزلت في ذلك : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ }^(٦)(٧)

الطريقة الثالثة : وهي الطريقة التي قال بها السيوطي في الالتقان فقد اختار طريقة اشترط فيها (أيام وقوعه) حيث قال : (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه)^(٨) .

ويذهب البحث إلى الاعتقاد ان الذي جرّ السيوطي لهذا التضييق هو ما وجدته في كتاب الواحدي (أسباب النزول) من ان سبب نزول سورة الفيل قدوم جيش الحبشة لان ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، وكذلك قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك^(٩) . فأراد السيوطي تقييد أصحاب الشأن حتى لا يتمادوا ويدخلوا في أسباب النزول ما ليس منها، وقد يكون حصره بأيام وقوعه معرفة سبب النزول بطريق المشاهدة بالحاضرين فلا بد من الاعتماد على الروايات لاثباتها أو قد يكون مراده تعريف أسباب النزول والله اعلم .

وهنا ينبغي ان نشير ان فخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ) قد انفرد بطريقة خاصة به وقد تبدو غريبة لانها ليس مما ألفه العلماء، فقد اخترعها اختراعاً عند تفسيره آية النبأ في سورة الحجرات في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }^(١٠) حيث قال عند إيراده أسباب نزول هذه الآية ما نصّه : (سبب نزول هذه الآية ان النبي(٩) بعث الوليد بن عقبة، وهو اخو عثمان لأمه إلى بني المصطلق والياً ومصدقاً، فظنهم مقاتلين^(١١) فرجع إلى النبي(٩)، وقال (انهم امتنعوا ومنعوا) فهم الرسول(٩) الايقاع بهم^(١٢)، فنزلت هذه الآية، وأخبر الرسول(٩) انهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك)^(١٣) .

قال الرازي : (وهذا جيد، ان قالوا ان الآية نزلت في ذلك الوقت، وأما ان قالوا : نزلت لذلك مقتصرأ عليه ومتعدياً إلى غيره فلا بل تقول : هو نزل عاماً لبيان التثبيت وترك الاعتماد على قول الفاسق)^(١٤)، ثم أردف بالقول : (ويدل على ضعف القول من يقول انها نزلت لكذا، ان الله تعالى لم يقل : (اني أنزلتها لكذا)

والنبي(9) لم ينقل عنه انه بَيَّن أن الآية نزلت لبيان ذلك فحسب (٧)، ثم ختم بالقول وأظنه جعل هذه الخاتمة نتيجة لما توصل اليه في البحث والله اعلم قال : (فغاية ما في الباب انها نزلت في مثل هذا الوقت وفي مثل هذا التاريخ ونزول الآية ونحن نصدق ذلك(١)) .

والبحث يذهب إلى ان الفخر الرازي انما جرّ نفسه لهذا المستنقع ولفّ ودار وعَرَّض نفسه لانتقادات وخرج عن جادة الصواب لا لأنه لايعرف ماذا يريد ان يقول، ولا لأنه لايعرف طرق اثبات أسباب النزول!! ولا...ولا...ولا...ولا وإنما الذي اراد دفعه هو ان الآية لم تنزل في الوليد بن عقبة بعد ان وجد نفسه عاجزاً عن استبدال اسم الوليد بآخر لأن هذه الرواية قد وردت في اكثر كتب التفسير واجمعت على نزولها بالوليد ذلك الفاسق المطرود من قبل رسول الله (9) من المدينة، وقد ردّ علماؤنا الاعلام على الفخر الرازي منهم المحقق الطهراني(٢) والسيد محمد رضا الحسيني(٣) .

وبعد هذا العرض لطرق اثبات أسباب النزول لابد من استخلاص نتيجة واحدة لا ثانية لها وهي : (ان الطرق المثبتة لنزول الآيات تنحصر في اخبار وروايات الصحابة الذين شاهدوا الوحي وعاصروا نزوله وعاشوا الوقائع والحوادث وظروفها والتابعين والاخذين منهم والعلماء والمختصين الخبراء) (٤)

وقبل ختام هذا المبحث لابد من الإشارة إلى قضية أثارها علماؤهم في متون كتبهم وهي قضية مهمة بالنسبة لأسباب النزول الا وهي قضية القصص القرآني الذي اعتبره بعض علمائهم من أسباب النزول وهي منه براء مما حدا بعالم مثل السيوطي إلى حصر قضية أسباب النزول في (ايام وقوعه) في قوله : (والذي يتحرر في سبب النزول انه ما نزلت الآية ايام وقوعه) (٥)

وان كان فيه تضيق لكنه اخرج : (ما ذكره الواحدي(١) في سورة الفيل من ان سببها قصة قوم الحبشة به، فان ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ما ذكره في قوله { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } (٢) سبب اتخاذه خليلاً ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى) (٣) وليس الواحدي الوحيد الذي وقع بهكذا خطأ فاحش واعتبر ان القصص القرآني من أسباب النزول، بل سبقه إلى ذلك الطبري(ت ٣١٠ هـ) الذي زعم ان سبب نزول قوله تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ... } (٤) هو ان بختنصر البابلي وأصحابه قد غزوا اليهود، وخرّبوا بيت المقدس، وإعانتهم على ذلك النصارى من الروم(٥) .

وقد عزا صبحي الصالح(ت ١٤٠٧ هـ) سبب حصول هكذا أخطاء كبيرة ارتكبت من قبل أعلام لهم ثقلهم في الساحة الإسلامية وبالتالي حَمَلوا أخطاءهم هذه القرآن وانطقوه بمالم ينطق به-إلى (ظنُّ أكثر العلماء ان لابد لكل آية من سبب نزول حتى في وقائع الأمم الماضية والتي دفنت معها أسبابها ونتائجها، وطويت في رموسها مقدماتها وعواقبها، فان كان لزماً التماس سبب نزول لها

فليكن متعلقاً بالإحياء على عهد الرسول(9) سواء أكانوا من المؤمنين ام من المشركين ام من أهل الكتاب (٦).

والى هذا المعنى أشار مناع القطان(معاصر) إلى القول : (ومن الإفراط في علم أسباب النزول ان تتوسع فيه وتجعل منه ما هو من قبيل الإخبار عن الأحوال الماضية والوقائع الغابرة)(٧)، (فقد يرفع سؤال من الصحابة أو غيرهم إلى الرسول(9) عن قصة (ذي القرنين) مثلاً وما جرى له { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا } (١) يعد سبباً لسرد أحداث القصة على الرسول(9) واطلاع الناس عليها، ولا يعد مثيراً لإحداثها لأنها قد سبقته بقرون (٢).

فهذه القصص في القران ما جاءت لتكون أسباب نزول بل (ان هذه القصص تاريخ لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليفة وما هي العقبات التي اعترضتها ؟ وهل وقفت عندها أو تغلبت عليها ؟ وما صنع الأنبياء بإزائها ؟ وبم انتهى الصراع بين الغي والرشد) (٣)، بل إن أهدافها كثيرة منها أخذ العبرة والاعتبار ليكون لها دوراً (في عملية التعبير الإنساني في جوانبها المتعددة) (٤) وبالتالي فان (مجرد وجود هذا القصص أقراني لتلك التجارب في التنزيل يدفعنا إلى التيقن ان القران يقر بان للتاريخ فعاله في الحاضر والمستقبل، ولكن هل طبيعة الاستحضار لتجارب الأمم السابقة في القران يصادر الحاضر ويركز الوعي في الماضي ؟ أو أنه يحث على التدبر بتجارب الأمم وفهم حقائق تلك التجارب ثم وعيها ثم نقل ذلك الوعي إلى تدبر الحاضر واستشراف المستقبل) (٥) والحق انها جاءت لتستوعب في مضمونها وهدفها كل الأغراض والأهداف التي من اجلها انزل القران بل جاء ليقر كل هذه الاحتمالات لا لكي تكون أسبابا للنزول .

رأي وخلاصة :

بعد هذا العرض لكتب أسباب النزول عند الجمهور وطرائق معرفة أسباب النزول لديهم لابد ان نشير إلى ان سبب النزول ينحصر بالسبب الداعي إلى نزول الآية أو السورة أو بعضها، اجابة عن سؤال، أو حلاً لإشكال، أو بياناً لحكم تشريعي، وأن ما أنزل من قصص قرآني على ما فيه من حكم وعبر ما جاء ليكون أسبابا للنزول بل ليكون عظة لألي الالباب والله اعلم .

المبحث الثاني:

أسباب النزول عند الأمامية

أ- عرض أسباب النزول عند الأمامية :

كان الرسول الأعظم(9) هو المرجع الأول لفهم غوامض الآيات وحل مشكلاتها وهذا هو (المجمع عليه بين المسلمين جميعاً ان النبي(9) هو العالم بما في القرآن الكريم وهو المرجع وهو المفسر والمبين لما حوى من عقيدة وفكر وأحكام وتوجيه وهداية وعلوم ومعارف مختلفه فالرسول(9) هو المخاطب وهو العالم بمراد الله تعالى من كتابه العزيز)(^(١)).

وقد ادعى بعضهم انه(9) لم يفسر القرآن كله مستشهدين بحديث أخرجه البزاز عن عائشة قالت : (ما كان رسول الله(9) يفسر شيئاً من القرآن الا آياً بعدد، علمه إياهن جبرائيل)(^(٢)).

وقد ايد السيوطي ذلك الرأي حيث قال : (الذي صحّ من ذلك قليل جداً)(^(٣))، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة)(^(٤))، (وقد أنهاهنّ في خاتمة كتاب الإتيان إلى ما يقرب من مئتين وخمسين حديثاً في التفسير مأثوراً عن النبي(9) بالنص)(^(٥))، وقد رد الطبري(ت ٣١٠هـ) حديث عائشة هذا بالقول (ولو كان تأويل الخبر عن الرسول(9) أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً الا آياً تعد هو ما يسبق اليه أو هام أهل القباء، من انه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من آية واليسير من حروفه كان إنما انزل اليه(9) الذكر ليتترك للناس بيان ما انزل اليهم ولا يبين لهم ما انزل اليهم وفي أمر الله جل ثناؤه نبيه(9) ببلاغ ما انزل اليه واعلامه آياه انه انما انزل اليه ما انزل ليبين للناس ما نزل اليهم وقيام الحجة على ان النبي(9) قد بلغ فادى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره ربه)(^(٦)) ثم علق على سند رواة الحديث : (حديث منكر غريب والاستدلال به باطل)(^(٧))، ومع ذلك قد اخذوا به .

والحقيقة التي يجب ان يقال : (ان التفسير عن رسول الله(9) كثير في واقعه قليل في نقله وحكايته)(^(٨)) ويمكن تفصيل ذلك بالقول إننا(لو ضمنا سيرته الكريمة، وسنته في الشريعة، وأحاديثه الشريفة في أصول الدين وفروعه ومعارف الإسلام ودلائل الأحكام، لو ضمنا ذلك كله إلى ذلك العدد القليل – في الظاهر – لأصبح التفسير بالمأثور عن عهد الرسالة في حجم كبير وفي كمية ضخمة، كان الرصيد الأوفى للتفسير الواردة في سائر العصور، اضعف إلى ذلك ما ورد عن طريق أهل البيت(E) من التفسير بالمأثور المستند إلى جدهم الرسول(9) وهو عدد وفير، يضاف إلى ذلك الكثير الوارد عن غير طرقهم)(^(٩)).

وبعد رحيله(9) جاءت مرحلة الصحابة حيث كان لهم تفاسيرهم وأراؤهم، ثم بعدهم مرحلة التابعين ثم تابعي التابعين، ومن المعروف ان تفسيراتهم هذه كانت تختلف وتتباين، كل له طريقته، من هنا دارت في أذهان الدارسين عدة أسئلة :

١- اذا اختلفت التفاسير أيهما نرجح على الآخر ؟

٢- اذا كثُرُ المفسرون فمن هو المرجع في التفسير عند الاختلاف ؟

ونتيجة لهذه الأسئلة ولأجل إيجاد أجوبة لها ظهرت مذاهب فكرية وفقهية وكذلك ظهرت تيارات سياسية كل له رأيه وأفكاره بعض منها هدام مزق جسد هذه الأمة، والبعض الآخر تنازل عن كثير من حقوقه وامتيازاته من اجل وحدة الصف الإسلامي، وحاول هذا التيار لملمة جراحات الأمة الإسلامية خوفاً على بيضة الإسلام ان تنكسر، مما أدى إلى بروز اتجاهين :

١- فريق آمن ان الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كلهم متساوون في القيمة العلمية عند تفسيرهم كتاب الله أو بيان معانيه .

٢- فريق وعى قوله(9) (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) فامن ان هذا القرآن لا يستطيع ان يصل إلى كنه معرفته وحل رموزه الا هؤلاء، متمثلاً هذا التيار بالإمام أمير المؤمنين(A) ومن بعده الأئمة من ذريته(Γ) معتبرين إياهم المرجع عند الاختلاف في فهم القرآن وتفسيره .

أما أصحاب الاتجاه الأول فكانوا عامة جمهور المسلمين، أما أصحاب الاتجاه الثاني فكانوا إتباع أهل البيت(E) (شيعتهم) وهؤلاء ثبت لديهم بالدليل القاطع ان ما صدر عنهم من تفسير وبيان قراني هو الحجة على الأمة وهو الرافع للاختلاف، وهؤلاء لم يكن اعتقادهم نابعاً عن عدم فهم وتقليد أعمى لآبائهم بل استندوا واحتكموا إلى القرآن نفسه، وأحاديث نبوية تدعم اعتقادهم هذا^(١) .

من هنا تعامل مفسروا الأمامية مع النصوص القرآنية بمنتهى الحذر وبالتالي وضعهم ضوابط وأصول منهجية ساروا عليها جيلاً بعد جيل فهذا الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) يوضح هذا المنهج بالقول (واعلم ان الرواية ظاهرة في أخبار أصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح عن النبي(9) وعن الأئمة(E) والذين قولهم حجة كقول النبي(9) وان القول فيه بالرأي لا يجوز)^(٢) .

وقد وافقه الرأي كل من جاء بعده، فهذا الطبرسي(ت ٥٤٨هـ) يقول : (واعلم ان الخبر قد صح عن النبي(9) وعن الأئمة القائمين مقامه(E) ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالأثر الصحيح والنص الصريح)^(٣) .

وذاك المقدس الاردبيلي(ت ٩٩٣هـ) أشار إلى هذا المعنى ايضاً بالقول (لا يجوز تفسير القرآن بغير نص واثـر)^(٤) وهذه النصوص وغيرها شاهدٌ على تخرجهم في هذا المجال، وبذا يمكن تقسيم المفسرين إلى فئتين :

أ - (فئة اقتصرت في التفسير على ما ذكر من الأخبار والروايات ولم يعتمد على عرف ولا لغة حتى في تفسير الآيات الظاهرة في معناها عرفاً، كما لم يعتمد دليل العقل ولا على الاستحسانات الذوقية في شيء)^(١)، لذا أطلق عليهم المفسرون النصوصيون، وقد حفلت تفاسير الشيعة بأمثال هذه التفاسير فكان العياشي والقمي والبرهان ونور الثقلين الرواد في هذا المجال^(٢) .

ب - (فئة فسرت القرآن برأيها)^(٣)، وهذه الفئة حملت القرآن ما لم يحتمله وخصوصاً الآيات المتشابهة وان لم يعين العرف واللغة معناها وهذه الفئة أهملت روايات أهل البيت(E) ولم تتخذ منها متكاً، والأمامية ابتعدوا عن هكذا تفاسير لعلمهم

بعاقبة التفسير ابالرأى^(٤) (والطائفتان معاً اخطأتا سبيل الصواب)^(٥) ، والسبب في ذلك يعود إلى ان الآيات القرآنية قسمان :

القسم الأول : ما كان معناه ظاهراً ولا يحتاج إلى منقول ومأثور كقوله تعالى { **أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** }^(٦)، وغالباً ما يكون فهم هكذا آيات متوقفاً على التأمل والتدبر أو فهمه من النظرة الأولى، والرأي الراجح ان هذا النوع لا يدخل تحت عنوان التفسير بالرأي أو المنهي عنه شرعاً، وذلك لان مفسره قد فسر به بمعناه اللغوي والعرفي ولا مكان للرأي فيه هنا .

القسم الثاني : ما يكون له معنى ظاهر ومعنى باطن كقوله تعالى { **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** }^(٧) .
وتفصيل الكلام في هذه الأقسام ليس من اختصاص رسالتنا^(٨) .

وقد أوجبوا على المفسر الإلمام والاطلاع على علوم شتى ليتسنى له القيام بعمله على أحسن وجه^(٩) (وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم)^(١٠) .

وأنت تقرأ تلك القيود التي فرضت على المفسر، تجد ان الحق مع من رفض القول بالقران أو تفسيره حيث (قالوا : وكره جماعة من التابعين القول في القران بالرأي كسعيد بن المسيب، وعبيده السلماني، ونافع، وسالم بن عبدالله وغيرهم)^(١١)، فقد روى العامة عن النبي(9) انه قال : (من فسر القران برايه وأصاب الحق فقد اخطأ)^(١٢)، وروي عن الرسول(9) انه قال : القران ذلولٌ ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه)^(١٣)، وروي عن عبدالله بن عباس انه قسم وجوه التفسير إلى أربعة أقسام : (تفسير لا يعذر احد بجهالته، وتفسير تعرفه العرب بكلامها، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعرفه الا الله عز وجل)^(١٤) .

ومن هنا ظهرت مناهج متعددة لتفسير القران الكريم ضمَّ العلماء بعضها إلى بعض فكانت ثلاثة أقسام^(١٥) :

١- القسم الشائع : وهو المرضي عند العلماء، وهذا القسم ضمَّ عدداً كبيراً من انواع التفاسير فكان منه :

- تفسير القران بالأثر وأسباب النزول من المأثور .
- التفسير البياني .
- التفسير التشريعي .
- التفسير اللغوي والمعجمي .
- التفسير الأدبي والموضوعي .

واعتبروا ان هذه التفاسير لا تخرج القران من جوهره وحقيقته .

٢- القسم الحادث مما لا مانع فيه : وهذا القسم وان اقر من قبل العلماء الا انه عورض بتوقف ومنه :

- التفسير الاحتجاجي أو الكلامي .
- التفسير الفلسفي أو العرفاني .

وهذا النوع من التفاسير يفصل منه القول العلمي وموافقته ما في القرآن للعلم الحديث

٣- القسم المنهى عنه أو المناقش فيه : ومنه :

• التفسير الباطني .

• التفسير بالرأي .

وهذه التفاسير قائمة على (أساس الهوى والبدع والأضاليل، أو القناعة الشخصية، دون تمحيص أو استنباط)^(١) .

(وهذا التعدد في مناهج التفسير جعله ينتقل عند المسلمين تبعاً لتعدد التخصص لدى كلٍّ منهم، وقد أخذ يلون التفسير بثقافة المفسر، فالمفسر بمستواه الفكري هو الذي يحدد نوعية تفسيره، وهو الذي يحدد من صيغته ومفاهيمه)^(٢) ومن هنا ظهرت عندنا نحن الإمامية تفاسير تمثل مناهج مختلفة، وإن لم تضم كل أقسام التفسير وذلك لأن الإمامية ابتعدوا عن التفسير الذي يشعرهم أنه غير مرضي عند الله، لذا كان لكل مفسر منهم منهجه في التفسير وفق المرضي والمحبب وكان لمناهجهم في أسباب النزول خطأ وافرأ، حيث أنها كانت من حصة التفسير بالمأثور، فقد تورعوا عن قبول آية رواية في أسباب النزول، بل وضعوا شروطاً خاصة لقبولها، كان أهمها كونها مروية عن طريق الصحابي الذي عاصر التنزيل وشهد الأحداث عن كثب^(٣)، وإلا فهم يخضعون الرواية للأدلة الصحيحة إما العقلية أو النقلية، أو التي قامت القرائن على صحتها، فهذا شيخ الطائفة الطوسي (Π) يقبل برواية في طريقها أبي هريرة - وأبو هريرة من نعلم، لاتأخذ الإمامية بروايته - مع وجود القرينة على صحتها وهي أنها مشفوعة برواية عن أبي جعفر الباقر (X)، فعندما بين سبب نزول قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ... }^(٤)، أورد عدة روايات في ذلك منها رواية أبي هريرة الذي قال أنها نزلت في عبدالله بن سوريا، فاخترار رؤية هذا قائلاً : والأصح من هذه الأقوال أنها نزلت في ابن سوريا^(٥)، وهذا ما اختاره الطبري كذلك، فمن ذلك علق الطوسي بالقول : لأنه رواه أبو هريرة والبراء بن عازب وهما صحابييان^(٦) .

أما بقية شروطهم في قبول الرواية مع مناهج مفسريهم مع أسباب النزول فهذا سيكون موضوع حديثنا في الفصل الثالث إن شاء الله .

ب- آراء الإمامية في أسباب النزول :

كان للإمامية في أسباب النزول آراء طريفة ودقيقة، فهي تتحدث عن سبب النزول وأهميته وقيمتها، وهي توظفه في الدفاع عن الإسلام ومبدأ أهل البيت (E)، فمنذ أن كتب الشيخ الأكبر أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) تفسيره (النبيان) - وهو أول تفسير مقارنة في الإسلام - وإلى اليوم نجد هذا الفن مثار حديثهم وجزءاً مهماً لديهم في مباحث علوم القرآن فكانت للقدمات منهم صولات في

إيرادها في متون كتبهم فثبتوا بذلك روايات النزول التي حصلوا عليها من الثقة منهم، وما لم يكن ثقة ناقشوه وابدوا آراءهم به فما وافق الكتاب والسنة اخذوا به وما لم يوافقهما ضربوا به عرض الجدار فهذا العياشي (ت ٣٢٠هـ) لم يذكر رأيه بأسباب النزول صراحة وإنما أورد أحاديثاً في كتابه عن أهل البيت (E) كأنما نمّ بها عن رأيه (فعن جابر قال : يا جابر ان للقران بطناً وللبطن ظهراً ثم قال يا جابر، ليس شيء أبعد عن عقول الرجال منه، وان الآية لينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل متصرف على وجوه)^(١).

ونحى البحراني (ت ١١٠٧ أو ١١٠٩) منحاؤه وذلك بإيراده أحاديث لآل البيت فكانت بمثابة راياء له فكان منها هذه الرواية قال (ولو ان الآية نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القران شيء، ولكن القران يجري أوله إلى آخره مادامت السموات والأرض ولكل قوم آية، يتلونها هم منها من خير أو شر)^(٢).

إما السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م) فإنه لم يتحدث عنها في (الميزان)، وإنما تحدث عنها في (القران في الإسلام) وهناك تقرأ قوله: (ان شيوخ الدس في الحديث والكذب على الرسول (9) ودخول الإسرائيليات في الروايات وما صنفه المنافقون وذووا الإغراض، فضلاً عن النقل بالمعنى وما قيل في الوجه الأول)^(١)... كل هذا قلل من قيمة أحاديث أسباب النزول وإسقاطها من الاعتبار^(٢) وقد ناقشنا آراءه في موضوع (موقع أسباب النزول عند الإمامية) فلا داعي للإعادة ولكن الذي يود البحث طرحه هنا هو ان كان رأي السيد الطباطبائي بأسباب النزول هكذا متذرعاً بعدم صحة السند فهل ينسى كلامه (Σ) في الميزان حيث قال: (ان عدم صحة أسانيد الأخبار لا يوجب طرحها ما لم تخالف العقل أو النقل الصحيح)^(٣)، فان كان هناك عدم ثقة بأسباب النزول فهل نطرحها ونسقطها من الاعتبار جميعاً أم ماذا ؟!!

وكذلك فعل محمد صادقي الطهراني (ت ١٤٠٧هـ) عندما تحدث عنها في مقدمة تفسيره (الفرقان في تفسير القران بالقران والسنة) حيث قال : (ان شؤون نزول الآيات وان كانت تساعد على تفهم معانيها احياناً ولكنها ليست شرطاً في التعرف إلى معاني أيها، ولا إنها تحدد معاني الآيات بمواردها فلو ان الآية ماتت ليموت الشأن الذي نزلت فيه اذاً لماتت الآيات كلها، وإنما شؤون النزول مبررات وقتية لنزولها، تماشياً مع كل حادث وحديث في نزولها، فالآيات مستقلة في دلالاتها على معانيها، عُرِفت شؤونها ام لا، وإنما تكمل دلالاتها رعاية قرائنها القرينة لها قبل أو بعد أو مع، ام البعيدة عنها من نظائرها، وإما شؤون نزولها فلا شأن لها اصلاً في تفسيرها، وإنما الشأن الأصيل هو شأن الآيات أنفسها دون شؤون سواها)^(٤).

وهذا يدل على عدم اكترائه بها بحيث انه يومي إلى انك تستطيع ان تفهم أي القران حتى لو لم تتعرف على أسباب نزوله وذلك من قرائنه، فياترى ما تلك القرائن التي قصدها الصادقي ؟

فهل فاتته ان إحدى القرائن التي قصدها هي كثرة تداول سبب نزول آية ما عند العلماء والمفسرين وهذا بالطبع سيؤدي إلى القول بأهمية أسباب النزول، لان كثرة

تداول رواية ما في سبب نزول آية ما دليل على صحتها وبالتالي عدم إهمالها وتركها

إما المعاصرون من علماء الأمامية من غير المفسرين فكانت لهم آراء ووقفات طويلة مع أسباب النزول، فمنهم من اعتبرها مهمة لأنها كاشفة عن مراد الله تعالى، ومنهم من لم يعط موقفاً واضحاً منها فلا أهملها ولا البسها ثوب الإجلال والتكريم .

ونحن اذ نورد آراءهم هذه فلا نؤيد هذا أو نرد ذاك فلكل منهم نظرتة الخاصة ورأيه، ولكننا والحال هذه نحتكم إلى القرآن نفسه فهو الذي يُصَوَّب ويُخْطِئ وما خاب من احتكم إلى الله وكتابه الكريم .

فكان أهم من كتب عنها من المعاصرين الشهيد السعيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ = ١٩٨٠م) الذي تحدث عن دورها وأهميتها في فهم نصوص القرآن الكريم حيث قال: (لمعرفة اسباب النزول اثر كبير في فهم الآية والتعرف على اسرار التعبير فيها، لان النص القراني المرتبط بسبب معين للنزول تجيء صياغته وطريقة التعبير فيه وفقا لما يقتضيه ذلك السبب، فما لم يعرف ويحدد قد تبقى اسرار الصياغة والتعبير غامضة بدونه)^(١) وكذلك فان السيد الصدر (قده) عندما تحدث عن قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) - التي اشرنا اليها في التمهيد - اعتبر ان اسباب النزول تؤسس لقاعدة عامة كانت في الاصل خاصة، وذلك لان سبب النزول مجرد سبب مثير للحكم العام، وليس تحديدا له في نطاقه الخاص .

وبهذا يكون السيد الصدر (قده) قد زاد في شرفها واعتبارها فمنحها مساحة واسعة في مجال التفسير وفهم النص القراني.

وكما ان السيد محمد باقر الصدر (K) أولى أسباب النزول أهمية خاصة نجد ان الدكتور داود العطار (ت ١٤٠٣ هـ) قد سلك النهج نفسه في اعتبار ان أثارها ليست وقتيه بل هي جاءت لإغراض غير الإغراض التي أنزلت لأجلها فقال: (ولهذا العلم دور مؤثر في الإفصاح عن كنه الآية وبيان مرادها، وما تضمنته من إبعاد وإغراض)^(٢)

وهذا الدور (تكفل بالكشف عن الإحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القراني)^(١) .

ثم وبعد ان عرّف أسباب النزول أردف قائلاً (توضّح لنا أنها ليست على نمط واحد وإنما تكون مدحاً واطراءً لموقف، أو حلاً لمشكلة أو جواباً لسؤال أو تعقيباً على حادث أو بياناً لحكم أو نحو ذلك حسب الاقتضاء)^(٢) .

وعلى هذا يكون العطار قد قصر أسباب النزول على أمور عدة هي :

١- الأمر الأول :

ان يقوم احد المسلمين بعمل يحبه الله ويتقبل عمله بأحسن قبول فيمدحه تعالى ويشكره على عمله فينزل جل وعلا فيه قراناً مدحاً له وامتناناً منه على عمله ومصادقه قوله تعالى {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} ^(٣) .

فكان سبب نزولها ان الحسنين (H) قد مرضا (فنذر الإمام علي(A) صوم ثلاثة أيام لله عن شفائهما، فشفا، فصام وفاطمة الزهراء (I) وجاريتهما فضة وكانوا إذا أرادوا الإفطار جاءهم في اليوم الأول مسكين ، واليوم الثاني يتيم، واليوم الثالث أسير، وكانوا يعطونهم إفطارهم ويفطرون على الماء وحده في كل ليلة، فأنزل الله الآية^(٤) .

٢- الأمر الثاني :

وقد يسأل الرسول(9) حلاً لمشكلة فينزل القرآن الكريم جواباً لهذا السؤال وحلاً لتلك المشكلة، كما حدث مع قضية المظاهرة^(٥) التي حصلت بين اوس بن الصامت وزوجته خولة بنت ثعلبه فذهبت إلى رسول الله(9) تشتكي زوجها الذي خذلها بعد العشرة وذلك فيما روي عن عائشة قالت : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبه ويخفي عليّ بعضه^(٦) وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله(9) وهي تقول : يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرسني وانقطع ولدي ظاهر مني!! اللهم أشكو إليك، قالت:فما برحت حتى نزل جبرائيل(A) بهؤلاء الآيات (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) ^(١) وهو أوس بن الصامت ^(٢) .

وهذا السؤال الموجه إلى مقامه(9) إما انه يتصل بأمر مضى كما في قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا} ^(٣) أو انه يتصل بمستقبل نحو قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} ^(٤) أو انه يتصل بأمر من اختصاص علمه تعالى نحو قوله {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ^(٥) .

٣- الأمر الثالث :

وقد يحدث عند المسلمين حادثة تشيع عند الناس فينزل قراناً بشأنها تعقيباً على تلك الحادثة كما حدث مع رسول الله(9) في الرواية التي وردت عن ابن عباس حين قال : لما نزلت { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } ^(١) سعد رسول الله(9) على الصفا فقال : يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك، فقال أرأيتم لو أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم ماكنتم تصدقونني قالوا بلى قال فأني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد قال ابو لهب^(٢) تبا لك هذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله قوله { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... } ^(٣) إلى آخر السورة ^(٤) .

وقد تكون الآيات نازلة بعد حادثة خصومة كالخلاف الذي شجر بين جماعة الأوس وجماعة الخزرج بدسياسة أعداء الله اليهود حتى تنادوا السلاح السلاح فنزلت آيات مباركات من سورة

أل عمران من أول قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } ^(١) { ^(٢) .

(إلى آيات أخرى بعدها هي من أروع ما يُنْفَر من الأنقسام والشقاق ويرغب في المحبة والوحدة والاتفاق)^(٣) .

أو قد تكون هذه الآيات نازلة بعد خطأ فاحش ارتكب، كما حصل ذلك مع السكران الذي أم الناس في صلاته وهو في نشوته ثم قرأ سورة الكافرين بالقول: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (اعبد ما تعبدون) بدل القول: { لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ }^(٤) فنزلت الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }^(٥) إلى غير ذلك من امثلة توحى لك ان أسباب النزول هذه ليست على نمط واحد .

وعد الدكتور العطار ان (أكثر المفسرين قدرةً على إتقان التفسير وتحقيقه أكثرهم علماً بأسباب النزول)^(٦) .

وهذه الثقة والاعتبار التي منحها لأسباب النزول السيد الصدر الاول (K) والدكتور العطار جاءت متضاربة مع عدم الثقة وقلة الاعتبار التي أبداهما السيد محمد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م) الذي يرى ان الروايات في أسباب النزول جميعاً ضعيفة السند مما يدعو إلى عدم أخذه بها، بحيث لا تصلح الا كواحدة من أطروحات تشكل جميعها جواباً على أي موضوع، ولا تصلح ان تكون هي الجواب الرئيسي أو سبباً لاختلاف صدور القران، وهذا الرأي جسده بالقول : (إنني بطبعي لا إميل إلى الأخذ بروايات موارد النزول وأسبابه، فإنها جميعاً ضعيفة السند وغير مؤكدة الصحة بالرغم من اهتمام بعض المؤلفين كالسيوطي)^(٨) .

وقد اثار رأي السيد (قده) هذا لدى البحث استغراباً فهو قد اجمل امراً كان ينبغي فيه التفصيل في مراجعة سند كل رواية من روايات أسباب النزول كي يحكم عليها جميعاً بالضعف ولا أظن ان السيد (II) قد فعل ذلك لأن فعله يستدعي عشرات السنين لكثرة ما بين أيدينا من روايات أسباب النزول، أو لعل السيد لم يقصد التقليل من شأن أسباب النزول بصورة عامة عند الأمامية والجمهور، بل قصد ان روايات أسباب النزول عند الجمهور فقط ضعيفة السند لأنه قد ذكر السيوطي والله اعلم^(١) .

إما السيد محمد باقر الحكيم (ت ٢٠٠٣ م) فقد اعتبر إياها دليلاً على نبوة الرسول (9) وذلك لان المسلمين (وان كانوا يحترمون النبي (9) بشكل عام ويقدمونه الا ان بعضهم على الأقل كان يحتمل الخطأ في بعض مواقفه احياناً، لانهم كانوا يعاصرونه ويعايشونه كإنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويباشر النساء... ولذلك نجد انهم يسألونه في بعض الاحيان عن مواقفه بأنها قرار ذاتي أو قرار رباني)^(٢) .

فعندما تنزل آية رداً على سؤال وجه اليه (9) أو بياناً لحكم أشكل فهمه يكون بمثابة تأييد له (9) وإقراراً بنبوته (9) وبالتالي (يمكنه ذلك من ممارسة التغيير بشكل أفضل)^(٣) ، وهذا بالطبع من اهداف نزول القران، وكذلك اعتبر السيد الحكيم (II) ان ارتباط نزول القران بأحداث معينة يعطيه اهمية خاصة وذلك لان (سبب النزول لا يقيّد النص القرآني بظروفه بل يبقى النص القرآني كقاعدة عامة ولكن هذه القاعدة تصبح واقعاً حياً من خلال معالجتها لإحداث قائمة تمس حياة المسلمين وبالتالي يتولد الاحساس والشعور بصلة هذه التشريعات بحياة الناس ومدى اهميتها في معالجة

مشاكلهم وقضاياهم ولا تصبح مجرد تشريعات قد ينظر اليها على انها مثالية، وتمثل طموحات في حياة الناس^(٤).

وكذلك فان السيد (II) قد منحها بعداً آخرأ حينما اعتبر ان مسيرة الدعوة الإسلامية لتغيير الإنسان قد اعترضتها الكثير من الشبهات حول القرآن والآخرة والجهاد و... وغيرها من الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام فجاءت أسباب النزول لتعالج هذه الشبهات وتزيح النقاب عن ما أسيء فهمه من قبل أعداء الإسلام، أو من المسلمين أنفسهم في أحيان أخرى .

إما الدكتور محمد حسين علي الصغير (معاصر) فقد ربط بين علم أسباب النزول وعلم المكي والمدني حينما قال : (الحق ان تعيين أسباب النزول يعين كثيراً على معرفة المكي والمدني في وجه من الوجوه لارتباطه بالأحداث والتاريخ والأشخاص ولكن اغلب ذلك في الآيات لا في السور)^(١) وبعد ان ندب حضها العاثر حين دخلت عليها الموضوعات والإسرائيليات أشار إلى الدور الذي كان من الممكن ان تلعبه لولا هذه العثرات فقال : (ولو سلمت أسباب النزول من هذه الثغرات، لكانت خير منار لتتبع كثير من تاريخيه النزول على أتم وجه، وأفضل سبيل للكشف عن كثير من الحالات النفسية والقابليات التي عليها القوم)^(٢)، وبهذا يكون الدكتور الصغير قد منحها كامل الثقة في قدرتها على حل الكثير من مشاكل التفسير .

وقد سلك السيد محمد هادي معرفة (معاصر) مع أسباب النزول مسلك الدكتور الصغير في نظرته لها من حيث أهميتها في حل كثير من رموز والغاز أي الذكر الحكيم لولا هذا الدس والتحريف في روايات ورودها الذي عمل عمله في تزيف الواقع حينما حاول البعض ان يلوي عنق التاريخ ملتفأ على الحقائق لصالح حفنه من رجالات فرضوا أنفسهم على التاريخ الإسلامي وأرادوا ان يكونوا من أهله ولكنهم حقيقة كانوا السبب في الالتفاف على الإسلام والمسلمين وضياع الحق إلى يوم القيامة وما نعيشه اليوم من حاضر مرير ما كان إلا نتيجة حتمية لعنترياتهم وتصرفاتهم الرعناء تلك!!...^(٣) .

لذا قال عنها (ومما يجدر التنبيه له في هذا الباب، ان الطابع الغالب على أحاديث شان النزول، هو الضعف والجهالة والإرسال، فضلاً عن الوضع والدس والتزوير)^(٤) ، والحق انه ما كان يجب عليه رَمِيها جميعاً بالضعف، لان ما ثبت تواتره وصحته منها كثير.

وقد فضل محمد هادي معرفة ان يقول فيها كما قال احمد بن حنبل (ثلاث ليس لها أصول – أولاً أصل لها – المغازي والملاحم والتفسير)^(٥) والذي يجب ان نفهمه من كلامه هذا انه لا ينكر أهميتها ودورها الخطير في فهم معاني القرآن الكريم، بل هو يريد ان يتعامل معها بحساسية وحذر أكثر نتيجة لما أصابها من تزوير .

إما السيد هاشم الموسوي (معاصر) فقد منحها ثقة اكبر من سابقه فقال عنها (لأسباب النزول أثر كبير في تحديد معنى الآية وتفسيرها، ففهم سبب النزول يعين على فهم المعنى والمراد القرآني)^(١) معتبراً أسباب النزول دليلاً على إعجاز هذا القرآن (وتوضيحاً لخلود الشريعة وامتداد إحكامها)^(٢) مشيراً إلى منهج اتبعته الأمامية في قبول رواية سبب النزول

فقال : (هي حوادث تاريخية، وان رواية هذه الحادثة وصل إلينا عن طريق الرواة ولا بد لنا قبل قبول الخبر من التوثق من ناقله ... فإن ذلك يساهم في فهم المعنى الحقيقي وتشخيص المراد)^(٣) .

إن هذه هي آراء علماء الإمامية بأسباب النزول والتي تراوحت بين مؤيد لها وبين رافض لأسباب بيّنها في متون كتبهم ومنها يمكننا استخلاص عدة نتائج :

- ١- ان الإمامية استفادوا من أسباب النزول في الدفاع عن العقيدة والمبادئ مما آمنوا به وأنكره عليهم شأنهم .
 - ٢- إنهم لا يعتبرون أسباب النزول مجرد إحداث مرت وأفلَ نَجْمُها بل هي تجري مجرى الشمس والقمر والليل والنهار .
 - ٣- ان الإمامية لا يأخذون بكل روايات أسباب النزول بل يعترفون منها ما وافق الكتاب والسنة، وما لم يوافقهما ضربوا به عرض الجدار .
 - ٤- ان هذه الأسباب وبعد التوثق من روايتها قد أزلوا بها الغموض والإشكال عن كثير من أي القرآن الحكيم .
 - ٥- ان المتأخرين من الإمامية قد اهتموا بالحديث عن أسباب النزول، وقد يعود هذا إلى إحساسهم بأن الأولين قد بخسوا أسباب النزول حقها، أو لشعورهم بضرورة وأهمية معرفة أسباب النزول وذلك لخلودها وبقاء مفعولها في كل زمان ومكان والله اعلم .
- وبعد هذه المقارنة بين كتب الجمهور والإمامية بحثاً عن موقف يسجل لأحدهم وآخر ضده وجد البحث ان الحقيقة التي يجب ان نقال هنا :
- ان الثروة التفسيرية الهائلة التي وصلتنا نحن إتباع مذهب أهل البيت عنهم (E) قد أعانت المفسر الأمامي كثيراً على الوصول إلى التفسير الصحيح المرضي، بينما نجد ان مفسري الجمهور قد تشبثوا بأسباب النزول كثيراً، مما لا يساعد البحث العلمي عليه، علماً إننا في الوقت نفسه لا ننكر دور أسباب النزول هذه وأهميتها في التفسير وعلاقتها الوثيقة به والله اعلم .

الفصل الثالث

اسباب النزول في مناهج مفسري الإمامية

توطئة:

المبحث الاول: اسباب النزول في منهج التفسير بالقرآن.

المبحث الثاني: أسباب النزول في المنهج الروائي.

المبحث الثالث: اسباب النزول في المنهج الحديث.

توطئة:

أ- تعريف المنهج:

١- المنهج لغة:

قال تعالى (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا)^(٣٣٤)، منهج الطريق ومنهاجه بمعنى وضوحه، فالنهج لغة الطريق الواضح^(٣٣٤)، والنهج والمنهج والمنهاج بمعنى واحدة وبأي يُعبّر فانما يفيد الطريق الواضحة^(٣٣٤).

٢- المنهج اصطلاحاً:

أما في المصطلح العلمي فهو أخص مما عليه لغة، وقد وردت في تعريفه عدة صياغات، لدى التأمل فيها نجدها متفقة على معنى عبروا عنه بصياغات متعددة، لما يراه اللاحق من أن تعريف السابق غير وافٍ بتحديد المقصود المتفق عليه من المنهج. فهذا السيد كمال الحيدري وبعد ان يورد عدة تعاريف في المنهج في كتاب (اصول التفسير والتأويل) يقول: (فعندما نأتي الى الابحاث العقائدية او الابحاث التفسيرية او أي بحث آخر ونطلق كلمة منهج، فمرادنا مجموعة القواعد التي يتم الانطلاق فيها لفهم حقيقة من الحقائق، فما يستند اليه الباحث من مجموع قواعد هو المراد بالمنهج)^(٣٣٤)

ولعل من أفضل ما وجدته من تعريفاته:

١- تعريف الدكتور علي جواد في منهج البحث الأدبي: (طريقة يصل بها الإنسان الى حقيقة)^(٣٣٤).

٢- تعريف الدكتور علي رمضان في بحثه (منهج التفسير عند الشيخ البلاغي): (مجموعة الاسس والقواعد التي تعتمد في استنتاج النص القرآني ولبيان معناه والكشف عن معانياته)^(٣٣٤).

٣- تعريف محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف: (إطار من الضوابط العامة يسيّر المؤلف في ضوءها ولا ينحرف عنها، وأي عمل لا يقف وراءه منهج فهو عمل عشوائي يسوده الارتجال والتناقضات)^(٣٣٤).

٤- تعريف محمد علي الرضائي في دروس في المناهج: (هو الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن والتي يمكن من خلالها تبين معنى ومقصود الآية والحصول على نتائج مشخصة)^(٣٣٤).
وإذا اردنا ان ندلو بدلونا مع الدلاء التي خاضت صياغة تعريف المنهج اصطلاحاً، فيمكننا القول: بأنه اذا اريد به المنهج العلمي - كما هو محل البحث:-
(الطريقة التي يلتزمها الباحث في خطة البحث ومركزاته ومصادره للوصول الى الكشف عن ما هو بصده من حقيقة أو أكثر).

ب- اسباب النزول في مناهج المفسرين:

لحظ البحث أن اسباب النزول في مناهج المفسرين بعامه، تابعة في أغلب الأحيان الى تعدد مناهج المفسرين، فكما كانت لديهم في التفسير مناهج كان لأسباب النزول منهجه من التفسير، واسباب النزول وان بحثت في المنهج العام الا ان ما لمسناه ان سبب النزول لا يكون الا بالرواية، غاية الأمر يختلف المنهج الا ان ما لمسناه ان سبب النزول لا يكون الا بالرواية، غاية الأمر يختلف المنهج من حيث مصدر الرواية من جهة، هل هي خاصة بالمرويات عن النبي 7 أو أنها تعم ما روي عن أئمة أهل البيت X، أو انها تعم ما روي عن النبي 7 وعن الصحابي أو عن غير الصحابي فهذه من مناهج اسباب النزول، لكنها جميعاً ضمن منهج المأثور، كما انها جميعاً تبغي الوصول الى ما يجلي تفسير الآية الكريمة من خلال ما صح من سبب نزولها. لهذا نجد المفسر - غالباً - مهتماً بأسباب النزول وبالمناهج الذي صح له سبب النزول، اذن (لمعرفة شأن النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن الكريم وحل معضلات التفسير في كلا مجالي الاصول والفروع)^(٣٣٤)

ج - اسباب النزول في منهج الامامية:

ومفسرو الامامية كغيرهم ابلوا بلاءً حسناً في الاهتمام بمنهج اسباب النزول، ما دامت صحة المنهج ودقته تؤدي بالباحث الى سلوك الطريق الصحيحة في الوصول الى السبب الواقعي في نزول الآية الكريمة، ومن ثم تسليط الضوء بهذا السبب على الآية لبيان تفسيرها.

ومن أهم ما التزمه الامامية - كمنهج في اسباب النزول والعمل به في تفسير الآية الكريمة ذات السبب - هو ما يحقق الوثوق بصحة سند الرواية من وسائل ضبط السند، وان لا يكون متن رواية سبب النزول منافياً لضرورة دينية، بحيث لا ينسجم وثوابت الدين بعقائده وتشريعاته.

ومن هذه الوسائل:

- ١- تواتر الخبر: بمعنى اخبار جماعة لا يحتمل تواطؤهم على الكذب ويفيد بنفسه علماً.
- ٢- استفاضة الخبر: بأن رواه كثيرون واستفاض بين المسلمين دون ان يرد انكار عليه.
- ٣- والحد الأدنى من التحري ما قيل: (ان يكون المأثور من شأن النزول مما يدفع الإبهام عن وجه الآية تماماً ويحل مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم... الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحة الحديث أياً كان الاسناد)^(٣٣٤).

ومعلوم ان هذه القيود في منهج اسباب النزول تقلل كثيرا من الروايات الواردة في اسباب النزول بما فيها من آحاد أو ضعاف أو مرسلة أو غيرها مما فيها من وهن^(٣٣٤)، فإذا بلغت روايات اسباب النزول عند غير الامامية عدة آلاف حديثا فهي عند الامامية -وبهذه القيود- لا تتجاوز عدة مئات^(٣٣٤)

د- تعدد مناهج الامامية في اعتمادهم في التفسير على المأثور:

لدى استقراء تفاسير الامامية - مما هو متوفر منها- من حيث اعتمادها على اسباب النزول وعدمه، وجدناها على اربعة انماط.

١- نمط لا يعتمد المأثور من الاخبار في منهجه التفسيري، وانما يفسر القرآن بالقرآن، وبعد الانتهاء من التفسير قد يعقد بحثا روائيا يتضمن بعض اسباب النزول دون ان يرتب عليه اثرا في تفسيره للآية.

٢- نمط يعتمد المأثور عن النبي 7 وأهل بيته المعصومين في تفسير القرآن الكريم.

٣- نمط أخذ من هذا و ذاك فحاول ان يوفق بين كل الآراء ويأخذ من الاسباب مما هو يتناسب مع الشروط التي يعتبرونها في صحة الخبر.

٤- ونمط غالب هو الذي لا يتقرب للمأثور ولا يقصيه ، وانما يقصد كل ما يفيد في فهم الآية، فهو تفسير يمكن تسميته بذي المنهج الجامع أو العام. ولكننا سنتناول ثلاثة انماط بثلاثة مباحث منها:

١- المبحث الأول: المنهج الاثري القرآني.

٢- المبحث الثاني: المنهج الأثري الروائي.

٣- المبحث الثالث: المنهج الحديث.

وسنتناول هذه المباحث كل على حدة وان كنا لا ندعي اننا قد استوعبنا كل المناهج، فهناك مناهج لم نشر اليها؛ لعدم اهميتها أو لعدم تداولها كثيراً، أو لأن أغلبها قد اعتمد وأخذ عن هذه المناهج الرئيسية، ولكن الشيء المهم الذي نود الاشارة اليه هنا هو ان (تاريخ التفسير والمفسرين يحكي حقيقة وهي: ان المفسرين الذين يمتلكون منهجا خاصا في التفسير كانوا أكثر توفيقا من الآخرين، وتركوا أثرا قيمة مثل التبيان، مجمع البيان، الميزان و ...) ^(٣٣٤)

المبحث الأول:

أسباب النزول في المنهج الأثري القرآني:

ان منهج تفسير القرآن بالقرآن افضل المناهج التفسيرية (فما اجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر) ^(٣٣٤) وهو (ان المفسر يسعى لرفع اجمال الآية أو ابهام مضمونها بالاستمداد بالآيات الأخرى لاستجلاء المعنى الحقيقي للآية الشريفة) ^(٣٣٤). وقد اعتبرت هذه الطريقة من اقدم الطرق في تفسير القرآن، وهي أحد اقسام المنهج النقلي؛ لان المنهج النقلي ينقسم الى قسمين:

١- تفسير القرآن بالرواية وهذا سيكون موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل عند حديثنا عن المنهج الاثري الروائي.

٢- تفسير القرآن بالقرآن: وهذا النوع من التفسير تعود جذوره الأولى الى زمن الرسول ٧ وكذلك استخدمه الأئمة I من بعده وبعض الصحابة والتابعين، فقد قيل أنه ٧ سئل عن معنى الظلم في قوله تعالى: (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) ^(٣٣٤)، فأجاب ٧ مستعينا على تفسيرها بآية أخرى هي قوله تعالى: (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ^(٣٣٤) فقد فسر ٧ معنى الظلم في الآية الأولى بالشرك بإيراده الآية الثانية ^(٣٣٤) وهذه الرواية تدل على انه ٧ استخدم هذا النوع من التفسير ليكون الاسوة لمن جاء من بعده، فهذا الامام الباقر X يثبت وجوب قصر الصلاة الرباعية في السفر في قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) ^(٣٣٤) مستقيدا في تفسيره هذا من قوله تعالى: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ^(٣٣٤). وكذلك فعل الصحابة والتابعين، فهذا الطبرسي في مجمع البيان قد نقل اليينا روايات في هذا المنهج عن الصحابة والتابعين ^(٣٣٤).

ومفسروا الامامية مالوا الى استعمال هكذا منهج في جانب من تفاسيرهم منهم: الطوسي في (التبيان) والطبرسي في (مجمع البيان) وان حرصوا على ان تكون تفاسيرهم هذه حاوية على مناهج أخرى لذا اعتبر هذان التفسيران من التفاسير الجامعة، أما في العصر الحاضر فكان لهذا المنهج رواده فكان أهم من فسر به:

١- الطباطبائي (١٣٢١هـ - ١٤٠٢هـ) صاحب تفسير الميزان.

٢- البلاغي (ت: ١٣٥٢هـ) صاحب تفسير آلاء الرحمن.

٣- محمد الصادقي الطهراني (معاصر) في تفسيره (الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة) ^(٣٣٤)

أما نحن فان الذي يهمننا ليس المنهج نفسه ولا من صاحب هذا المنهج انما الذي يهمننا هو كيف تعامل صاحب هذا المنهج مع روايات اسباب النزول وهل كانت عنده مهمة الى الدرجة التي عدها جزء من التفسير وانها الطريق لمعرفة معنى الآية والكشف عن مراد الله تعالى؟ وهل كانت هذه الروايات معتبرة عنده بحيث كانت جزءاً من التفسير؟ وما الى ذلك من الاسئلة نحاول الاجابة عنها؛ وذلك عند تعرضنا لاثنتين من اشهر هذه التفاسير وأكثرها تداولاً عند الناس، مبتدئين باكثرها اهمية .

١- تفسير الميزان لمؤلفه محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م)
عد العلماء هذا السفر أحسن ما ألف من تفاسير عند الامامية في العصر الحديث، لما
حواه من علوم على كافة الاصعدة، وهذا عائد بطبيعته الى سعة اطلاع مؤلفه على تفاسير
كافة - تقريباً - من كتب قبله، وبالتالي احاطته بسيئاتهم وحسناتهم، فتجنب هفواتهم، فكثرت
حسناته الأمر الذي أدى الى ان يخرج سفره بهذه الصورة الرائعة التي عد فيها هذا الانجاز
فتحاً جديداً في حياة القرآن الكريم (ولنا ان نلتبس أنه جعل منه ميزانا قيماً بينه وبين
المفسرين من وجه، وجعله ايضاً في التقدير والمعيار لأبعاد آيات القرآن الكريم من وجه
آخر)^(٣٣٤). الأمر الذي أدى الى نجاح المؤلف (في هذه التجربة نجاحاً هائلاً اذ قدم للمكتبة
العربية تفسيراً متكامل الأبعاد في فنون القرآن والكشف عن مراد الله تعالى في آيات كتابه
المجيد)^(٣٣٤).

وكان لاسباب النزول نصيباً وافراً في هذا السفر، لذا سنحاول الاطلاع على السلوك
او المنهج الذي اتبعه معها.
اسباب النزول في منهجه:

العنوان الذي اندرجت روايات اسباب النزول تحته في تفسير الميزان هو (البحث
الروائي) الذي اختار فيه المفسر ما صحت عنده من روايات وفق ضوابط وشروط هو
يأخذ بها ويرأها ملائمة مع منهجيته التي اتبعها في التفسير، وانت تقرأ هذه الروايات
وتعليقاته عليها ترى انه قد تعامل مع اسباب النزول وفق ثلاثة عناوين.

- ١- ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
 - ٢- عنوان سماه (الجري والانطباق)
 - ٣- عنوان سماه سياق الآية وأثره في فهم النص.
- وسنأتي على شرح كل واحد من هذه العناوين أو المحاور ان صح التعبير.

١- ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

الطباطبائي ومنذ الوهلة الأولى التي تعامل بها مع اسباب النزول ادرك (ان الاحكام
لا تتوقف عند مناسبات نزولها وانما العبرة بعموم اللفظ، فالقرآن الكريم تجري احكامه
حتى قيام الساعة)^(٣٣٤).

فاسباب النزول عنده هنا تقوم بدور الاشارة لا التخصيص فنراه في قوله تعالى (وَلَا
تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنِمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ)^(٣٣٤)،
وقد تعامل معها على هذا الاساس فقال في ذلك: (ومجرد كون الاسلام عند نزول السورة
مبتلى بقريش ومشركي مكة وحواليها لا يوجب تخصيصاً في اللفظ فان خصوص المورد
لا يخصص عموم اللفظ فالآية تنهي عن الركوب الى كل من أئسم بسمه الظلم، أي من كان
مشركا او موحدا او مسلماً او من أهل الكتاب)^(٣٣٤).

وقد وضع هذا المطلب - المورد لا يخصص عموم اللفظ - عندما قال: (وما ورد في
شأن النزول ... لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي الحكم بانقضائها ويموت
بموتها، لان البيان عام والتعليل مطلق، فان المدح النازل في حق افراد من المؤمنين او
الذم النازل في حق آخرين معلاً بوجود صفات فيهم، لا يمكن قصرها على شخص مورد
النزول مع وجود عين تلك الصفات في قوم آخرين بعدهم وهكذا...) (٣٣٤).

٢- عنوان سماه (الجري والانطباق):

نستطيع القول ان (نظرية الجري والانطباق) من ابتكارات وابداعات صاحب الميزان وأول من اشار اليها من المفسرين ومن نهض بها، وان كان قد أخذ قواعدها عن ائمة أهل البيت X الذين افتخروا ان تكون عائدة علوم القرآن كلها لهم فقالوا: (علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل ان يفسر في الناس فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه ومتفرقه وحضرته في أي ليلة نزلت منه آية، وفيمن نزلت وفيما أنزلت..)^(٣٣٤) والطباطبائي استطاع ان ينهض بهذه النظرية مستفيدا من حديثين ورد عن الصادقين X فمنهما القى الله في روعه وضع هذه النظرية، والحديث الأول كما رواه ابو بصير قال : قلت لأبي عبد الله X (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)^(٣٣٤) فقال X: قال رسول الله 7: انا المنذر وعلي الهادي، يا ابا محمد هل من هاد اليوم؟ فقلت: جعلت فداك ما زال منكم هاد بعد هاد حتى رفعت اليك، فقال X: رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب ولكنه يجري فيمن بقي كما جرى فيما مضى^(٣٣٤).

فراه قد علق بعد ايراده هذا الحديث بالقول: (والرواية تشهد على ما قدمناه ان شمول الآية لعلي X من الجري وكذلك يجري في باقي الأئمة X وهذا الجري هو المراد مما ورد انها نزلت في علي X)^(٣٣٤)

اما الحديث الثاني فكان مروى عن الامام الباقر X عن الفضيل بن يسار الذي قال: سألت ابا جعفر X عن هذه الرواية، ما في القرآن آية الا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف الا وله حد، ولكل حد مطلع، وما يعني بقوله لها ظهر وبطن؟ فقال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر، كما جاء منه شيء وقع، فقال: قال الله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)^(٣٣٤) قال: نحن نعلمه^(٣٣٤).

فمن هذا الحديث استفاد الاستدلال على ان روايات أهل البيت X يجب ان تكون هي المنار والمبين والدليل ومنها الاستنباط فقال في ذلك: (وقوله X منه ما مضى ومنه ما يأتي، ظاهره رجوع الضمير الى القرآن باعتبار اشتماله على التنزيل والتأويل فقوله: يجري كما يجري الشمس والقمر يجري فيهما معا، فينطبق في التنزيل على الجري الذي اصطلحت عليه الأخبار في انطباق الكلام بمعناه على المصداق كإنطباق قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٣٣٤) على كل طائفة من المؤمنين الموجودين في الأمصار المتأخرة عن زمان نزول الآية، وهذا نوع من الانطباق، كانطباق آيات الجهاد على جهاد النفس، وانطباق آيات المنافقين على الفاسقين من المؤمنين، وهذا نوع آخر من الانطباق ادق من الأول، وكانطباق آيات المذنبين على أهل المراقبة والذكر والحضور في تقصيرهم ومساهلتهم في ذكر الله تعالى، وهذا نوع آخر أدق من ما تقدمه، كأنطباقها عليهم في قصورهم الذاتي عن اداء حق ما تقدمه، وهذا نوع آخر ادق من الجميع)^(٣٣٤).

لذا فهو يعد ان معنى الجري في القرآن ان الآية (لا تختص بمواردها الأولى، بل تتعداها الى ما يناسبها، وهذا المعنى هو المسمى بجري القرآن)^(٣٣٤). وعنه قال في

موضوع آخر: (واعلم ان الجري اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت Γ وهذه سليقتهم فانهم Γ يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل ان ينطبق عليه من الموارد وان كان خارجا عن مورد النزول والاعتبار ساعده)^(٣٣٤). وقد طبق هذه النظرية في أكثر من موضع في الكتاب^(٣٣٤)، وكأني بهذا المنهج قد التقى مع المنهج الأول وان اختلفت التسميات.

٣- عنوان سماه سياق الآية:

السياق هو: (نوع خاص للألفاظ او العبارات او الكلام يظهر على اثر اقترانه مع كلمات وجمل أخرى)^(٣٣٤)، أو بمعنى آخر هو (كل ما يكتنف اللفظ الذي تريد فهمه من دوال أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا او حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع)^(٣٣٤)

واعتبر العلماء اعتماد السياق (من الاصول العقلانية المعتمدة في جميع اللغات، فالمفسرون يعتمدون على هذه القرينة ايضا في فهم آيات القرآن ويعتبرونها قرينة ظنية)^(٣٣٤) والطباطبائي قد استفاد من هذه الطريقة كثيرا في الميزان، وقد استدلل بها في كثير من الموارد غير موارد اسباب النزول؛ لأنه لا غنى لاي مفسر عنه.

وقد اعتبر ان بعض اسباب النزول نستطيع الحصول عليها من السياق - ان داخلنا الشك في السبب الوارد الينا- الذي يوافق او ينافي نزول الآية في الواقعة المعينة؛ خصوصا بعد ان كثر الخلط بين هذه الاسباب. فلربما وردتنا في الآية الواحدة روايتان عن سبب نزولها دون أن يكون هذا هو السبب الحقيقي للنزول؛ لأنهم اخذوا يطبقون الروايات على الآيات من دون تدبر وتعقل؛ وكذلك بمجرد انهم اعتقدوا ان هناك صلة بين الآيات فيها فسروا، علما ان سياقها لا يدل على شيء مما ذهبوا اليه.

وقد اورد عدة امثلة دليلا على خلطهم هذا واشتباههم الذي ادى بالنتيجة الى اختلاف المذاهب في ذلك، فمن ذلك عندما تحدث عن بعض من آيات سورة آل عمران^(٣٣٤) من ذلك: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣٣٤)، قال: (الآيات مرتبطة بآيات غزوة أحد ويشعر بذلك قوله تعالى: (مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ)^(٣٣٤) وقد قال فيها (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)^(٣٣٤)^(٣٣٤) فهو في بحثه الروائي عالج قضية كثرة الروايات الواردة عن هذه الواقعة بالقول: (الروايات الواردة في غزوة أحد كثيرة في الغاية وهي مختلفة اختلافا شديدا في جهات القصة ربما أدت الى سوء الظن بها واكثر اختلافا ما ورد منها في اسباب لنزول كثير من آيات القصة وهي تقرب من ستين آية، فان أمرها عجيب ولا يلبث الناظر المتأمل فيها دون ان يقضي بأن المذاهب المختلفة او دعت فيها ارواحها لتتطرق بلسانها بما تنتفع به وهذا هو العذر في تركنا ايرادها في هذا البحث فمن ارادها فعليه بجوامع الحديث ومطولات التفاسير)^(٣٣٤).

ثم اورد بعض من روايات اسباب نزولها من مصادر شتى منها الدر المنثور والعياشي، والقمي، وابن جرير، والطبراني ثم علق بالقول: (ولعل المراد بكون الآية نزلت فيها كون الآية مشيرة اليها والا فسياق الآيات انها نزلت بعد غزوة أحد)^(٣٣٤) فهو عندما لم يثق بهذه الروايات قد استفاد من السياق لاثبات نزولها في تلك الواقعة - معركة أحد- وختم حديثه عن ذلك بقوله: (وانما اوردنا هذه الرواية مع مخالفتها للأختصار والتلخيص المؤثر في المباحث الروائية بإيراد أنموذج جامع مع كل باب ليتبصر الباحث المتأمل ان ما ذكره من اسباب النزول كلها او جلها نظرية بمعنى أنهم يروون غالبا

الحوادث التاريخية ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها اسباب النزول وربما ادى ذلك الى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق ثم نسبة كل جزء الى تنزيل واحد مستقل وان اوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها، وهذا أحد اسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في اسباب النزول^(٣٣٤).

هذا فيما يخص الروايات التي شك في صدق روايات اسباب نزولها، اما الروايات التي استدلت على صدق اسباب نزولها من وحدة السياق فكثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ... الى قوله.. فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)^(٣٣٤)، فقد استدلت على أنها نازلة في أمير المؤمنين X من مطابقة سبب نزولها مع وحدة سياق الآية فقال في ذلك: (وما ورد فيها من اسباب النزول يؤيد، فليس مجرد وقوع الآية بعد الآية أو قبل الآية يدل على وحدة السياق ، ولا ان بعض المناسبة بين آية وآية يدل على نزولها معا دفعة واحدة أو اتحادهما في السياق)^(٣٣٤).

هذا أهم ما خص به منهجه مع اسباب النزول، أما الصبغة العامة التي صبغت منهجه فكانت كالآتي:

١- انه غالبا ما يتر اسانيد روايات اسباب النزول الا ما ندر منها، وهو (لا يتعامل مع رجاله الا قليلا، ولكنه جعل لذلك حدا ومخرجا، فما وافق كتاب الله تعالى، فهو لا ينظر فيه الى سنده ويعتبره صحيحا في متنه، وما لا يوافق كتاب الله، ولا يمكنه من الفصل فيه فانه يذكر السند)^(٣٣٤). وقد زعم أنه قد اختار الروايات الصحيحة - أي التي لم يذكر اسانيدها- التي تكون مؤيدة بالقرائن الحالية او المقالية فقال في ذلك: (انه ليس من دأب الكتاب ذكر سند الحديث لموافقة القرآن، ومعها لا حاجة لذكر السند، اما عدم الموافقة فلا يمكن التوفيق بينهما، فلا بد من السند ونحن مع ذلك نختار روايات صحيحة السند او مؤيدة بالقرائن)^(٣٣٤)، وهذه الرؤية سجلت حسنة لصاحب الكتاب وللكتاب نفسه الا وهي انك تستطيع الاطمئنان الى الروايات المنقولة عنه على اساس انه لا ينقل السقيم؛ وبهذا يكون قد كفانا مؤونة البحث في علل الاسانيد^(٣٣٤).

٢- اذا ثبت عنده عدة روايات في الواقعة الواحدة ولم يكن لديه سبيل لردّها؛ وذلك لموافقتها مع الظواهر القرآنية فانه يقبلها تحت مبررين لا ثالث لهما:

أ- ان الآية قد تكون نازلة لاسباب عديدة وهذا ما ثبتناه في الفصل الأول تحت عنوان (حالات اسباب النزول) فهذه الاسباب اما ان يتعدد النازل والسبب واحد او تتعدد الاسباب والنازل واحد.

ب- يأخذ بالرواية من باب ان الرواية طبقوها على هذا المورد، لذا يقول: (وهو شائع في روايات اسباب النزول)^(٣٣٤)

فمن ذلك ما أورده عن سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(٣٣٤)

فقد نقل عن الدر المنثور للسيوطي روايتان مختلفتان^(٣٣٤) ولكنهما لا تعارضان ظاهر النص القرآني هذا بل تنطبق عليه فيأخذ بهما معا تحت المبررين الماري الذكر اعلاه؛ فهو اذا ممن جعلوا للظواهر القرآنية حاكمية على النص في معرفة اسباب النزول الحقيقية التي تساهم في الكشف عن مراد الله تعالى كذلك الحال عندما تكون الروايات مختلفة وغير مطابقة للظواهر القرآنية فانه يرفضها معتبرا إياها انها مما تسامح به السلف في نقل الروايات أو انها من باب تعدد الاسباب^(٣٣٤) فمن ذلك عندما نقل سبب نزول قوله

تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٣٣٤).

رفض الرواية التي نقلها السيوطي في الدر المنثور (٣٣٤) في أن الآية النازلة في ابن سلام؛ وذلك عدم انطباقها على ظاهر القرآن (٣٣٤).

٣- قد تصل ثقته برواية ما في سبب نزول معين الى درجة يصفها بانها (اعدل رواية) أو انها (اصدق رواية) كما جعل ذلك عندما نقل رواية سبب نزول قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...) (٣٣٤) فهو وبعد أن اورد سبب نزول هذه الآية علق بالقول (هذه اعدل الروايات في نزول السورة..) (٣٣٤) وعداها اعدل الروايات لانطباق مضمون الآية مع ظاهرها.

٤- اذ تواتر الخبر لديه اخذ بما رود من روايات الفريقين بعد ان نقل الرواية عن امهات كتبهم، فمن ذلك عندما نقل سبب نزول قوله تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالنَّاسُ لِلْقَمَرِ) (٣٣٤) علق بالقول (ان الحديث متواتر لا يمتري في تواتره..) (٣٣٤).

٣- استفاد من المكي والمدني في اثبات بعض روايات اسباب النزول او دحضها كما فعل ذلك مع (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٣٣٤).

فقد اورد روايات عن سبب نزولها عن الطبراني وابن مردويه عن ابي امامه قال: لما نزلت الآية .. اقبل رسول الله 7 على اهل بيته قائلا: يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا ام سلمة، ويا فاطمة بنت محمد 7، ويا أم الزبير عمة رسول الله اشتروا أنفسكم.. الخبر (٣٣٤).

فراه وبعد ان اورد هذه الآية استفاد من المكي والمدني في ردها حيث قال: قوله تعالى (الآية) آية مكية في سورة مكية ولم يقل أحد بنزول الآية بالمدينة وأين كانت يوم نزولها عائشة وحفصة وام سلمة ولم يتزوج النبي 7 بهن الا في المدينة (٣٣٤).

٥- واذا كان هناك اسباب نزول لها مساس بحياة النبي 7 أو بتاريخ الدعوة الاسلامية افرد لها بابا سماه (بيان) ثم يقوم بسرد روايات اسباب النزول الواردة في كتب التفسير والحديث ثم يناقش ويطيل الحديث عنها، كما حصل ذلك مع (حديث الأفك) (٣٣٤).

٦- كان يكتفي بنقل رواية واحدة ان وردت عن اهل البيتؑ وذلك لانه كان كثير الثقة بالرواية الواردة عنهمؑ في سبب نزول آية ما ، فمثلا عندما نقل سبب نزول قوله تعالى: (وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) (٣٣٤) نقل رواية واحدة فقط مروية عن الباقر X في مجمع البيان ولم يعرج على بقية التفاسير لنقل رواية غيرها (٣٣٤).

و على العموم فان الطباطبائي P لم يعلق على اسباب النزول أهمية خاصة بل استعان بها (باعتبارها قرائن يمكن ان توضح النص القرآني وتوجهه وجهة معينة، وتصدى لأكثر هذه الروايات للتناقض الحاصل بينها فاسقط قسما كبيرا منها، ويرى ان الاحكام لا تتوقف عند مناسبات نزولها وانما العبرة بعموم اللفظ، فالقرآن تجري أحكامه حتى قيام الساعة) (٣٣٤) ولا ننسى موقفه هذا منها في كتابه (القرآن في الاسلام) (٣٣٤) الذي اسقطها من الاعتبار لاسباب اوردتها هناك تحدثنا عنها في مبحث (موقع اسباب النزول عند الامامية) في الوقت الذي منحها أهمية خاصة اذا كانت صحيحة السند او رواياتها واردة عن اهل البيتؑ.

٢- تفسير آلاء الرحمن لمؤلفه محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢ هـ)

من التفسير القيمة والتي شاعت الاقدار ان يرحد مؤلفه قبل ان يبصر هذا التفسير النور، وقد وصل فيه الى تفسير نهاية آية (٥٧) من سورة النساء وهي (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)^(٣٣٤)*

والبلاغي أراد من تفسيره هذا ان يكون انموذجا في التفسير حاويا على كل ما لذ وطاب لولا القضاء الذي حال دون ذلك، فقد كان هذا التحرير (عارفا باللغات العبرية والانكليزية والفارسية مضافا الى اللغة العربية مجيدا فيها، مما ساعده على مراجعة أهم المصادر للتحقيق عن مبادئ الاديان القديمة، والوقوف على مبانيها فكان تاليفه في هكذا مجالات ذوات اسناد متين واساس ركين)^(٣٣٤).

والبلاغي وان عاجلته المنية الا ان ما وصل اليه مع مقدمته القيمة كان كافيا عن الكشف عن منهجه، ولم نسمع بأن احدا من النقاد قد وجه اليه مثلبة واحدة سجلت ضده، بل على العكس الكل يذكره بالذكر الحسن.

اسباب النزول في منهجه

ابدى P باسباب النزول اهتماما واضحا فهو لا ينقل هذا السبب أو ذاك الا (حين يطمئن الى ملابسات حادثة معينة او ظروف واقعة من الوقائع فان ذلك يعين على بيان النص وفهم ابعاده)^(٣٣٤). وايمانا منه انه لا يمكن فهم النص ما لم يحيط المفسر بكل خلفيات هذا النص وتكاد تكتشف منهجيته مع اسباب النزول عندما تطالع مقدمة تفسيره هذا حين يقول: (واما الرجوع في التفسير واسباب النزول الى عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسله فهو مما لا يعذر فيه مسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به المسانيد الا ما ابتني على قواعد العلم الديني الرحبية، ولو لم يكن من الصوارف عنهم الا ما ذكر في كتب الرجال لأهل السنة لكفى، وان الجرح مقدم على التعديل اذا تعارضا، فانظر الى ميزان الذهبي من كتب الرجال اقلا)^(٣٣٤).

وهذا يدل على تحرزه في نقل الرواية في اسباب النزول وعدم اعتماده على كل ما قيل فيها؛ لذا نراه يغربل هذه الروايات ويناقشها رادا لقسم كبير منها.

ومع اهتمامه هذا باسباب النزول مع ذلك نرى انه يعد ان ما نزل بسبب معين ليس حكرا على هذا السبب بل هي عامة أي العبرة عنده بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد كان ذلك واضحا في مواقع عديدة من التفسير منها عندما نقل سبب نزول قوله تعالى: (وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٣٣٤).

حيث انه علق على سبب النزول قائلا: (هذا وان الناظر الى مجموع هذا المروي ودلاله الآية وحجيتها يشعر بأن رواية نزولها في مورد خاص انما هو باعتبار انطباقها عليه وارادته في عموم تنزيلها، كما ان المروي ولسان الآية وسوقها تشهد بأن مفادها قاعدة عامة)^(٣٣٤)، كما يمكننا ا اعتباره (قدس سره) من الذين اعتمدوا السياق في الاستدلال على صحة اسباب النزول، وقد كان ذلك واضحا فيا اماكن عديدة من الكتاب منها: عند نقله قوله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)) (٣٣٤) فبعد ان نقل سبب نزولها علق بالقول: (والآية تشعر بأن لها شأن وسبب نزول والسياق يقتضي ارتباطها باليهود) (٣٣٤)

أما أهم ما امتاز به من منهجية مع اسباب النزول فكان:

١- لم يكن البلاغي متعصبا في بحثه عن اسباب النزول فقد أخذها من كتب الجمهور كما أخذها من كتب الامامية همه في ذلك البحث عن السبب الحقيقي للنزول لا المصدر الذي نقل منه، ولا هوية الناقل، وكان ذلك واضحا في اكثر صفحات الكتاب، فمن ذلك عند نقله سبب نزول قوله تعالى: (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (٣٣٤)، حيث نقل رواية من الدر المنثور منقولة عن جماعة منهم مسلم والبخاري اخرجوا عن جابر إن الطائفتين هم بنو سلمة وبنو حارثة من الانصار، وكذلك رواية عن ابن جرير عن ابن عباس، كما نقل روايات من كتب الامامية عن سبب نزول الآية نفسها، نقل رواية من مجمع البيان مرسله عن الامامين الباقر X والصادق X، وكذلك عن القمي الذي قال انها نزلت في عبد الله بن ابي وقوم من الصحابة اتبعوا رأيه في القعود عن نصره رسول الله 7، وبعد نقله هذه الروايات عقب بالقول (ويدفعه ان الآية تقول همت ان تفشلا ومن المعلوم ان عبد الله واصحابه قد فشلوا، وقعدوا وناقضوا كما يأتي وقد قال الله تعالى في الطائفتين: (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) وفي ذلك دلالة على ان الله عصمهما عما همتا به) (٣٣٤). وقد ذكر في الآيات المشار اليها من ذم الله لعبد الله واصحابه ومقته لهم شيئا كثيرا وانهم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان فهنا نراه لم ينقل فقط بل يرجح ويختار ويستنتج من القرائن المحيطة بالنص.

٢- اهتم كثيرا بسند الرواية ومنتها فناقش تلك الروايات الواردة عن ائمة أهل البيت I والصحابة والتابعين فمن ذلك ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى: (وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (٣٣٤).

٣- لم ينقل عن كتب التفسير فقط بل نجده قد تعقب اسباب النزول حتى في الكتب الحديثية لدى الفريقين وقد يجمع بينهما وبين كتب التفسير والعقائد والكلام والاخلاق، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على علميته واحاطته بكل العلوم مما جعل تفسيره عبارة عن موسوعة ضمت الى (جنب ادبه البارع ومعرفته بمباني الفقه والفلسفة والكلام والتاريخ ولا سيما تاريخ الاديان واعراف الامم الماضية، والتي حل بها كثيرا من مشاكل اهل التفسير) (٣٣٤).

من ذلك ما ذكره عند نقله سبب نزول قوله تعالى: (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلَوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ...) (٣٣٤).

٤- في بعض الاحيان قد يورد لك سببا للنزول غير مقتنع انه ما نزلت الآية بسببه فيناقشه مناقشة الواعي فيقنعك بما ذهب اليه كما فعل ذلك عندما أورد الروايات المنقولة عن سبب نزول قوله تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣٣٤) حيث قال: (ان هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين X) (٣٣٤) حسب ما ذكره من روايات اوردها عن الصدوق في العيون، والمفيد في الاختصاص، والطوسي في التبيان، والطبرسي في مجمع البيان والزمخشري في الكشاف، واسنده الواحدي في اسباب النزول عن ابن عباس، وغيرهم كثير ذكرهم البلاغي في الوقت الذي ينقل لك سبب نزول آخر أورده الواحدي في اسباب النزول والسيوطي في الدر

المنثور والذي قال فيه: (ان الآية نزلت في اصحاب الخيل الذين يعلقونها في سبيل الله، فهو وبعد ايراد رأيهما هذا يرد عليها بالقول: (ولكنك لا تكاد تجد بين هذا وبين الآية مناسبة تليق بكرامة القرآن)^(٣٣٤). وقد استعمل عبارة (ما لا يليق بكرامة القرآن) دلالة على رفضه لما ورد عن سبب نزولها وعدم اقتناعه بها، بينما تعامل مع الرواية الأولى - كونها نازلة في أمير المؤمنين X - على أنها السبب الحقيقي لنزول هذه الآية.

٥- قد نجده يدافع دفاع المستميت لرد فرية نسبها التاريخ لشخص هو منها براء وقد تجلى ذلك واضحا حينما تعامل مع قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ..)^(٣٣٤) حيث ان بعض التفاسير غير الامامية نقلت ان سبب نزول هذه الآية ان أمير المؤمنين عليا X بعد ان سكر وثلث وقرأ القرآن على غير وجهه نزلت فيه هذه الآية^(٣٣٤).

فنراه قد اورد الأدلة على عدم نزولها في شخص أمير المؤمنين X واثبت انها نازلة في شخص آخر، وقد سلك في ذلك مسلكا لم يسلكه غيره من مفسري الإمامية، فالبحت قد تتبع اشهر تفاسير الامامية ولم ير ان احدا قد دفعها عن امير المؤمنين X غيره فقد مروا على هذه الفرية مرور الكرام^(٣٣٤)، وبذا نستطيع أن نسجلها فريده من نوعها امتاز بها عن غيره، ولعل غيره من مفسري الامامية الذين اهملوا الرد عليها قصدوا من ذلك ان هذه الرواية - أي نزولها في امير المؤمنين X - مما لا يعقله عاقل لذا قصدوا الى عدم اضاءة الوقت معها ومع ذلك فهم غير معذورين بهذا، ذلك ان هناك من تمر عليه هكذا اكاذيب بدليل ان بعض تفاسير الجمهور قد تناقلتها وكذلك فعل اصحاب الصحاح تحدثوا عنها واعتبروها من المسلمات.

٦- ثمة نهج سار عليه البلاغي مع اسباب النزول الا وهو انه عندما يذكر سبب نزول معين لا يذكره كاملا بل يحيلك على مصدره، وهذه المنهجية ان عدت كانت من سلبيات منهجه مع اسباب النزول؛ كون ان القارئ او الباحث عليه الرجوع الى تلك المصادر ومع عدم توفرها يقع في مشكلة حقيقية.

وهذا منتشر كثير في الكتاب منها عندما نقل روايات سبب نزول قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)^(٣٣٤).

هذه أهم ما امتاز به منهجه مع اسباب النزول وان كان هناك ثمة أمور اغفلنا عن ذكرها رغبة في عدم الاطالة، لكن الذي يجب ان يقال: اننا - بالرغم من ان البلاغي لم يكمل سفره هذا - تعرفنا على عدة مناهج نهجها مع اسباب النزول، فكم يا ترى سيكون عدد هذه المناهج لو حالقنا الحظ وأكمل تفسيره هذا !!!

المبحث الثاني:

اسباب النزول في المنهج الأثري الروائي:

يعد هذا المنهج من اقدم المناهج التفسيرية وأكثرها شيوعا ويعد أحد اقسام (التفسير بالمأثور) و (التفسير النقلي) وعندما يذكر يراد به (استفادة المفسر من سنة النبي 7 وأهل البيت ٢) والتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها^(٣٣٤).

وهذا المنهج يمكن ان يستفاد منه في:

- ١- تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢- تفسير القرآن بالسنة.
- ٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة^(٣٣٤).
- ٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين.

هذا وقد ظهرت بوادره الأولى في عهد النبي 7 حيث أنه 7 كان يوضح للمسلمين ما اشكل عليهم من امور دينهم اما قولاً او فعلاً او تقريراً وهم يأخذون عنه ذلك ويتناقلونه فيما بينهم، فكان 7 هو المبين في الوقت الذي كان فيه المبلغ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٣٣٤). فلا ينكر مسلم (الدور الرائد الذي قام به النبي الأعظم ، يوصفه المفسر الأول للقرآن الى جانب دوره الرائد في مجال التطبيق لمفاهيم القرآن ونظرته العامة الى الكون والحياة)^(٣٣٤). وبوصفه المفسر الأول نشأ التفسير الروائي الذي استمر الى عصر الأئمة ٢، فكان أمير المؤمنين ممن تربوا في حجر رسول الله 7 وتلميذه الأول، الرائد في هذا المجال، فقد نقل أحاديث رسول الله 7 في التفسير الى الناس، كذلك فعل الائمة من بعده ٢ فكانوا يفسرون القرآن وفق الروايات التي ورثوها عن النبي 7 بصفته أحد الثقلين الذين تركهم رسول الله 7 إرثاً لهذه الامة.

وهذه الروايات المنقولة عنهم ٢ حظيت باهتمام الصحابة المخلصين والتابعين السائرين على جادة الصواب وأخذوا يتناقلونها جيلاً عن جيل حتى وصلتنا كما هي اليوم فكان منها المنهج الأثري الروائي^(٣٣٤).

ومفسروا الامامية تبناوا هذا المنهج، فألفت فيه تفاسير عدت من احسن ما فسر بالمأثور وان كان بعضها لا يخلو من سيئات أهمها انهم قاموا بجمع الروايات الصحيحة والسقيمة على حد سواء دون الرجوع الى اسانيدھا التي لا تخلو من تجريح العلماء، اصف الى ان بعض من هذه التفاسير فقد ولم يعرف عنه شيئاً غير أننا وجدنا في كتب العلماء وتفسيرهم تنويها عنها، أو ذكر لها، اما القسم الآخر فقد قيل أنه مشكوك في نسبته الى مفسريه، اما ما وصل الينا فكان قليلاً قياساً مع تفاسير ذات مناهج أخرى وفيما يلي نقف على اسماء هذه التفاسير:

- ١- التفسير المنسوب الى الامام علي X والمعروف بـ(مصحف علي بن ابي طالب)، وقد جمع القرآن فيه على رواية الزنجاني في تاريخ النزول، ولكن توضيحاته وتاويلاته، وشأن النزول فقدت ولم تعد موجودة، ولكنه ان دل على شيء فانما يدل على ان الامام علي X أول من تصدى للتفسير^(٣٣٤).

- ٢- تفسير ابن عباس المعروف باسم تنوير المقباس للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) (٣٣٤).
- ٣- تفسير الامام الباقر (٥٧-١١٤هـ) وقد ذكره ابن النديم على انه من مرويات ابي الجارود (ت ١٥٠هـ) واخذ منه القمي كثير من الروايات (٣٣٤).
- ٤- التفسير المنسوب الى الامام الصادق X (٨٣-١٤٨هـ) وكذلك (مصباح الشريعة) المنسوب له X (٣٣٤).
- ٥- تفسير القمي / لعلي بن ابراهيم القمي (ت ٣٠٧هـ)
- ٦- تفسير فرات الكوفي / لأبي القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات (كان حيا سنة ٣٠٧هـ).
- ٧- تفسير العياشي / لابن النضر محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ).
- ٨- تفسير النعماني / لمحمد بن ابراهيم جعفر النعماني (ت بعد عام ٣٤٢هـ)، وقد نقل المجلسي منه في البحار عنوان (ما ورد عن أمير المؤمنين في اصناف آيات القرآن وأنواعها برواية النعماني) (٣٣٤).
- ٩- التفسير المنسوب الى الامام الحسن العسكري X (ت: ٢٥٤هـ) وقد نقل عن طريق ابي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وابي الحسن علي بن محمد بن يسار) تلميذي الامام X وقد قيل عنه أنه من وضعهما (٣٣٤).
- ١٠- تفسير الصافي / للملا مرتضى محسن الفيض الكاشاني (١٠٠٧ - ١٠٩١هـ).
- ١١- البرهان / للسيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ أو ١١٠٩هـ).
- ١٢- نور الثقلين / لعبد علي الحويزي (ت ١١١٢هـ).
- ولكننا سنقوم بتسليط الضوء على أجمع وأشهر هذه الكتب، ومناهج مؤلفيها مع اسباب النزول. فكان اهمها:

الأول: تفسير العياشي / لمحمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي (ت ٣٢٠هـ).

اشتهر هذا التفسير وعرف عند الناس بأسم مؤلفه العياشي الذي (جمع فيه المأثور عن ائمة أهل البيت Γ... ولقد أجاد وافاد وذكر الروايات بأسانيدھا في دقة واعتبار) (٣٣٤) غير ان الاقدار شاءت ان تحرمننا من ان ننعم بفيض ما فيه حيث (وصل الينا ناقصا، فقد سقط نصفه الثاني الذي يبدأ من سورة مريم الى آخر التفسير) (٣٣٤).

وما هذا السفر المبارك الا ثمرة لمدرسة التفسير بالمأثور أو التفسير الروائي (وقد اعتمده أعلم المتأخرين في تفاسيرهم ومجامعهم الحديثية وليس من شك ان حديث أهل البيت Γ من أهم مفاتيح فهم كتاب الله تعالى، ولا يتيسر للمفسر ان يفهم كتاب الله اذا لم يضع امامه الخطوط الاساسية التي رسمها أهل البيت Γ) (٣٣٤).

اسباب النزول في منهجيته:

وكانت منهجيته فيها كمنهجه في تفسير القرآن ككل لا ينقل رواية الا عن طريق أهل البيت Γ فمن ذلك ما نقله عن محمد بن ابي حمزة، عن ابي عبد الله X عن قوله تعالى (أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣٣٤).

قال: كان المسلمون قد اصابوا ببدر مائة واربعين رجلا، قتلوا سبعين رجلا واسروا سبعين^(٣٣٤)، فلما كان يوم احد اصيب من المسلمين سبعون رجلا، قال: فاغتموا بذلك فانزل الله تبارك وتعالى الآية^(٣٣٤).

ومنه ايضا ما نقله عن سبب نزول قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرَ وَكَفَرُوا بِعَدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...) ^(٣٣٤).

فقد نقل عن سبب نزولها عدة روايات منها: قال أبان بن تغلب عنه - أي الامام الصادق X- لما نصب رسول الله 7 عليا X يوم غدِير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه فهم رجلا من قريش رؤوسهما وقالوا: والله لا نسلم له ما قال أبدا، فاخبر النبي 7 فسألها عما قالوا فكذبا وحلفا بالله ما قالوا شيئا، فنزل جبرائيل على رسول الله 7 بـ(يحلِفون بالله...) الآية، قال ابو عبد الله X: لقد توليا وما تابا^(٣٣٤) ولكن ثمة ملاحظة اثارها العلامة الطباطبائي عندما قدم لهذا الكتاب بالقول: (ان جل رواياته كانت مسنده فاختصره بعض النساخ فحذف الاسانيد)^(٣٣٤). وهذا الشيء يشكل بدوره مردودا خطيرا على الكتاب اجمع؛ وذلك لان ورود روايات غير مسنده معناه عدم الثقة بتلك الرواية لعدم معرفة رواتها هل كانوا من الثقات ام لا؟ وبالتالي فقدان هذه الرواية قيمتها ثم طرحها خصوصا وان بعض اصحاب كتب رجال الحديث قد طعنوا في بعض الشخصيات التي نقل عنها العياشي حتى قال النجاشي عنه، (كان يروي عن الضعفاء كثيرا)^(٣٣٤) رغم ان العياشي كان مورد وثوق علماء الامامية، من ذلك خذ مثلا (هارون بن محمد الحلي) وهو رجل مجهول الهوية ولا اثر له في كتب الرجال المعتبرة^(٣٣٤) فقد نقل عنه أنه سأل ابي عبد الله الصادق X عن قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)^(٣٣٤) فرد عليه الامام X قائلا: هي خاصة بآل محمد^(٣٣٤) وبعدها نقل روايتان أخريان يستفاد منهما ان آل محمد 7 هم بنو اسرائيل فأينما يذكر بنو اسرائيل فالمقصود آل محمد 7 وهذا مردود من عدة وجوه:

أ- ان الرواية في طريقها هارون بن محمد الحلي المجهول الحال.
ب- اذا كانت عبارة بني اسرائيل تعني محمد 7 و آل محمد فكيف يكون تعالى قد ذمهم في مواضع عديده من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ عُلوًّا كَبِيرًا)^(٣٣٤). وكذلك قوله تعالى: (وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)^(٣٣٤)
واذا كنا نرضى بهذا كلاما فمعناه اننا وجهنا لآل الرسول 7 إهانة، وهذا مرفوض عقلا وشرعا^(٣٣٤).

اضف الى انه قد ترد رواية غير معقولة لان فيها خيوط من كفر، فقد نقل عن سبب نزول قوله تعالى: (أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ...) ^(٣٣٤). قوله : (ان رسول الله 7 كان نائما في ظل الكعبة فاتاه جبرائيل ومعه طاس فيه ماء من الجنة فايقظه وأمره ان يغتسل به ثم وضعه في محمل له ألف الف لون من نور ثم صعد به حتى انتهى الى أبواب السماء فلما رآته الملائكة نفرت عن ابواب السماء و قالت: اله في الارض وآله في السماء)^(٣٣٤)!! تاركين لك ايها القارئ الكريم الحكم على الرواية بنفسك - والله أعلم-.

الثاني / تفسير القمي / لعلي بن ابراهيم الكوفي القمي (من علماء القرنين الثالث والرابع):

يأتي هذا التفسير بعد تفسير العياشي من حيث الأهمية وان عده البعض أهم من العياشي لأسباب سوف نردها لاحقاً.

(وهذا التفسير في ذات نفسه تفسير يعتمد ظواهر القرآن ويجري على ما يبدو من ظواهر اللفظ، في إيجاز واختصار بديع ويتعرض لبعض اللغة والشواهد التاريخية لدى المناسبة، أو اقتضاء الضرورة، لكنه مع ذلك لا يغفل الأحاديث المأثورة عن أئمة أهل البيت^(٣٣٤) وبذا يكون ثاني سفر من ابداعات مدرسة التفسير بالمأثور ينال من الأهمية والاهتمام؛ لما حواه من مأثور.

وقد امتاز هذا التفسير بعدة ميزات انفرد بها عن غيره من تفاسير الإمامية، كان أهمها:

١- اعتبر هذا التفسير اصلاً لكثير من تفاسير جاءت بعده اتخذت من المأثور عن آل البيت منهجاً لها.

٢- ان رواياته منسوبة الى الامامين الصادقين Γ.

٣- ان والده الذي روى جل هذه الأخبار كان من صحابة الامام الرضا X.

٤- انه حوى علماً جماً من فضائل أهل البيت Γ والتي طالما ثابر اعداؤهم من أجل محوها من القرآن الكريم.

انه فسر كثيراً من آي القرآن والتي لا تفهم الا بالاستناد الى احاديث أهل البيت Γ^(٣٣٤)

اسباب النزول في منهجيته:

وكما هو معروف فإن القمي نقل روايات اسباب النزول بالمأثور عن آل الرسول 7، وقد حوى سفره هذا مئات الروايات المروية عنهم Γ، اعتمدها في الكتاب كوثائق تاريخية بها حفظ هذا التراث العظيم الذين ورثناه عنهم Γ، وكانت هناك ثمة عبارة ذكرها هو في مقدمة الكتاب قال فيها: (نحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي اليها، ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذي فرض الله طاعتهم، وأوجب ولايتهم...) ^(٣٣٤)، وقد أخذ هذه العبارة علمان من اعلامنا هما: الحر العاملي، والسيد الخوئي، وبهما وثقا هذا التفسير (وقد استفاد صاحب الوسائل من العبارة المذكورة بتوثيق القمي لجميع من ورد في التفسير المذكور بشرط انتهاء السند إلى المعصوم X) ^(٣٣٤) وقال: (قد شهد علي بن ابراهيم بثبوت أحاديث تفسيره وانها مروية عن الثقات عن الأئمة Γ) ^(٣٣٤).

ومثله ذهب السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م) الى توثيق هؤلاء الرواة ولو تم ما ذكر لاصبح ٢٦٠ رجلاً من الثقات ثم رد السيد الخوئي هذا الاحتمال بالقول: (ان القمي بصدد اثبات صحة تفسيره وهو يتوقف على توثيق كل من ورد فيه لا خصوص من روى عنه بالمباشر) ^(٣٣٤). وعلى هذا فقد (حكم P بأن كل من ورد في التفسير المذكور ثقة ما لم يضعف من قبل النجاشي او غيره فيسقط التوثيق عن الاعتبار؛ لان شروط قبول التوثيق عدم المعارضة بالجرح كما هو واضح) ^(٣٣٤) فقد قال: (ولذا نحكم بوثاقة جميع مشايخ علي

بن ابراهيم الذين روى عنهم في تفسيره^(٣٣٤). وقد اخبرنا بأن السيد الخوئي قد تراجع في أخريات حياته الشريفة عن هذا التوثيق^(٣٣٤) والله أعلم. أما اسباب النزول في منهجه هذا فكانت كالاتي:

١- أكثر من الرواية عن الامامين الصادقين H، فقد يأتي برواية مرسلة ولكنها عن طريق أهل البيت Γ، فيقبلها دون تردد، من ذلك عندما نقل سبب نزول قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ)^(٣٣٤).

قال: (وفي رواية ابي الجارود، عن ابي جعفر X قال: هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف كان محتاجا فعاهد الله، فلما آتاه الله بخل)^(٣٣٤).

٢- أكثر الاحيان كان يورد الرواية بلا اسناد، لا لمعصوم ولا لغيره من ذلك قوله تعالى: (يا ايها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)^(٣٣٤)، فقد أورد سبب نزولها بالقول: (فانه كان سبب نزولها ان النساء كن يخرجن الى المسجد ويصلين خلف رسول الله 7 واذا كان بالليل خرجن الى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة، يقعد الشبان لهن في طريقهن فيؤذونهن ويتعرضون لهن، فانزل الله... الآية)^(٣٣٤).

٣- ان جل ما رواه من روايات كان عن ابيه، وكان عندما ينقل رواية عنه يقول: حدثني ابي عن فلان، خذ من ذلك نقله سبب نزول قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ)^(٣٣٤) فقد قال: حدثني أبي، عن ابن ابي عمير، عن بعض رجاله، عن ابي عبد الله X قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين X وبلال، وعثمان بن مظعون.. الحديث^(٣٣٤).

ونخلص من هذه ان نظرة القمي لاسباب النزول في منهجية تفسيره تعتمد الرواية عن الائمة الطاهرين، وان رواياته موضع اطمئنان، الا من اخرج النجاشي في رجاله، ولم يوثقه، فانه يخضع لقواعد الجرح والتعديل التي عليها علماء الرجال والله أعلم.

الثالث: تفسير البرهان/ لهاشم البحراني (ت ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ):

يعد هذا التفسير من التفاسير المهمة لدى الامامية، فمؤلفه ضالع في التفسير فله (تفسيران آخران تفسير الهادي، وتفسير نور الأنوار والهداية القرآنية والكل على نمط واحد)^(٣٣٤)، غير ان المؤلف قد جمع أحاديثه (من غير ان يتكلم فيها بجرح او تعديل او تأويل ما يخالف العقل والنقل الصريح)^(٣٣٤)، ورغم غزارة علمه وما حواه تفسيره هذا من نفائس الا ان بعض علماء الامامية قد سجلوا عليه مؤاخذات فقال عنه محمد هادي معرفة، وهومن المعاصرين ما نصه: وفي تفسيره هذا يعتمد كتباً لا اعتبار لها امثال التفسير المنسوب الى الامام العسكري X الذي هو من صنع ابي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وابي الحسن علي بن محمد بن يسار الاستراباديين، ولم يعلم وجه انتسابه الى الامام الحسن العسكري X.. وغير ذلك من كتب لا اعتبار فيها فضلا عن ضعف الاسناد او الارسال في أكثر الاحاديث التي ينقلها من هذه الكتب^(٣٣٤).

اما بالنسبة لأسناد احاديثه فهو يسند الرواية الى الامام المعصوم اسناداً رأساً، فتراه يقول قال الامام ابو محمد الحسن العسكري في سبب نزول آية ما او في تفسيرها، وهذا الامر بطبعه مرفوض في شريعة الاحتياط في الدين^(٣٣٤).

وكما اسلفنا فان الكتب التي اعتمدها ايضا غير ثقة، والبحث اذ يجمع هذه المؤاخذات عن الكتاب لا يقصد التقليل من شأنه؛ وانما من باب اننا يجب ان لا نعود على

تعظيم الأشخاص بل تبجيل اعمالهم، وقد اوردنا هذه المؤاخذات معززة بالامثلة من الكتاب نفسه ومع ذلك نقول لمن يعتب علينا ويريد ان يكون هذا الكتاب بلا عيوب عليه تحقيقه وتمحيصه من جديد لتخليصه مما ورد فيه من مؤاخذات والتي وجودها لا ينافي كون احتوائه على (الاحاديث الغرر والكلمات الدرر الصادرة عن أهل بيت الهدى ومصابيح الدجى وما يروي الغليل ويشفي الغليل)^(٣٣٤).

وبالتالي فهو موسوعة علمية فريدة لمن أراد تراث أهل البيت Γ.

اسباب النزول في منهجيته:

اما الحديث عن منهجيته التي اتبعها في اسباب النزول فكانت كباقي من سبقه ممن ألف في هذا المجال في اعتمادهم فيها على الروايات الواردة عن اهل البيت Γ. وفيما يلي بعض الشواهد لاسباب النزول في منهجه التفسيري.

١- عند نقله رواية لسبب النزول ينقلها من مصادر متعددة، فمثلا عندما نقل سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا)^(٣٣٤)، فقد نقل سبب نزولها من كتاب التهذيب للشيخ الطوسي، ثم بعدها مباشرة نقل رواية عن العياشي ثم نقل رواية عن الطبرسي حيث قال: يقول ابو علي الطبرسي قال: روي عن الباقر X ان الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بعد ان اسلم فنزلت الآية^(٣٣٤).

ونقل رأيا للقمي فقال: وقال ايضا علي بن ابراهيم: سبب نزولها انه لما انزل الله (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)^(٣٣٤). فقام خالد بن الوليد الى رسول الله 7 وقال: يا رسول الله ربا أبي في ثقيف وقد اوصاني عند موته بأخذه، فانزل الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..) الآية الى قوله (فَادُّوْا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) قال من أخذ الربا وجب عليه القتل^(٣٣٤).

٢- اذا كان هناك امرا مهما - كاثبات شيء يمس عقيدة الامامية كالامامة وغيرها - أورد كل الروايات الواردة فيه عن طريق الفريقين لا تهمة الاطالة في سردها جميعا لأجل اثبات ما يصبوا اليه، من ذلك عندما تعامل مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ..)^(٣٣٤)، فقد اثبت نزولها في امير المؤمنين X^(٣٣٤) وانه الوحيد الذي تصدق وعمل بها ، فاستخدم كافة الوسائل لاثبات هذه الفضيلة له X فاسهب لهذا الغرض.

٣- كان كثير النقل عن كتب الجمهور خصوصا الواحدي في كتابه (اسباب النزول)، ويظهر انه كان لا ينقل عن غير الامامية الا من توافرت فيه شروط:

أ- اذا كان ناقل الرواية من الثقات عنده.

ب- اذا كان الراوية من المنصفين والذين لا يتحاملون على الامامية.

ج- اذا ثبت لديه صحة الرواية، وهذه الرواية اما عن أهل البيت نقلها الجمهور عنهم، او عن طريق اصحابهم او احد الرواة الثقات، والواحدي من هؤلاء الذين نقل عنهم، فهذه سورة النصر قد نقل سبب نزولها عنه حيث قال: وفي اسباب النزول عن الواحدي انه روى عكرمة عن ابن عباس قال لما اقبل رسول الله 7 من غزوة خيبر وانزل الله سورة الفتح قال: يا علي، يا فاطمة اذا جاء نصر الله والفتح.. الى آخر السورة^(٣٣٤).

كذلك نقل سبب نزول السورة نفسها عن الطبري فقال: وعن الطبري عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت السورة كان النبي 7 يقول: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم^(٣٣٤).

٤- كما وجد البحث انه كان كثير النقل عن علي بن ابراهيم القمي، وكذلك عن التفسير المنسوب للامام الحسن العسكري X، واكثر الروايات منهما، فعن اسباب نزول سورة قريش قال: قال علي بن ابراهيم: نزلت في قريش لانه كان معاشهم من الرحلتين، رحلة في الشتاء الى اليمين ورحلة في الصيف الى الشام، وكانوا يحملون من مكة الأدم واللب وما يقع ناحية البحر من الفلفل وغيره فيشترون من الشام الثياب والدرمك والحبوب وكانوا يتلاقون في الطريق... الخ الرواية^(٣٣٤).

٥- الرواية التي ينقلها من التفسير المنسوب الى الحسن العسكري X ينقلها رأسا دون واسطة بينه وبين الامام كما حدث ذلك عندما اورد قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ..) ^(٣٣٤).

فقد قال: قال الحسن العسكري: قال الحسن بن علي بن ابي طالب: انما انزلت الآية لان قوما من اليهود وقوما من النصارى جاءوا الى رسول الله... الخ الرواية^(٣٣٤).

هذه تقريبا اهم مناهجه مع اسباب النزول ومنه يتضح لنا ان البحراني اعتمد في ايراد اسباب النزول على صيغة واحدة لا تتعدها، وهي الرواية عن الائمة مسندة تارة، وغير مسندة تارة أخرى - والله أعلم - .

الرابع : تفسير نور الثقلين / لعبد علي الحويزي (ت ١١١٢ هـ):
ان المتتبع تفاسير الامامية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر -يحسّ بجلاء- ان هناك (نزعتان مختلفتان المنحى ومتضادتا المنهج لا يجد لها مثيلا في العصور السابقة)^(٣٣٤) وهما:

١- النزعة العقلية: وفيها اهتم المفسر بإيراد الآيات التي تتحدث عن المعاد والاسماء والصفات - أي مواضيع كلامية بحتة- وكان القرآن ما وجد الا لإثبات هذه الاشياء.
٢- النزعة الاخبارية: وهذه لا تهتم الا بنقل الروايات وجمعها من اشتات في بطون امهات الكتب دون التحقق من اسانيدھا ومتونها، حتى صبغت هذه الفترة بظهور اكبر المجاميع الروائية^(٣٣٤) وهذا يعود على ما يعتقد البحث الى الضغوط السياسية التي كان يعانيها الامامية بصورة عامة والعلماء بصورة خاصة؛ هذا الوضع ولد عندهم الخوف من الخوض في مواضيع قد تنثير الدولة ضدهم، مما ادى الى لجوئهم الى هاتين النزعتين.
فكان هذا التفسير واحدا من نتاجات تلك الفترة، وقد نال عند الامامية من الشهرة والاحترام ما دعا علامة مبجل - يعد اكبر مفسري الامامية في العصر الحديث - هو العلامة الطباطبائي الى الاشادة به بكلمات كانت لها شرف المقدمة لهذا الكتاب، فمن ضمن ما قاله عنه: ولعمري انه الكتاب القيم الذي جمع فيه مؤلفه شتات الاخبار الواردة في تفسير آيات الكتاب العزيز وأودع عامة الاحاديث المأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم الا ما شذ منها، ولقد أجاد في ضبطها وترتيبها والاشارة الى مصادرھا والجوامع المنقولة هي عنها، وبذل جهدا في تهذيبها وتنقيحها جزاه الله عن العلم وأهله خيرا وهدانا بنور الثقلين واحيا قلوبنا بالعلم واليقين أمين)^(٣٣٤).

وقد استوقفتني عبارة الطباطبائي (الا ما شذ منها) التي استفدت منها اعتراف السيد الطباطبائي اعترافا ضمنيا ان هذا التفسير قد حوى الشواذ من الاحاديث، وهذا بالفعل ما وجدته، فقد حوى احاديث لا يقبلها عقل وسنحاول ايراد بعضها عند الحديث عن منهجيته.

اسباب النزول في منهجيته:

لقد تأثر الحويزي كثيرا بالبحراني وتفسيره البرهان، وقد عكس هذا التأثير على تفسيره هذا، فكانت منهجيته في كل شيء متأثرة به، فهو قد سلك في الافادة من الموارد والكتب المعتمدة.

مثل كتاب (التبيان)، (مجمع البيان)، والاحتجاج، وثواب الاعمال، والخصال، واخذ من العياشي والصافي والقمي وغيرها من الكتب المعتمدة عندنا والتي تعتمد روايات الائمة في بيان اسباب النزول، فعندما اورد قوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا...) (٣٣٤).

قال: في تفسير العياشي عن زرارة قال: سمعت ابا جعفر X يقول: ان النبي 7 قال لابن عبد الله بن أبي: اذا فرغت من ابيك فاعلمني، وقد كان توفي، فاتاه واعلمه فاخذ رسول الله 7 نعليه للقيام فقال له عمر: أليس قد قال الله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا...)؟ فقال له: ويحك او ويلك انما اقول اللهم املا قبره نارا واملا جوفه نارا واصله يوم القيامة نارا (٣٣٤).

ثم قام بنقل رواية أخرى عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر X وكان الحويزي يكرر ذلك عندما ينقل بنفس الرواية ولكن من مصدر آخر، ثم اوردها عن الفيض الكاشاني، وكذا نقل عن مجمع البيان ثم عوالي اللئالي.. وهكذا ، وعليه فان ظاهرة التكرار هذه وجدت طريقها في تفسيره في اكثر من موضع، هذا اولا.

والملاحظ عليه ايضا انه ضح الخروايات ضحا فأورد الرواية كما وجدها دون ان يرجح، بل ترك مهمة الترجيح للقارئ، وهذا قد بدا واضحا عندما تعامل مع قوله تعالى: (وَلَا تُطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٣٣٤).

حيث نقل رواية عن علي بن ابراهيم القمي بعد ايراده الآية المذكورة قال: فانه كان سبب نزولها انه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون (اصحاب الصفة)، وكان رسول الله 7 امرهم ان يكونوا في صفة يأوون اليها، وكان رسول الله 7 يتعاهدهم بنفسه وربما حمل اليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون الى رسول الله 7 فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان اذا جاء الاغنياء والمترفون من الصحابة انكروا عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فجاء يوما رجل من الانصار الى رسول الله 7 وعنده رجل من اصحاب الصفة قد لزم برسول الله 7 يحدثه، فقعد الانصاري بعيدا عنهما فقال له رسول الله 7: تقدم ، فلم يفعل، فقال له رسول الله 7: لعلك خفت ان يلزم فقره بك، فقال الانصاري: اطرده هؤلاء عنك، فانزل الله (وَلَا تُطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ...) الآية.

ثم نقل عن مجمع البيان وكتب أخرى، ولكن الرواية التي نقلها عن سلمان وخباب قد جعلت البحث يحاول الاجابة عن عشرات علامات الاستفهام دون فائده، اولها كيف سمح لنفسه المفسر الامامي بنقل هكذا رواية؟؟!!

والرواية كالاتي: عن سلمان وخباب قالوا: فينا نزلت الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينه بن الحصين الفزاري وذوهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي 7 قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم فقالوا: يا رسول الله لو نحيث هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تأتئك فنستحي ان يرونا مع هؤلاء العبيد، ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي 7 الى ذلك، فقالوا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعى بصحيفة واحضر عليا X ليكتب قال: -أي سلمان أو خباب- ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرائيل يقوله تعالى: (وَلَا تُطْرَدُ الَّذِينَ...) الى قوله: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) فحنى رسول الله 7 الصحيفة واقبل علينا...

وهذه الرواية على ما يرى البحث انها من الموضوعات ، لا يرى انها تتلائم مع اخلاق من خاطبه المولى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤))^(٣٣٤) كيف يرضخ لنفر ضال، وهل عهدنا منه هكذا تصرفات وهو المسدد من السماء، ألم يسمع قوله تعالى الذي نزل على صدره ينبأه بوجود امثال هؤلاء المتغترسين في كل زمان ومكان؟، الذين قالوا لنوح X: (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كُفُّوا أَعْيُنَهُمْ عَنْ ظُهُورِهِمْ يُحَاسِبُ) الم يسمع 7 جواب نوح X حين خاطبهم: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا)^(٣٣٤) وهو يعلم ان مكانته 7 اعظم من نوح ومن جاء قبله ومن جاء بعده من الاولين والآخرين؟

ثم تأتي الطامة الكبرى في الرواية وهي ان رسول الله 7 دعا عليا X لكتابة الصحيفة، وعلي X من نعرف، نصير الضعفاء والمساكين فكيف يسمح لنفسه بكتابة مثل هكذا صحيفة؟ و و..... عشرات الاسئلة التي لا تجد لها جوابا واحدا يشفي الغليل، ولكن قد يكون الحويزي P يملك جوابا لهذه التساؤلات لو كان حيا، فقد يقول: اني قبلت هذه الرواية على علاقتها لان في طريقها سلمان المحمدي وخبابا وكلاهما عندنا ثقة، مع ذلك نقول له: كان عليك البحث عن مصدر تلك الرواية فقد يكون الواضع لها قد اختار هذين الاسمين ليوثق ما وضعه من افتراء؟؟!! هذا ثانيا.

اما الأمر الثالث الذي اثار انتباهنا انه P نادرا ما وجدنا له رأيا خاصا به، تعليقا على رواية، او تنبيها لشيء، عدا بعض المواضع القليلة التي ابدى فيها رأيه بسبب النزول من ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٣٣٤).

فقد نقل رأي صاحب (من لا يحضره الفقيه) في ان الرواية نازلة في النفقة على الخيل. فبعد ان اورد قولاً في نزولها في امير المؤمنين علي X علق بعد ايراده القصة بالقول: والآية اذا نزلت في شيء فهي منزلة في كل ما يجري فيه، فالاعتقاد في تفسيرها انها نزلت في امير المؤمنين X وجرت في النفقة على الخيل واشباه ذلك انتهى^(٣٣٤).

وكان في جوانب منهجيته - ورغم التزامه بنقل الرواية الواردة عن آل البيت Γ فقط مع ذلك نجد انه في بعض الاحيان - ينقل عن الموثقين الذين ثبتت ثقتهم عنده امثال ابن عباس، كما نقل عند نقله رواية سبب نزول قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)^(٣٣٤) فقد قام بنقلها عن ابن عباس^(٣٣٤) وقد يلتجئ الى هذا في حالة عدم حصوله على رواية عن الائمة Γ في آية ما والله اعلم.

هذه تقريبا أهم سمات منهجيته مع اسباب النزول ومنه نخلص ان الحويزي قد التزم الجانب الروائي سواء من الائمة او الاصحاب، وقد اورد البحث مناقشته في جملة منها.

وفي ختام هذا المبحث يرى البحث ان العياشي والقمي والبحراني والحويزي يمثلون المستوى المكثف في اعتماد منهجية اسباب النزول على المورد الأثري، وكان الاختيار لهم بناء على شهرتهم باتباع هذا المنهج من الروائيين، وما جاء في تفاسيرهم كان أكثر وروداً مما جاء في تفاسير الامامية الأخرى - والله أعلم-.

المبحث الثالث:

اسباب النزول في المنهج الادبي الحديث:

يبدو للبحث ان المفسرين المحدثين وان جددوا في مناهج التفسير اسلوباً ودقة وتعبيراً، ساءروا متطلبات العصر في ان يكون التفسير متناسقاً من حيث الموضوعية، ونبذ الصراعات المذهبية، والتأكيد على اهمية القرآن التشريعية والتربوية، الا ان البحث قد لمس ان منهجية اسباب النزول قد اعتمدت الجانب الروائي كما هو شأن الاوائل في ذلك. وقد سبق للبحث ان اورد نماذج ذات اهمية لاسباب النزول عند الشيخ البلاغي في (آلاء الرحمن) والسيد الطباطبائي في (تفسير الميزان) وهما من المعاصرين، الا ان البحث قد تناولهما في المنهج الاثري القرآني لغلبته عليهما، وكان اهم تفاسير المنهج الادبي في هذه المرحلة:

- ١- التفسير الكاشف / للشيخ محمد جواد مغنية.
 - ٢- مواهب الرحمن/ للسيد عبد الأعلى السبزواري.
- وهما مادة هذا المبحث، علماً بان طبقة أخرى قد تناولت هذا المنهج كالمدرسي^(٣٣٤) والشيرازي^(٣٣٤) والطهراني^(٣٣٤) وفضل الله^(٣٣٤)، الا ان البحث اختار هذين الكتابين نموذجاً للتحدث عن اسباب النزول في منهجهما:-

١- تفسير الكاشف/ لمحمد جواد مغنية (١٢/٨/١٩٧٩م):-

الشيخ مغنية من الدعاة الى التقريب بين المذاهب الاسلامية لهذا حاول تجاوز كل عقبات عدم التقريب محاولة منه لملمة الهوة الشاسعة بين تلك المذاهب. فحاول ان يكون (تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلاءم وحاجة المسلمين في هذا العصر، ولقد أجاد في هذا المضممار، وأوجز الكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن)^(٣٣٤). ومغنية أدعى (ان المفسر لا يستحق لقبه اذا لم يأت باضافة جديدة على من سبقه)^(٣٣٤)^(٣٣٤).

والبحث يذهب الى ان مغنية لم يأت بجديد وانما الرجل حاول التوفيق بين طريقة القدماء والمحدثين واخذ من هؤلاء وهؤلاء واضفى عليها اساليبه التعبيرية فخرج تفسيره بسيطاً ضم الغث والسمين فقد أجاد في مواضع واخفق في أخرى وقد امتاز تفسيره بما يلي:

- ١- ربط مغنية (كتاب الله بعجلة الواقع، وبحركة الحياة في قضايا الانسان ومشكلات المسلمين)^(٣٣٤)^(٣٣٤).
- ٢- استعمل عنصر الاقناع في تفسيره. فهو يحاول اقناعك ان هذا مراد الله تعالى من كلامه. حيث قال: (اذا كان كل تفسير لون يغلب عليه، فان اللون الذي يغلب على تفسيري هذا هو عنصر الاقناع)^(٣٣٤).

٣- أهمل الاسرائيليات ولم يعر لها اهمية تذكر حيث قال (نظرت الى الاسرائيليات التي جاءت في بعض التفاسير على انها خرافة واساطير ولا شيء اصدق من الدلالة على كذبها وزيفها من نسبتها الى اسرائيل)^(٣٣٤)

هذه اهم مميزات تفسير الكاشف اما بقية المميزات التي اشترك بها مع المفسرين الآخرين فكان ابرزها:

أ- تفسير القرآن بالقرآن^(٣٣٤):

ب- تفسيره القرآن بالمأثور (بالسنة): حيث انه لا يرى في هذا حجية لأقوال احد الا لسنة رسول الله 7 وأقوال المعصومين من أهل بيته E، وان كان قد حفظ لكبار المفسرين من الصحابة وغيرهم مكانتهم، واعطى لأرائهم الحرمة اذا مال اليها الدليل حفاظا منه على وحدة المسلمين^(٣٣٤).

ج- بما انه كان من الفقهاء وممن له مؤلفات في المقارنة بين المذاهب فقد كان يتعرض للمسائل الفقهية بصورة مفصلة وعلى اقوال المذاهب الخمسة^(٣٣٤).

والبحث لا يتفق مع الشيخ مغنية بقوله: (ونحن على رأي السلف، أولا: لأنهم اعرف بما يراد من مفردات القرآن والحديث من المتأخرين، لانهم اقرب الى عهد الرسالة ونزول القرآن)^(٣٣٤).

فكم من السلف قد جروا أمة الاسلام الى ما لا تحمد عقباه؟ وكم منهم كان يعلم بتفسير آية ما وحرفها عن الحق أتباعاً للهوى ودفعا للحق وكم ... وكم... والله العالم. اسباب النزول في منهجيته

اوضح الشيخ مغنية في مقدمة تفسيره منهجيته في اسباب النزول بالقول: (وايضا تجاهلت ما جاء من الروايات في اسباب النزول الا قليلا منها؛ لان العلماء لم يمحصوا اسانيدھا ويميزوا بين صحيحھا وضعيفھا، كما فعلوا بمرايات الاحكام، حتى قد تسامحوا في سند المستحب منها ولم يدققوا الا في سند الواجب والحرام)^(٣٣٤)

والبحث لا يتفق مع الشيخ مغنية؛ وذلك لان حاجة المفسر لاسباب النزول من البديهيات المسلم بها وهذه الحاجة تكون ضرورية في بعض الآيات حتى من كان منها ممن لم يمحص في اسانيدھا، ثم ان عدم تحصيلها لا يكون بالضرورة سببا في اهمالها وعدم فتح بابا للتعامل معها؛ لانه يعلم(قده) ان من يريد ان يطلق عليه لفظة مفسر ان لا يقطع الصلة بينه وبين أي فن من فنون علوم القرآن خصوصا اسباب النزول التي عد العلماء الجاهل بها جاهل بالقرآن واعتبروها من مقدمات التفسير^(٣٣٤). وقال في مكان آخر (..ونحن لا ننق بشيء من اسباب النزول الا اذا ثبت بنص القرآن او بخبر متواتر)^(٣٣٤).

أما منهجيته فكانت في بعض من جوانبها:

١- ان مما يلفت النظر ان مغنية عندما يذكر سبب نزول آية ما لا يضعها تحت عنوان اسباب النزول او (النزول) او تحت عنوان آخر يوحي اليك ان هذا كان سبب نزول الآية بل يشير الى سبب النزول في العنوان الذي سماه (المعنى)^(٣٣٤).

٢- قد يستعمل حسه المرهف في ترجيح رواية على أخرى مستندا على حجج يدعم بها قوله كما فعل ذلك مع قوله تعالى (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم)^(٣٣٤)، وكذلك قوله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حلیم)^(٣٣٤)، اورد ثلاثة اقوال عن

سبب نزولها:

الأول: نقله عن الطبري والرازي وابو حيان الاندلسي في البحر المحيط ومحمد عبده صاحب (المنار) وقد رجح هذا الرأي معللا ذلك بأن في الآيتين كلمات تشعر به وهذا القول الذي رجحه يقول: ان جماعة من المؤمنين قالوا نستغفر لموتانا المشركين كما استغفر ابراهيم لابيه فنزلت الآيتين. وقد رد القولين الآخرين بعد ان دحضهما بالادلة الدامغة من كتب التاريخ^(٣٣٤).

٣- هو مع القول الذي يزعم ان من حالات النزول (تعدد النازل والسبب واحد) لهذا تراه يورد هكذا نوع من اسباب، فيرى: ان الآيتين ٥٦ ، ٥٧ من سورة الاسراء كان نزولهما بسبب الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا وان عبدة الاصنام غير مقصدين لانه تعالى وصف المعبودين بأنهم (يبتغون اليه الوسيلة) وابتغاء الوسيلة أي القربة اليه لا يليق بالاصنام^(٣٣٤) أي ان الآيتين نزلتا بسبب واحد.

٤- قد يورد سبب ١ للنزول بلا اشارة لمصدره، وقد يكون هذا نابعا من اقتناعه بهذا السبب، او مما ثبت صحة السند عنده^(٣٣٤).

٥- لا ينقل الروايات مباشرة دون ترجيح بل يرجح بعد نقله عدة روايات في اسباب نزول آية ماء، ثم يختار ما يراه مناسبا، فمثلا عندما أورد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ)^(٣٣٤) فبعد أن أورد عدة روايات اختار واحدة منها وقال عند اختياره لها (وهذه الرواية ارجح من تلك)^(٣٣٤) مستندا الى قوله تعالى: (وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ)^(٣٣٤)(334).

٦- للسنّة النبوية وخصوصا المأثور منها عن أهل البيت I دورها الكبير في الابانة والشرح والتوضيح لذا فقد اتخذ منها طريقا للكشف عن اسباب النزول وقد قال في مقدمة الكتاب: (اعتمدت قبل كل شيء - في تفسير الآية وبيان المراد منها على حديث ثبت في سنة الرسول 7 لأنها ترجمان القرآن والسبيل الى معرفة معانيه)^(٣٣٤) واذا لم يجد في السنة ضالته اعتمد ظاهر الآية وسياقها حيث قال (أما اذا لم يكن ثمة حديث من السنة اعتمدت ظاهر الآية وسياقها... واذا وردت آية ثانية في معنى الأولى، وكان أبين وأوضح ذكرتها معا، لغاية التوضيح)^(٣٣٤) كما فعل مع قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ)^(٣٣٤) فقد ذكر عدة روايات ثم رجح احد الاقوال مستندا الى قوله تعالى (وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ)^(٣٣٤).

٧- نقل عن كتب غير الامامية كما نقل عن الامامية دون تفرقة في قبول الرواية او ردها^(٣٣٤).

٨- كثيرا ما كان مغنية يؤكد على ما أكد واتفق عليه الامامية من ان سبب النزول لا يكون مخصصا بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد أكد هذا المفهوم في اكثر من موضع من الكتاب^(٣٣٤).

٩- وكما اسلفنا فانه حفظ للصحابة والمفسرين مكانتهم فهو في اسباب النزول قد منحهم المنزلة نفسها التي منحها لهم في التفسير عامة ولكن بتحفظ حيث قال: (اقوال المفسرين، فلم اتخذ منها حجة قاطعة، ودليلا مستقلا، بل مؤيدا ومرجحا لأحد الوجوه اذا احتمل اللفظ اكثر من معنى)^(٣٣٤)(334).

٢- تفسير مواهب الرحمن / للسيد عبد الأعلى السبزواري الموسوي (ت ١٤١٤هـ):

مفسروا الامامية بصورة عامة يتأثر المتقدم منهم بالمتأخر (واذا كان الطوسي والطبرسي من الموروثين يتمثلان من جانب في منهجهما التفسيري ويفترقان من جانب آخر، ويفيد المتأخر من المتقدم من جانب ثالث، ويضيف جديدا من جانب رابع.. فان الطباطبائي والسبزواري من المعاصرين تطبعهما السمات المذكورة ذاتها، أي التماثل والاستقلال والتأثر والحدة...) وقد قسم السيد السبزواري (قدس) كتابه الى تقسيمات تشبه الى حد كبير تقسيمات الميزان حيث انه حوى على البحوث الدلالية والروائية والفلسفية والكلامية والاخلاقية والفقهية والتاريخية والاجتماعية وغيرها من المباحث. صدر في حياة المؤلف من هذا التفسير عشرة اجزاء وبعد رحيله P واصل ولده العلامة السيد علي عبد الأعلى السبزواري اخراج ما تركه والده مخطوطا ويواصل اليوم تنمة التفسير ولكن بمشقة بالغة كما صرح هو بذلك لبعض المقربين. وقد امتاز سفره هذا بميزات اهمها:

١- ان المؤلف يجمع بين اسلوبي الكتابة: لغة العامة والخاصة أي: اللغة التي يفهمها القارئ العادي واللغة التي يفيد المتخصص منها فحسب في حقل المصطلح الفلسفي والكلامي والاصولي أو الحوزوي بنحو عام^(٣٣٤).

٢- اتبع منهج تفسير القرآن بالقرآن على اعتبار ان القرآن تبياناً لكل شيء فالاولى به ان يكون تبياناً لنفسه.

٣- فسر بالمأثور عن النبي 7 واهل بيته وخواص الصحابة.

٤- ابتعد عن التفسير بالرأي كما نوه هو الى ذلك: (وقد بذلت جهدي في عدم التفسير بالرأي مهما امكنتني ذلك)^(٣٣٤).

٥- ابتعد قدر الامكان عن العبارات الصعبة والألفاظ المغلقة.

٦- باعتباره فقيها اهتم بالجوانب الفقهية وافرد لها بحوثاً خاصة سماها (البحث الفقهي).

اسباب النزول في منهجيته:

اشار السيد السبزواري في مقدمة الكتاب الى اسباب النزول بالقول: كما اني لم اهتم بذكر شأن النزول غالباً لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصاديقها في جميع الأزمنة فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول او بفرد دون فرد آخر، وكذلك جميع الروايات الواردة عن الائمة الهداة في بيان بعض المصاديق لها فهو ليس من باب التخصيص بل من باب تطبيق الكلي على الفرد^(٣٣٤).

ولكن بصورة عامة يمكن القول: ان السبزواري قد تعامل مع اسباب النزول كما تعامل معها السيد الطباطبائي أي وفق ثلاثة عناوين رئيسية هي:

١- عنوان سماه: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وتحت هذا العنوان أدرج كل الآيات التي تسري احكامها على الآخرين كما جرت على الأولين من ذلك عندما نقل سبب نزول قوله تعالى: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٣٣٤) فبعدما

بين سبب نزولها قال: يصح ان تحمل هذه الرواية على بيان بعض مصاديق عاداتهم لا الاختصاص، وان مورد النزول لا يكون مخصصا للحكم كما هو معروف^(٣٣٤) لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢- عنوان الانبساطية:

- وهو ما يقابل الجري والانطباق عند السيد الطباطبائي- وقد عني بها (بان من الممكن ان يكون للنزول منشأ اولي، ثم ينسحب على الآخرين)^(٣٣٤) وقد طبقه واضحا على قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٣٣٤)، فهو وبعد ان أورد اسباب نزول هذه الآية، والتي تواترت الروايات في انها نازلة في امير المؤمنين علي X، وقد حاول تطبيق هذه الآية بعدما اورد رأيا للسيوطي في الدر المنثور..(انها نازلة في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اذ انفقا في جيش العسرة)^(٣٣٤). فعلق على هذا محاولا تطبيق هذه القاعدة بالقول: اقول: يمكن ان يقال بأن يكون للنزول منشأ انبساطي يكون بعض افراده هو المنشأ الاول وينبسط على جميع ما يصلح لذلك مما هو مورد النزول، ووجهه في المرتبة الاولى انما هو علي X فينطبق على غيره بحسب المراتب والشأن. اذن لا منافاة بين هذه الاخبار اذا لوحظ النزول بوجه انبساطي كلي وكان منشأه عليا X^(٣٣٤)

٣- عنوان سماه (السياق):

حيث انه -وكما فعل الطباطبائي من قبل- اتخذ منه دليلا على صحة رواية ماوردت في سبب نزول معين، لان السياق وكما قلنا لا غنى لاي مفسر عنه، فمن ذلك حين تعامل مع قوله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(٣٣٤)، فبعد ان اورد سبب نزول الذي هو (ان قريشا خرجت من مكة تريد حرب رسول الله 7 فخرج يبغي موضعا للقتال)^(٣٣٤)، علق بالقول: سياق الآية المباركة يشهد على صحة ما ورد في مثل هذه الروايات^(٣٣٤).
وهناك عناوين اخرى استعملها مع اسباب النزول منها:

أ- التطبيق:

حيث انه اذا وردت اكثر من رواية في آية ما فلا يهمل واحدة من الروايات او يعتبره تعارضا بين الروايات وانما يسمى هذه الحالة تطبيق الجزء على الكل، فمرة يقول: (يستفاد من هذه الرواية العموم)^(٣٣٤) بعد ان طبقها على جزء ومرة يقول: (يمكن تعدد الواقعة)^(٣٣٤) بعد أن وردت فيها عدة روايات، ومرة يقول: (روي غير ذلك في شأن نزول الآية الشريفة وعلى فرض اعتبارها تكون من باب التطبيق لا التخصيص)^(٣٣٤).

ب- حاله سماها (موافقته للوجدان الانساني) حينما تحوز الرواية عنده درجة من الرضا يصبح فيها وجدانة الانساني مطمئنا الى ان سبب نزولها الوارد الينا فيه الكثير من الصحة^(٦).

اما اهم مناهجه الأخرى فكانت:

١- يورد روايات عن طريق العامة والخاصة ويبسط الحديث فيها ثم يرجع الرواية التي ورد الحديث عنها متواتر، ومن تطبيقات ذلك عندما تعامل مع العنوان الثالث (الانبساطية)^(٧)

٢- بينما نجده في مكان آخر يتعامل مع (مراسيل الطبرسي والعياشي والقمي وحتى روايات العامة يمضي بسلام في حقله الروائي المزدحم بالعشرات منها دون ان يطرح أي تحفظ حيالها الا في حالة معارضتها لما ينتهي اليه من وجهة نظر، بل الأمر ليصل الى درجة اسقاط الرواية مقابل توثيقه لنص تاريخي او اصحابي مثل تشكيكه بما ورد في قصة طالوت بما يتصل ببعض ابطالها ومواقفها)^(٣٣٤) ومثاله كثير^(٣٣٤).

٣- اكثر من الرواية عن كتاب اسباب النزول للواحدي والدر المنثور للسيوطي^(٣٣٤).

٤- اذا وردت عدة روايات في سبب نزول الآية الواحدة ، فلا يرد واحدة من هذه الروايات بل يقبلها جميعا ويعلق بالقول: (يمكن ان يكون سبب النزول متعددًا فلا تنافي بين الروايات)^(٣٣٤).

٥- في بعض الاحيان يقف صامتا حيال الرواية ويكتفي بتقديمها فحسب وقد يحيلك على مبحث آخر غير المبحث الروائي الذي أنت فيه كما حصل ذلك عندما اورد سبب نزول قوله تعالى: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ)^(٣٣٤)، فقد اورد روايات عدة في سبب نزولها بعد اختلاف الرواة في: هل انها نزلت في حمراء الاسد او في غزوة بدر الصغرى احوال على البحث التاريخي الذي بعده مباشرة^(٣٣٤).

هذه اهم مناهجه مع اسباب النزول ومنه يتضح منهج السبزواري في ايراد اسباب النزول، وانت كما تراه قد اضاف شذرات جديدة تمثل في تعدد اسباب النزول من جهة، وفي ايراد الرأي في سبب النزول من جهة أخرى والله اعلم.

الفصل الرابع

(وسائل اثبات اسباب النزول)

مدخل:

المبحث الاول: الاخبار المتواترة (القطعية).

المبحث الثاني: اخبار الآحاد المحفوفة بقرائن توجب القطع بصورها.

المبحث الثالث: أخبار الآحاد غير المحفوفة بقرائن توجب العلم بصورها.

مدخل :

الدين الاسلامي كغيره من الاديان التي سبقته والتي كانت قد تبنت أسس فكرية ومبان تشريعية واصول محكمة في طرحها النظري والعلمي لمسالة الدين وما فيه صلاح البشر ، فكانت اسسه هي الكتاب والسنة الشريفة ، فكانا اول واكبر منهلين استلهمت منهما بيانات واحكام الدين الاسلامي .

اما المنهل الاول ، فقد تكفلت السماء بحفظه من الضياع والانذار والتحريف فكان مصداق ذلك قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)) (٣٣٤).

اما لمنهل الثاني فقد اصابه الوضع والدس والتحريف ، ليس هذا بعد رحيله (3) فقط بل كان في حياته مما استدعى وقوفه (3) امام المأ و قوله: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (٣٣٤).

واهمية المصدر الثاني تتجلى في كون أن المصدر الاول (لم يأت بكل شيء من التشريعات من ناحية ، وفيه الكثير مما يحتاج الى بيان من ناحية اخرى) (٣٣٤).

وهذا لا يقوم به الامن ارسل رحمة للعالمين وذلك (بحكم رسالته التي عليه ان يقوم بها) (٣٣٤) . وهذا الواجب تحدث عنه تعالى بقوله: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (٣٣٤).

اذن لولاها لاصبح التشريع مجملا لا يشتمل الا على الروح والاصول التشريعية العامة مع عدد غير كاف من الاحكام التفريعية ، وقد عني بها الاصوليين الذين كان دورهم استتطاق روح التشريع الاسلامي وتفعيل القواعد التي تجعله تشريعا قادرا على الامتداد في الزمان والمكان المطلوبين ، وهو الفكر المسؤول الى حد بعيد عن اشباع متطلبات الزمان والمكان واستيعابهما مهما امتدا ، وهذا يعني أنه فكر احوج ما يكون الى النمو ، ومتى ما توقفت حركته نحو النمو والتجديد اصبح عاجزا عن اداء وظيفته التي جاء من اجلها^(٣٣٤).

ولا هميتها وجب علينا تعريفها لغة واصطلاحا حتى نتعرف بعد ذلك على حجيتها .

السنة لغة :

هي الطريقة والسيرة والجمع سنن، ويراد بها طريقة النبي ﷺ قولاً وفعلًا وتقريراً اصالاً او نيابة^(٣٣٤).

وقيل عنها ايضا: (السنة السيرة حسنة كانت اوقبيحة السنة في الاصل سنة الطريق وهو طريق سنة اوائل الناس فصار مسلكا لمن بعدهم)^(٣٣٤).

ولكن هذا التعريف اللغوي ليس محطا لنظر الاسلام في تقديسه وتبجيله اذ ان السنة المعنية في الاسلام هي السنة التي تستند الى الشرع المبين ، فان كثير من الشعوب قد تكون مقاطعة مضادة للاسلام ، فينطبق عليها مفهوم البدعة فتقع في جنب سنن قوم لوط وسائر الامم المغضوب عليها ، لذا يجب ان نختار التعريف الذي اختاره الخطابي حيث قال: (هي الطريقة المحموده فاذا انطلقت انصرفت اليها وقد يستعمل في غيرها مقيدة كقوله: من سن سنة سيئة)^(٣٣٤).

السنة اصطلاحا :

نختار تعريفها الاصطلاحي عند الاصوليين^(٣٣٤) ؛ وذلك (لان الحديث عن حجيتها انما يتصل بهذه الناحية دون غيرها)^(٣٣٤). وقد عرفها الاصوليون بانها (ما صدر عن النبي (3) من قول او فعل او تقرير)^(٣٣٤). مضافا اليه ما يتلائم مع مذهبنا وهو (ما صدر عن الائمة من اهل البيت (ع))^(٣٣٤). وهذه الاضافة تبناها الشيعة على اختلافهم في المراد من ائمة اهل البيت (ع) وقد اضافت المذاهب الاخرى الى التعريف الاول (ما صدر عن الصحابة من ذلك)^(٣٣٤).

وهذه الاضافات سواء التي اضافها الشيعة ام غيرهم من المذاهب الاخرى اضافت الى السنة مصطلحات اخرى – مثل: الحديث ، الخبر ، الاثر ، وذلك لان الحديث والخبر ما يحكي السنة وليس السنة نفسها، واذا وجد من يذكر احدهما ويريد الاخر فهو تجوز من باب اطلاق الدال الذي هو الحديث او الخبر على المدلول وهو السنة^(٣٣٤).

فما هو الحديث؟ وما هو الخبر والاثر ؟

الحديث : (هو كلام يحكي قول المعصوم او فعله او تقريره ، وبهذا الاعتبار ينقسم الى الصحيح ومقابله ، وبهذا علم ان ما لا ينتهي الى المعصوم ليس حديثا)^(٣٣٤).

الآثر : عامة الجمهور يسمون الحديث المنتهي الى احد الصحابة او التابعين بالآثر أي هو : (ما ورد عن غير المعصوم عن الصحابي او التابعي وربما يستعمل مرادفا للحديث وهو الأكثر) (٣٣٤) .

الخبر : (وهو في اصطلاح المحدثين يرادف الحديث ، وربما يطلق في كثير من العلوم ويراد ما يقابل الانشاء . ثم توصيف المحدث بالآخباري انما هو بالمعنى الاول - أي من يمارس الخبر والحديث ويتخذ مهنة -) (٣٣٤) .

وقد اختلف المحدثون في علاقته بالحديث الشريف ، فجعله بعضهم مرادفا له ، وهو ما أضيف الى الرسول (3) او الامام (A) او غيرهما من الصحابة والتابعين من قول او فعل او تقرير (٣٣٤) .

وقد قسمت السنة من حيث ماهيتها بحسب صدورها الى ثلاثة اقسام هي :

١- السنة القولية : ويراد بها (اقوال النبي (3) واقوال الائمة (A) من ال البيت ، وما نطق به هؤلاء من نصائح وارشادات ومواعظ وخطب في مناسبات معينة وفي اماكن متعددة) (٣٣٤) . مثاله قوله (3) (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن يستطع فبقلمه ، وذلك اضعف الايمان) (٣٣٤) .

٢- السنة الفعلية : (وهي التصرفات العملية لمن نسبت اليه السنة ، فالسنة الفعلية للنبي (3) هي : جميع افعاله من عبادات ومعاملات ، سواء كانت صادرة عنه بمعنى كونه انسانا ام بمقتضى كونه مكلفا ، وسواء اكانت تصرفات مع نفسه او تصرفات مع الآخرين) (٣٣٤) .

مضافا اليه (ما فعله الائمة (A) كاداء الفرائض ، واصدار الاحكام وتهيئة الجيوش للجهاد وتنظيم شؤون الدولة المالية والادارية) (٣٣٤) . وعلى هذا الاساس امسى كل (ما فعله النبي (3) ابتداء ، وعرفت صفته الشرعية من وجوب وندب واباحة تشريعا للامة فيثبت حكم ما فعله في حق المكلفين) (٣٣٤) .

٣- السنة التقريرية :

وهي (سكوت من تنسب اليه السنة عن الانكار او المدح على قول او فعل صدر عن الغير وهو يعلم بصدوره ويتمكن من الانكار عليه او مدحه) (٣٣٤) .

وهذا النوع كثير ؛ لكثرة ما يصدر عن الاصحاب امامه من اقوال وافعال ولم ينكرها عليهم ، ومثاله : (العمل بظاهر الكلام او طرق الناس في بناء منازلهم ونحو ذلك) (٣٣٤) .

(والسكوت المقترن بالرضا والاستحسان لا فرق بينه وبين القول من حيث دلالاته على مشروعية الفعل ورجحانه او وجوبه احيانا) (٣٣٤) .

وقد قسموا السنة من حيث نوعية احكامها الى ثلاث انواع ايضا هي :

١- السنة التوكيدية : وهي اتي ما جاءت الا (لتوكيد مضمون ما جاء في الكتاب المجيد من احكام عامة مثل السنة النبوية الامرة بالصلاة والصيام والامر بالمعروف ، والناحية عن الخمر والميسر واكل الميتة) (٣٣٤) .

٢- السنة البيانية : وهذه دورها (شرح ما ورد من آيات قرآنية كريمة ، مثل السنة النبوية الشريفة المبينة للمراد القرآني من الصلاة والصيام ونحوهما من حيث اجزاء

العبادة وشرائطها وموانعها ، وشروط صحة المعاملات واسباب بطلانها واثارها ونحو ذلك (٣٣٤) .

٣- السنة التأسيسية : وهي (ما ثبتت احكاما شرعية لم يتعرض لها القرآن - في حدود ما يفهمه عامة الناس من آياته - او كما يقول ابن القيم : ان تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن ايجابه او محرمة لما سكت عن تحريمه) (٣٣٤) .

بل هي (تشمل ما سكت القرآن عنه من كافة الاحكام الوضعية والتكليفية مثل السنة النبوية المثبتة لما نعية قتل الوارث مورثه من ميراثه) (٣٣٤) .
حجية السنة : وهذه السنة قد استمدت حجيتها من كتاب الله الخالد مما جعلها خالدة بخلوده على اعتبار ان (وظيفتها الاساسية في بيان آيات الكتاب ، بتفسير محملاته وتخصيص عموماته وتقييد مطلقاته) (٣٣٤) .

وبما انها صادرة عن رسول الله (3) ومصدر من مصادر التشريع الاسلامي ، فقد اوجب تعالى اتباعها وحرم مخالفتها ، لذا اتفق المسلمون على ان ما صدر عن الرسول (3) من اقوال وافعال وتقريرات وكان يفيد القطع او الظن فهو حجة قال الشوكاني (ان ثبوت حجية السنة المطهرة واستعمالها بتشريع الاحكام ضرورة دينية ، لا يخالف في ذلك الا من لاحظ له في دين الاسلام) (٣٣٤) . وقد استدلو على حجيتها من :

١- الكتاب : فقد حث تعالى المسلمين على ضرورة اتباعها في عدة مواضع في القرآن الكريم منها :

- ١- قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.....) (٣٣٤) .
- ٢- قوله تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.....) (٣٣٤) .
- ٣- قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)) (٣٣٤) .
- ٤- قوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)) (٣٣٤) .
- ٥- قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (٣٣٤) .
- ٦- وقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)) (٣٣٤) .
- ٧- وقوله تعالى: (.....فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)) (٣٣٤) .

٢- السنة :

وقد وردت احاديث كثيرة تحت المسلمين على اتباعها وتنهاهم عن مخالفتها منها :

- ١- قوله (3) : (من رغب عن سنتي فليس مني) (٣٣٤) .
- ٢- عن ابي عبد الله (A) ان رسول الله (3) خطب الناس في مسجد الخيف فقال : نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها من لم يسمعها ، فربُّ حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه) (٣٣٤) .
- ٣- روي عن منصور بن يحيى عن ابي عبد الله الصادق (A) قال :

سمعتة (A) يقول : (صعد رسول الله (3) المنبر فتغيرت وجنتاه والتمتع لونه ثم اقبل بوجهه فقال : ما معشر المسلمين انما بُعثت انا والساعة كهاتين ، قال ثم ضم السباحتين ثم قال : يا معشر المسلمين ان افضل الهدى هدى محمد وخير الحديث كتاب الله وشر الامور محدثاتها ، الا وكل بدعة ضلالة الا وكل ضلالة في النار) (٣٣٤).

وقد حفلت بتقديسها وتبجيلها الاف من الاحاديث المودعة في موسوعات الفرق الاسلامية ، وكما حثت على الاخذ بالسنة وحذرت من مغبة الابتعاد عنها ، من ذلك ما جاء عن امير المؤمنين (A) في خطبته المعروفة بالديباج ما نصه : (واقتدوا بهدى نبيكم فانه افضل الهدى ، واستعينوا بسنته فانها اهدى السنن) (٣٣٤).

٣- الاجماع : وقد نقل الكثيرون ان الامة مجمعة على حجيتها ، فقال بعضهم (اجمع المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله من قول او فعل او تقرير وكان المقصود به التشريع والاقتداء ونقل الينا بسند صحيح يفيد القطع او الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين) (٣٣٤).

٤- العقل : والمقصود منه (حكم العقل بالملازمة بين ثبوت نبوته ورسالته ، وبين لزوم طاعته وحجية سنته فبعد ان قام الدليل العقلي على ان محمد (3) رسول الله الى العالمين بما جاء على يده من إعجاز ، وجب القول بوجوب الايمان به ، والاخذ بما يبلغ به ، بل لا تعقل طاعة الله الواجبة - بحكم العقل - بدون الاخذ بما بلغ به رسوله ؛ لان الطاعة فرع معرفة امر المطاع ونهيه) (٣٣٤).

الى غيرها من الادلة التي استدلت بها المسلمون على تلك الحجية ، من هنا نستشف بكل جلاء ان السنة منتهى كل المسلمين ومطلبهم وان تعرضت لاستهداف المشككين (٣٣٤) بهذا الدين ، الطاعنين في شريعة الاسلام قديما وحديثا ، وقد كان للمستشرقين واتباعهم الباع الطويل والدور البارز والجهد الواسع ، والدأب المتواصل

مكانة السنة لدى المسلمين :

تحتل السنة مكانة خاصة لدى المسلمين وهي تاتي بالمرتبة الثانية بعد القرآن الكريم (وقد اجمع المسلمون على هذا إلا من شذ ونذر من الخوارج وايدهم في ذلك الزنادقة) (٣٣٤).

من هنا كانت ثقتهم بها الى الدرجة التي اعتقد البعض منهم ان السماء وكما تكفلت بحفظ القرآن من الضياع كذلك تكفلت بحفظ السنة ايضا ، الى هذا ذهب الشافعي عندما قال : (فاذا جمع علم عامة اهل العلم بها اتى على السنن واذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان مما ذهب عليه منها موجودا عند غيره) (٣٣٤).

وتابعه من المحدثين عبد الغني عبد الخالق حيث قال (ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن فلم يذهب منها - والله الحمد - شيء على الامة ، وان لم يستوعبها كل فرد على حدة) (٣٣٤) وبعض العلماء اعتبرها كالملاح بالنسبة للطعام،

كذلك هي بالنسبة للإسلام لا يتم إلا بها وإلى هذا المعنى أشار الحكيم بالقول : (والحقيقة اني لا افهم معنى للإسلام بدون السنة) (٣٣٤).

وقد قيل ان ابن الكوا قد سال الامام علي (A) عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة فقال له (A) : يا ابن الكوا حفظت المسألة : فافهم الجواب : السنة - والله - سنة محمد (3) والبدعة ما فارقها ، والجماعة - والله - جماعة اهل الحق وان قلوا ، الفرقة جماعة اهل الباطل وان كثروا (٣٣٤).
حجية السنة في التفسير :

ان حجية السنة في التفسير اشار اليها القرآن الكريم نفسه وذلك حيثما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (٣٣٤). وهذه دلالة واضحة على ان ليس كل ما في القرآن واضحا ، انما هو يحتاج الى من يشرحه ويبينه للناس ، ومن انزل عليه احق باداء ذلك الدور ، فكان (3) الشارح والمبين والمفسر لكل ما اشكل عندهم وعلى هذا ان (لم يكن بيان النبي (3) معتبرا وواجب الاتباع ، فان هذه المسألة حينئذ تصبح لغواً وعلى هذا فان كلام النبي (3) وبيانه وتفسيره يعتبر حجة بالنسبة الى آيات القرآن) (٣٣٤).

وقد قام (3) بتفسير القرآن الكريم قولاً وعملاً ، حتى انه (3) امر المسلمين باتباعه في كل شيء على اعتبار انه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)) (٣٣٤). ومن ذلك حتى جزئيات الامور ، فهو عندما يقول للناس : (صلوا كما رأيتموني اصلي) (٣٣٤) وكذلك عندما يقول لهم : (خذوا عني مناسككم) (٣٣٤). اليس معنى هذا انه يفسر القرآن ؟ يفسر قوله تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (٣٣٤). وقوله تعالى: (لَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) (٣٣٤). وفي هذا قال الامام الصادق (A) : (ان اله تنزل على رسوله الصلاة ولم يسم لها ثلاثا ولا اربعا ، حتى كان رسول الله (3) هو الذي فسر لهم ذلك) (٣٣٤). الم يكن (3) يوضح موارد تخصيص العمومات وتقييد المطلقات ؟ الم يبين لهم ناسخ القرآن ومنسوخه ؟ الم يبين لهم سبب نزول نصوص القرآن ؟ اليس هذا كله تفسير ؟

أما اهل بيته (3) فانه اشار الى حجية سنتهم ضمنا في حديث الثقلين - المار الذكر - فهم حجة الى جانب القرآن ، وهذه الحجية ليست الا حجية سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) ورواياتهم والواردة اليها في التفسير تعتبر جزءا من سنتهم هذه ، فهي حجة ومعتبرة ايضا ولا بد لنا من التمسك بها خصوصا انهم قد اشاروا الى هذا المعنى في مناسبات عدة ، منها قولهم (ع) (...فانا اذا حدثنا قلنا قال الله عز وجل وقال رسول الله (3)) (٣٣٤). وهم كذلك عندنا عدول ثقات ، لذا فان احاديثهم في التفسير وغيره هي اقوال النبي (3) وصلتنا عن طريقهم .

اما الصحابة والتابعين فانهم بالرغم من اعتبار بعض المفسرين - بل قل المذاهب غير الامامية - ان رواياتهم حجة ، الا ان البعض الاخر فضل التفصيل في هذا الاعتبار ، فكلامهم حجة في المعاني اللغوية ، وحجة في بيانهم اسباب نزول بعض الايات بشرط ان يكون الصحابي ممن شهد الواقعة وكان ثقة في نقله ، لذا اعتبروا روايات اسباب النزول من هكذا طريق روايات موثقة ، كذلك فان رواياتهم

حجة في المسائل التي وردت عنهم في فهم آيات القرآن عن طريق الاجتهاد الشخصي^(٣٣٤).

تدوين الحديث :

بعد ان عرفنا معنى السنة ومعنى الحديث وعرفنا انهما (مصطلحان مترادفان متساويان ، يوضع احدهما مكان الاخر ، او لفظان ياتيان بمعنى واحد في بعض المواضع ، ففي كل منهما اضافة (قول او فعل او تقرير او صفة) للنبي (3) بيد ان رد هذين اللفظين الى اصولهما التاريخية يؤكد وجود فروق دقيقة بين اللفظين)^(٣٣٤). وان وضع احدهما مكان الاخر كان ذلك مجازا ، والذي نود قوله هنا انهما نالا اهتمام المسلمين سواء كانا شيئا واحدا ام عكس ذلك . حيث اهتم (المسلمون بالحديث وعلى رأسهم الصحابة كان بعضهم يحضر مجالس الرسول (3) مقيما عنده فيتلقي الحديث مباشرة ثم يعود ويعلمه لاهله وقومه والبعض الاخر من الصحابة يتعذر عليهم الحضور دائما ، فكانوا يتناوبون وياخذون الحديث بعضهم عن بعض)^(٣٣٤). يقول البراء بن عازب (رض) : (ما كل الحديث سمعناه من رسول الله (3) كان يحدثنا اصحابنا ، وكنا مشغولين في رعاية الابل)^(٣٣٤).

هذا في حياته (3)، اما بعد رحيله (3) فقد ضيعوا هذه الثروة عندما اختلقوا حديثا نبويا ينهى عن تدوين الحديث ، فادعوا انه (3) قال : (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج)^(٣٣٤). وقد اورد هذا الحديث جماعة من اصحاب ما يعرف بالصحاح واهل السنن ومن لف لفهم من اهل الحديث، وهذا الحديث المفترى هو الذي قصم ظهر البعير وغير مجرى التاريخ ، ولولاه لما احتجنا الى علم الرجال ، ولا الى دراسة متن وسند الحديث ولا الى شيء من هذا وذاك . وبذلك يكون اول ظهور لتلك النبوءة الصادقة التي اخبر بها النبي الاعظم (3) في تحذيره الخطير وقوله الشهير : (يوشك الرجل متكئا على اريكته يحدث بحديث من حديثي ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمانه !! الا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)^(٣٣٤). فهذا الخليفة الاول ابو بكر يقول : (..... فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سالكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله ، وحرموا حرامه)^(٣٣٤). انه ظهور مبكر جدا لتلك النبوءة ، ولقد كان حديث النبي (3) يشعر بقرب ظهورها ، اذ استهل الحديث بقوله : (يوشك)^(٣٣٤) ولم يقل : (ياتي على الناس زمان) كما في إخباره عن الغيب البعيد^(٣٣٤).

وبعده جاء عمر ليمنع هو الآخر التدوين والتحديث عن الرسول (3) فمنع كبار الصحابة امثال : عبد الله بن مسعود ، وابو الدرداء ، وابو مسعود الانصاري . ويقول لهم : (قد اكثرت الحديث عن رسول الله ، فحبسهم في المدينة)^(٣٣٤). واستمر المنع الى عهد عثمان بن عفان، ومعاوية بن ابي سفيان ، ثم اتخذه الخلفاء بعده منهجا يعمل به حتى اوقفه الخليفة عمر بن عبد العزيز وامر بتدوين الحديث^(٣٣٤).

وكما اسفلنا سابقا فان حديث المنع هذا مما لم يقله (3) ؛ وذلك لان كبار الصحابة والتابعين ورغم المنع (قد اتخذوا التدوين مسلكا ومنهجاً حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي عرف بشدته وقسوته على من يخالفه في آرائه ، ومن اولئك : علي بن ابي طالب (A) ، ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود / وانس ابن مالك ، وابو سعيد الخدري ، وفاطمة الزهراء عليها السلام . وابي ذر الغفاري) (٣٣٤)

اضف الى ذلك انهم مقابل هذه الرواية قد (رروا عنه (3) انه رخص لعبد الله بن عمر بن العاص ان يكتب عنه ما يشاء فجمع من احاديثه الصحيفة المسماة بالصادقة ، وانه قال لرجل من الانصار استعن على حفظك بيمينك (٣٣٤) . وقال لأنس ابن مالك قيدوا العلم بالكتابة (٣٣٤) .

اضف اليها السيرة العامة له (3) والتي تحكي انه كان يحث المسلمين على الثقافة والفكر والتعليم !!!

من ذلك ما عاتب (3) المسلمين بالقول (ما بال اقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم !! وما بال اقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون) (٣٣٤) .

كذلك قوله (3) (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها) (٣٣٤) . وغيرها من الاحاديث التي تدل دلالة واضحة على كذب ادعاءاتهم هذه وكذلك كذب قولهم: (مخافة اختلاط القرآن بالسنة ، الى غير ذلك من الاباطيل الارجيف (٣٣٤)) والتي ما ارادوا بهذا النهي الا (للحد من نشر فضائل اهل البيت (ع) ، وتخوفا من اشتها احاديث الرسول (3) في فضل علي وابنائهم) (٣٣٤) .

وهذا ما ذهب اليه السيد الجليلي ، حين رأى ان السبب الحقيقي لمنع رواية الحديث هو (صد الناس عن احاديث تذكر بحقوق اهل البيت (ع) ومنزلتهم لما في تذكرها وتداولها من اثار غير خافية على الخليفة) (٣٣٤) . وذلك (لان احاديث النبوة الواردة في اهل البيت (ع) انما تدل على فضلهم وتؤكد خلافتهم عن النبي (3) ويجعلهم قرناء للقرآن ليكونوا هم وهو خليفته له من بعده) (٣٣٤) . وقد استدلل الجليلي ، على ذلك با مريين :

- ١- قال عمر : (اقلوا الرواية عن رسول الله (3) الا فيما يعمل به) .
- ٢- ان سائر احاديث الرسول (3) سواء في الاحكام والفرائض او الاداب والسنن ، فهي لا تمس كيان السلطة بشيء (٣٣٤) . كانت متداولة بين الناس دون حرج . ومع هذا كله فقد فشلوا في تحقيق مآربهم فشلا ذريعا ؛ بسبب انتشار الاحاديث التي تحمل فضائلهم (ع) في كل حذب وصوب (وقد اشدت هذا الامر على عهد معاوية الذي كان يامر الناس بلعن الامام علي (A) في خطب الجمعة على منابر المسلمين) (٣٣٤) .

هذه الاوضاع المضطربة سببت للحديث النبوي موقفا محرراً لا تحمد عقباه الى يوم القيامة ، فقد كثر الوضاعة والكذابة والنقل عن اهل الكتاب سواء من اليهود او النصارى فما كان من علماء الحديث الا ان وضعوا ضوابط خاصة للحد من ذلك ،

وقد كانت ولا زالت هذه المعايير والموازين التي وضعوها من ادق واعظم ما عرفه البشر الى يومنا هذا وقد شهد لهم بذلك حتى من لم يكن منهم ، شهدوا بدقة النتائج التي وصلوا اليها وسلامة القواعد التي اعتمدوها ، وبصحة المنهج العلمي في تقصيهم الحقائق ، ووضوح سبيلهم ، حتى امسى المخالف المتعنت عاجزا عن الاعتراض عليهم او اللجوء الى تحليلات ولا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا تفصح الا قائلها وتنادي عليه بالجهل والثبور .

ومن شهد لهم بذلك على سبيل المثال اسد رستم الذي اعتمد هذه القواعد التي وجدها امام عينيه عند علماء الحديث والاثر من نقد الاصول للوصول الى الوقائع الحقيقية والتأكد من صحتها ودقتها ، ومما قال في مقدمة كتاب له (..... سبق علماء المسلمين سبقا اوليا في مجال تنظيم ونقد الروايات التاريخية واول من وضع القواعد لذلك ، علماء الدين الاسلامي فانبروا لجمع الاحاديث ودراساتها وتدقيقها ، فاتحفوا التاريخ بقواعد لا تزال في اسسها وجوهرها محترمة في الاوساط حتى يومنا هذا) (٣٣٤).

وبهذا يعترف بفضل المحدثين على التاريخ الاسلامي ، وهذا يعود - على ما يعتقد البحث - الى اهتمام علماء المسلمين بالدين الاسلامي فعملوا ما يلزم لخدمته ومحاولة نشره في انحاء المعمورة ، وهذا الوضع الزمهم جمع العلوم الدينية : من فقه ، وتفسير وقرءات وجرح وتعديل وناسخ ومنسوخ وقد وصل اهتمام المسلمين بالسنة النبوية والحديث النبوي درجة افردوا له بابا خاصة - هذا فيما يخص الاصوليين - وقد درسوها على انها المصدر التشريعي الثاني .

تطور الحديث عند الامامية :

الامامية اول من دون حديث النبي (3) وذلك لانهم لم يلتزموا بما يعرف بـ (النهي عن تدوين الحديث) ولم ينتهوا عن كتابته وذلك لوجود ائمتهم بين اظهريهم فكانوا يتوارثون الاحاديث النبوية ابناً عن اب ، ومن هنا كانت اقدم وثيقة علمية في الفكر الحديثي وصلت اليها ما نقله الكليني في الكافي عن امير المؤمنين (A) في الرواية التي رواها علي بن ابراهيم عن ابيه عن حماد بن عيسى عن اليماني عن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي : (قال : قلت لامير المؤمنين (A) : اني سمعت من سلمان والمقداد ، وأبي ذر الغفاري شيئا من تفسير القرآن ، واحاديث عن نبي الله غير ما في ايدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعته منهم ، ورايت في ايدي الناس اشياء كثيرة في تفسير القرآن ومن الاحاديث عن النبي (3) ، انتم تخالفوهم فيها ، وتزعمون ان ذلك كله باطل ، افترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين ويفسرون القرآن بارائهم ؟!.....)

قال : فاقبل (A) عليّ فقال : قد سالت فافهم الحواب : ان في ايدي الناس حقا ، وباطلا ، صدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله (3) في عهده حتى قام خطيبا قال : (ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة ، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) ثم كذب عليه من بعده .

وانما اتاكم الحديث عن اربعة ليس لهم خامس :

١- رجل منافق يظهر الايمان ، متصنع بالاسلام ، لا يتائم ولا يتخرج ان يكذب على رسول الله (3) متعمدا .

ولو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (3) ورواة وسمع منه فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله ، وقد اخبره الله عن المنافقين بما اخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) ^(٣٣٤) . ثم بقوا بعده (3) فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان ، فولوهم الاعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، واكلو بهم الدنيا ، وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم ... فهذا احد الاربعة .

٢- ورجل سمع من رسول الله (3) شيئا لم يحمله على وجهه ، ووهم فيه ولم يتعمد كذبا ، فهو في يده ، يقول به ، ويعمل به ، ويرد به فيقول : انا سمعت من رسول الله (3) .

فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه ، ولو علم هو انه وهم لرفضه .

٣- ورجل ثالث سمع عن رسول الله (3) شيئا امر به ، ثم نهى عنه ، وهو لا يعلم ، او سمعه ينهى عن شيء ، ثم امر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ .
فلو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذا سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه .

٤- واخر رابع لم يكذب على رسول الله (3) ، مبغض للكذب خوفا من الله ، وتعظيما لرسوله (3) لم ينسه ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به كما سمع ، لم يزد فيه ولم ينقص ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ ، فان امر النبي (3) مثل القرآن، ناسخ ومنسوخ ، وخاص وعام ، ومحكم ومتشابه ، قد كان يكون من رسول الله (3) الكلام له وجهان : كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال الله تعالى في كتابه: (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ^(٣٣٤) . فيشتبه على من لا يعرف ولم يدر ما عنى الله به رسوله (3).

ليس كل أصحاب رسول الله (3) كان يسأله عن الشيء فيفهم ، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه ، حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي والطارئ فيسأل رسول الله (3) حتى يسمعوا ^(٣٣٤) .

وهذه الرواية وحدها كافية لتصنيف رواة الحديث وهي ايضا تغني عن كل التقسيمات الحديثية والرجالية وان كان الامام امير المؤمنين (A) قد وضع مبادئ عامة غير هذه للتعامل مع المرويات من الاحاديث منها :

١- قال (A) : اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فان رواة العلم كثير ، ورعاته قليل ^(٣٣٤) .

٢- وقال ايضا : (عليكم بالدرايات لا بالروايات) ^(٣٣٤) .

وقد كانوا (Γ) يحتثون على ضرورة كتابة الحديث فدلوا (Γ) على ان افضل طرق ضبط الحديث واحرازه كتابته وتدوينه ، فقد روى عن الامام الصادق A قوله

للمفضل بن عمر الجعفي؛ (اكتب وبث علمك في اخوانك ، فان مت فاورث كتبك
بنيك ، فانه ياتي على الناس زمان هرج لا يانسون فيه الا بكتبهم) (٣٣٤).

وقد اهتم الامامية بالحديث والسنة النبويين واحاديث اهل البيت Γ اهتماماً بالغاً
حتى قيل ان العياشي (ت ٣٢٠ هـ) فيما نقل عنه النجاشي في رجاله قال : قال ابو
عبد الله يحيى بن عبيد الله : سمعت القاضي ابا الحسن علي بن محمد قال لنا : ابو
جعفر الزاهد : انفق ابو النضر على العلم والحديث تركه ابيه سائرهما وكانت ثلثمائة
الف دينار وكانت داره كالمسجد بين ناسخ او مقابل او قارئ او معلق مملوءة من
الناس) (٣٣٤).

وقد كان اتصال الامامية بائمتهم Γ لم يحوجهم الى البحث عن طريقة يعرفون
بها صحة السند الا في اواخر القرن الرابع الهجري أي بعد غيبة اخر الائمة Γ ،
فكانت عندهم الاصول الاربعمئة التي كتبت في عهد الائمة Γ والتي استمر وجودها
مع القرائن التي كانوا يعتمدونها حتى عصر العلامة الحلي (ت ٦٧٦ هـ) حيث
اجتمعت اصولهم الحديثية مع قرائنها ، عند ذاك احتاجوا الى وضع علم الحديث
فأسست حينئذ اول قواعده .

واول كتاب الف عندهم هو كتاب (شرح اصول دراية الحديث) للسيد علي
بن عبد الكريم عبد الحميد النجفي النيلي من علماء المائة الثامنة (٣٣٤) ، وان كان ابن
النديم في الفهرست قد ذكر ان ابان بن تغلب الكوفي المتوفى سنة ١٤١ هـ كان له
كتاب بعنوان (الاصول في الرواية على مذهب الشيعة) (٣٣٤) ، وقد الف محمد بن
ابي عمير الازدي (ت ٢١٧) كتاب اختلاف الحديث (٣٣٤) .

وفي القرن العاشر الهجري كانت مؤلفات الشيخ زين الدين العاملي الشهيد
الثاني (ت ٩٦٦ هـ) والتي استقر بها تدوين هذا العلم وعنها نهل من جاء بعده (٣٣٤)
علما ان الشهيد الثاني قد تأثر بكتاب (حل الاشكال في معرفة الرجال) للسيد ابن
طاووس ، وقد وجدت نسخة من هذا الكتاب عند الشهيد الثاني (٣٣٤) هذا في ما يخص
التأليف في علم الحديث .

اما البحث الاصولي عندهم فقد سار على اساس هيكلية اخرى ، فقد تناولت
السنة في بعض المفردات ، لمفردة حجية الخبر الواحد ولم تدرسها بعنوانها ،
مستثنين بذلك عدد قليل من الاعلام الذين افردوا بابا خاصا للسنة في مؤلفاتهم
ودرسوها بعنوانينها كما عليه الفاضل التوني في كتابه (الواقعية في اصول الفقه)
والشيخ محمد رضا المظفر في (اصول الفقه) وما تناوله هذان العالمان يختلف عن
منهج الاصوليين من الجمهور ، فقد تناولوا تعريف السنة ، ثم دراسة دلالات الفعل
والقول والتقرير ، ثم تقسيم الاخبار الى سنة متواترة وآحاد ثم اثبات حجية خبر
الواحد بالادلة المختلفة ولم يتناولوا البحوث الاخرى التي تناولها اصوليو الجمهور
من البحوث التي جعلها علماء الامامية اما من اختصاص علوم الحديث والدراية ،
كالتفصيل في اقسام احاديث ، وخصائص حجية كل قسم منها ، او من اختصاص علم
الكلام ، كاثبات حجية سنة الائمة الاثنى عشر Γ (٣٣٤) .

تطور الحديث عند الجمهور :

وكما هو معلوم ان الجمهور اعتمدوا الحديث المروي عن الصحابي وبما ان الصحابة قد انتهى اخر اجيالهم بانتهاء القرن الاول الهجري ، ليبدأ بعدهم عصر التابعين ، ثم تابعي التابعين الذي انتهى هو الآخر في بدايات القرن الرابع الهجري (وبانتهاء هؤلاء اختفت القرائن التي كانوا يعتمدون عليها في الوثوق بصحة الحديث ، فعادوا احوج ما يكونون الى وضع قواعد وضوابط للتوثق من صحة الحديث فاتجهوا الى تحقيق هذا في بدايات القرن الرابع الهجري) (٣٣٤).

وبما ان المتأخر في كل مكان يستفيد من المتقدم منهجيا وفنيا ، لذا نرى ان الشهيد الثاني عند تقسيمه كتابه (الدراية) قد تأثر من الناحية المنهجية بكتب الجمهور في علم الحديث ، فسرى هذا التأثير الى ان يذكر من اقسام الحديث ما لم يذكر في كتبنا الحديثية منه بعض اقسام الضعيف ، وهذا يعود الى ان الشهيد الثاني قد زامل بعض علماء الجمهور في الشام وغيرها (٣٣٤).

فكان كتاب ظهر عندهم هو كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للقاضي ابي محمد حسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) (٣٣٤) وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الجمهور (كانوا اسبق تاريخيا في تدوين الحديث) (٣٣٤).

وقد اهتم الجمهور بالسنة النبوية والحديث النبوي الى الدرجة التي افردوا لها بابا خاصة - هذا فيما يخص الاصوليين - وقد درسوها على انها المصدر التشريعي الثاني.

وبهذا يكون هناك مدرستان هما (المدرسة الامامية) و (مدرسة الجمهور) ويبقى العامل المشترك بين المدرستين متمثلا في اثبات حجية خبر الواحد .

ومع كل هذه القرابة بين تلك المدرستين الا انه (مما يؤسف عليه ان اصحاب المذاهب الاسلامية المختلفة لم يتدارسوا مصادر الحديث النبوي عند المذاهب الاخرى مما ساعد هذا الاهمال على التقاطع في الوقت الذي اشد ما يحتاجون الى الاتحاد والتآلف) (٣٣٤).

ومع هذا التباعد والتنافر كتب الحديث النبوي الشريف عند المدرستين وباهتمام بالغ منقسمين من حيث عدد الرواة على اقسام :

- ١ - الخبر المتواتر .
- ٢ - الخبر المحفوف بالقرائن .
- ٣ - خبر الاحاد الخالي من القرائن وسوف نأتي على كل واحد منها:

المبحث الاول:

الاخبار المتواترة (القطعية):

الشيخ الطوسي (قده) في خطبة الاستبصار حدد معنى المتواتر بالقول (ما يوجب العلم) و اضاف : (فما هذا سبيله يجب العمل به من غير توقع شيء ينضاف اليه ولا أمر يقوى به ولا يرجح به على غيره وما جرى هذا المجرى لا يقع فيه التعارض والا التضاد في اخبار النبي 3 والائمة) (٣٣٤).

وتحدث عنه الشهيد الثاني (ت ٩٦٦ هـ) فقال : (ما بلغت رواته من الكثرة مبلغا فقل عددهم اربعون ، وقيل اثنان وستون احوالت العادة تواطؤهم أي اتفاقهم على الكذب ، واستمر ذلك الوصف في جميع الطبقات ، حيث تتعدد بان يرويه قوم عن قوم وهكذا الى الاول ان يكون اوله في هذا الوصف كاخره ووسطه كطرفيه ، ليحصل الوصف وهو استحالة التواطؤ على الكذب للكثرة في جميع الطبقات المتعددة) (٣٣٤).

هذا القول من الشيخ والشهيد الثاني يفيد ان العلم حاصل من المتواتر لتواتره لا لشيء خارج عن ذلك . غير ان بعض الباحثين يرى ان المهم وصفه بالتواتر كونه مفيدا للعلم من شيء او اشياء لو انضمتا الى التواتر لافاد العلم وان لم يفد العلم من دون هذا المنضمات . قال السيد هاشم معروف الحسني : (لا يمنع من حصول التواتر وجود بعض القرائن المؤيدة لاخبارهم حتى لو كان العلم الحاصل منه مستندا الى الجميع) (٣٣٤).

الا ان هذا الاتجاه غير سليم ولا يساعد عليه تقسيم الاصوليين للخبر الى متواتر واحاد محفوف بقرائن تفيد العلم ، او غير محفوف بها .
الشيخ الكركي قال عنه : (الخبر المتواتر لا يقع فيه تعارض ولا تضاد ولا يصح عندنا بجواز خبرين متضادين احدهما للنقية) (٣٣٤).

اما بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) فقد التقى تعريفه مع تعريف الامامية حينما عرفه بانه (ما نقله كافة بعد كافة تبلغ به النبي 3 وهذا خبر لم يختلف مسلمان في وجوب الاخذ به ، وفي انه حق مقطوع على غيبه) (٣٣٤).

اذا هو الخبر الذي يفيد بنفسه القطع بصدقه وكونه كاشفا عن السنة كاشفا قطعيا .

شرط وصف الخبر بالتواتر :

وقد تعرض الاصوليين وعلماء الحديث الى ذكر شروط حصول التواتر المستلزم لحصول العلم بصدور الخبر ولدى الاستقراء وجدتها اربعة :

١- الشرط الاول : (ان يخبروا عن علم ضروري مستندا الى محسوس اذ لو اخبرنا الجم الغفير عن حدوث العالم وعن صدق الانبياء لم يحصل بخبرهم) (٣٣٤).

٢- الشرط الثاني : (ان يستوي طرف الخبر ووسطه من هذه الصفة وفي كمال العدد لان كل عصر يستقل بنفسه فلا بد من وجود الشروط فيه) (٣٣٤).

٣- الشرط الثالث : (ان لا يحتمل خطأ المخبرين في ملاحظتهم ومشاهدتهم لما اخبروا به) (٣٣٤).

٤- الشرط الرابع : (في العدد الذي يحصل به التواتر واختلف الناس فيه) (٣٣٤).

وهذا العدد كان مثار الجدل عند العلماء ولم يختلفوا في عدد كما اختلفوا في

عدد رواة الحديث المتواتر ، فكثرت الارقام في ذلك حتى بلغت حد التواتر !!

فقد قال الشهيد الثاني : (قد يحصل في بعض المخبرين بعشرة او اقل وقد لا يحصل بمائة بسبب قربهم الى وصف الصدق وعدمه وقد خالف في ذلك قوم فاعتبروا اثني

عشر عدد النقباء او عشرين لاية العشرين الصابرين او السبعين لاختيار موسى A ليحصل العلم بخبرهم اذا رجعوا ، او ثلاثمائة او ثلاث عشر عدد اهل بدر) (٣٣٤).

ابن حزم ابدى تعجبه واستغرابه من الارقام التي طرحوها وكانت اكثرها مبهمة غير مفسرة فقال عن هذه الاعداد (وقد اختلف الناس في مقدار عدد النقلة للخبر طائفة قالت : لا يقبل الخبر الا من جميع اهل المشرق والمغرب ، وقالت طائفة لا يقبل الا من عدد لا نحصيه نحن ، وقالت طائفة لا يقبل من اقل من ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا عدد اهل بدر ، وقالت طائفة لا يقبل الا من سبعين ، وقالت طائفة لا يقبل الا من اربعين لانه العدد الذي بلغه المسلمون عندما اظهروا الدين ، وقالت طائفة لا يقبل الا من عشرين ، وقالت طائفة لا يقبل الا من اثني عشر وقالت طائفة لا يقبل الا من خمسة ، وقالت طائفة لا يقبل الا من اربعة ، وقالت طائفة لا يقبل الا من ثلاثة ، لقول رسول الله 3 (حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجة من قومة انه قد نزل به جأحه) (٣٣٤) .
وقالت طائفة لا يقبل الا من اثنين (٣٣٤) .

ثم قال : (وهذه الاقوال كلها بلا برهان وما كان هذا فقد سقط) (٣٣٤) .
ثم يوجه لهؤلاء الذين سمحوا لانفسهم بذكر هكذا ارقام (ما تقولون ان سقط واحد من هذا الحد الذي حددتم ، اي بطل سقوط ذلك الواحد قبول ذلك الخبر ام يبطله) (٣٣٤) .

وعليه ينبغي القول في مثل هذا اختلاقات انه (اذا جاء اثنان فاكثروا وقد تيقنا انهما لم يلتقيا ولا دسسا ، ولا كانت لهم رغبة فيما اخبروا به ولا رهبة مئة ، ولم يعلم احدهما بالآخر ، فحدث كل واحد منهما مقترقا عن صاحبة بحديث طويل ، لا يمكن ان يتفق خاطر اثنين على توليد مثله ، وذكر كل واحد منهما مشاهدة او لقاء لجماعة ، شاهدت او اخبرت عن مثلها بانها شاهدت ، فهو خبر صادق ، يضطر بلا شك من سمعه الى تصديقه ، ويقطع عن غيبه) (٣٣٤) .

وقد اورد البعض شروطا عدت فاسدة منها :

- ١- ان لا يحصرهم عدد ولا يحويهم بلد (٣٣٤) .
- ٢- ان تختلف انسابهم فلا يكونوا بني اب واحد ، وتختلف اوطانهم فلا يكونوا في في محلة واحدة ، وتختلف ادیانهم فلا يكونوا اهل مذهب واحد .
- ٣- ان يكونوا اولياء مؤمنين .
- ٤- الا يكونوا محمولين بالسيف على الاخبار .

انواع التواتر :

قسم العلماء التواتر الى قسمين :

- ١- التواتر اللفظي : وهو الذي يحصل (ما اذا اتحدت الفاظ المخبرين في اخبارهم كقوله 3 (انما الاعمال بالنيات) على القول بتواتره ، وقوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقوه (اني ارك فيكم الثقليين) والفرق بين الاول الاخير ان تمام الحديث في الاول متواتر ، دون الثاني والثالث لوجود الاختلاف في ما ورد في ذيلهما) (٣٣٤) .
وعرفه البعض بانه (هو الذي يرويه جميع الرواة ، وفي كل طبقاتهم بنفس صيغته اللفظية الصادرة من قائله) (٣٣٤) .

- ٢- التواتر المعنوي : عرفه اولو الاختصاص بانه (اذا تعددت الالفاظ واشتمل كل

منها على معنى مشترك بالتضمن او الالتزام (٣٣٤).

والى هذا المعنى ذهب الفضلي قائلاً (هو المعنى المستفاد من تكرره او الاشارة اليه في احاديث مختلفة الالفاظ وكثيرة كثره لا يمكن معها تكذيبها ، كاحاديث ظهور المهدي ، فانها مع اختلاف الفاظها تلتقي جميعا عند قاسم مشترك او قدر متيقن وهو ظهور المهدي) (٣٣٤).

وعلى هذا فأن الحديث المتواتر معنى (اكثر تحققا ووجودا من الحديث المتواتر اللفظي كان ذلك في اصول الشرائع ، او الاحاديث الواردة في بعض الصحابة، فان كل فرد من اخبارها غير متواتر باللفظ ، ولكن القدر المشترك بينهما من المعنى متواتر ، وان هذا النوع موجود بين المرويات في الفروع والاصول) (٣٣٤).

مكانه الاخبار المتواترة في التفسير :

تمتع هذا النوع من الاخبار بالحضوه العاليه وبالمكانة الرفيعة عند علماء التفسير بنفس المكانة التي نالها عند غيرهم من علماء الحديث ، فاهتموا به وتحدثوا عنه ، واخذوا به في امهات تفاسيرهم ، وخصوصا الامامية منهم الذين صرحوا ان (الاحاديث المتواترة حجة في التفسير ، لانها تفيد العلم ، فاذا ما وصلتنا أحاديث متواترة عن النبي 3 واهل البيت I بخصوص تفسير آية ، فلا بد من الاخذ بهذا التفسير والعمل بمضمونها (اذا كانت تتعلق بالمسائل العملية) (٣٣٤).

وهذا الاعتبار قد صرح به كبار علمائهم ، فهذا الطباطبائي عندما فسر قوله تعالى (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٣٣٤).

فهو وفي معرض حديثه عن تفسير هذه الآية تحدث عن حجية اقوال النبي 3 واهل بيته I مشيرا الى ذلك النوع من الاحاديث بالقول: (وفي الآية دلالة على حجية قول النبي 3 في بيان الايات القرآنية ، واما ما ذكره بعضهم ان ذلك في غير النص والظاهر من المتشابهات او فيما يرجع الى اسرار كلام الله وما فيه من التاويل فمما لا ينبغي ان يصغى اليه .

هذا في نفس بيانه 3 ويلحق به بيان اهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره واما سائر الامة او التابعين او العلماء فلا حجية لبيانهم لعدم شمول الآية وعدم نص معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الاطلاق) (٣٣٤).

وعندنا الكثير من الاحاديث المتواترة في اسباب نزول بعض الايات والتي كسبت الثقة والاعتبار والوثوق لدى علماء التفسير من الطرفين.

وبهذا تكون قد امتلكننا اولى الوسائل واوثقها في اثبات روايات اسباب النزول التي بها نستطيع اسقاط (اكثر احاديث اسباب النزول عن الاعتبار ، الا ان الباقي منها يكسب لكل الاعتبار والوثوق) (334).

نماذج من الاخبار المتواترة في اسباب النزول:

١ - اية الولاية: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٣٣٤).

هذه الآية مجمع على نزولها في امير المؤمنين علي بن ابي طالب A فقد نقل

الشيخ الطبرسي اجماع المسلمين على ذلك ، فقال في معرض حديثه عن سبب نزولها : حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني P قال: حدثني ابو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا ابو علي احمد بن علي بن رزين البياشاني قال : حدثني المظفر بن الحسين الانصاري قال حدثنا السندي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله 3 اذا اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل قال رسول الله 3 فقال ابن عباس سالتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال : يا ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا جندب بن جنادة البصري ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله 3 بهاتين والا فصمتا ورايته يهاتين والا فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة^(٣٣٤) ثم اورد قصة سبب نزولها بالكامل يقول السيد شرف الدين (اجمع المفسرون . كما اعترف به القوشجي وهو من ائمة الاشاعرة في مبحث الامامة من شرح التجريد . على ان هذه الاية انما نزلت في علي حين تصدق راکعاً في الصلاة ، واخرج النسائي في صحيحه نزولها في علي عن عبد الله بن سلام ، واخرج نزولها فيه ايضا صاحب الجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة واخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في امير المؤمنين)^(٣٣٤) .

يقول شيخ الطائفة الطوسي (ره) (ان الطائفتين المختلفتين الشيعة واصحاب الحديث روى ان الاية نزلت فيه A خاصة)^(٣٣٤) . والى ذلك اشار الطبرسي ايضا بالقول (ان المعنى بالذين امنوا علي للرواية الواردة عن طريق العامة والخاصة بنزول الاية فيه لما تصدق بخامته في حال الركوع)^(٣٣٤) .

٢- اية التطهير : قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣))^(٣٣٤) .

وهذه الاية ايضا وردت الاخبار متواترة في نزولها بال البيت Γ وان حاول البعض صرفها عنهم امثال الفخر الرازي الذي قال : (ثم ان الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ....) ليدخل فيه اهل بيته ورجالهم واختلفت الاقوال في اهل البيت ، والاولى يقال : هم اولاده وازواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم ، لانه كان من اهل بيته بسبب زواجه^(٣٣٤) ببنت النبي 2)^(٣٣٤) .

والى ادخال زوجات النبي 2 في اهل بيته ذهب الزمخشري في الكشاف^{٣٣٤} والبيضاوي في انوار التنزيل^{٣٣٤} .

ويضعف قولهم هذا : ان الاية تخص النبي 2 وعليها وفاطمة والحسن والحسين ، و ذلك بشهادة ما ورد من الاحاديث الجمة في ان الاية نزلت في حقهم ، وهي تزيد على سبعين حديثا ، يزيد ما ورد منها من طرف اهل السنة على ماورد منها من

طرف الشيعة .

فقد روتها اهل السنة بطرق كثيرة عن ام سلمة ، وعائشة ، وابي سعيد الخدري وسعد ، ووائله بن الاسقع ، وابن الحمراء ، وابن عباس ، وثوبان مولى النبي 2 وعبد الله بن جعفر ، وعلي ، والحسن بن علي A ، عن قريب من اربعين طريقا وروتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا Γ ، وام سلمة وابي ذر ، وابي ليلي ، وابي الاسود الدؤلي ، وعمر بن ميمون الاودي وسعد بن ابي وقاص في بضع وثلاثين طريقا (٣٣٤) .

وروى مسلم قائلًا : حدثنا ابوبكر بن ابي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن نصير واللفظ لأبي بكر قائلًا : حدثنا محمد بن بشر ، عن زكرياء ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : خرج النبي 2 غداة وعليه مرط مرحل ، من شعر اسود ، فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فادخلها ، ثم جاء علي فادخله ، ثم قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٣٣) (٣٣٤) .

ونقل الرواية الواحدي عن عطية بن ابي سعيد ، وذكر من نزلت بهم ثم قال فقالت ام سلمة : فادخلت راسي البيت وقلت : انا معكم يا رسول الله قال انك الى خير انك الى خير انك الى خير (٣٣٤) .

وهذه الرواية الاخيرة قد نصت بما لا يقبل الشك على خروج زوجاته من مفهوم اهل البيت Γ ومع هذا فانه لا قيمة لما يقال ان الروايات تدل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسين Γ وشمولها ازواجه ايضا . وقد روى السيوطي في الدر المنثور : باسناده عن ابن عباس قال : شهدنا رسول الله 2 تسعة أشهر يأتي باب علي بن ابي طالب عند وقت كل صلاة فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت (..... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (٣٣) (٣٣٤) .

والروايات في ذلك متواترة تدل على ان الآية لا تشمل ازواجه 2 وانما اصحاب الكساء هم اهل بيته Γ (٣٣٤) .

٣- اية المباهلة :

قال تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٦١) (٣٣٤) .

السيد السبزواري اغنانا عن تتبع موارد اسباب نزول هذه الآية وتواتر ها في آل الرسول 2 حيث قال في المواهب : (اتفقت الروايات المتواترة على ان اية المباهلة تركت في وفد نصارى نجران الذين هم من اشرافهم وفيهم السيد والعاقب على رسول الله 2 في المدينة المنورة في السنة التاسعة او العاشرة من الهجرة ومع رسول الله 2 اهل بيته وهم علي وفاطمة والحسن والحسين Γ وقد روى خبر المباهلة عن اكثر من خمسين طريقا من الصحابة مذكورة في كتب احاديث الجمهور وغيرهم (٣٣٤) .

اما اهم المصادر الشيعية التي ذكرها السبزواري فكانت كالآتي:

- ١- (في تفسير القمي (٣٣٤) عن الصادق A : ان نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله 2 وكان سيدهم الاهتم ، والعاقب ، والسيد الخ الى ان قال : فقال رسول الله 2

فبأهلوني فان كنت صادقا انزلت اللعنة عليكم وان كنت كاذبا انزلت علي فقالوا : انصفت فتواعدوا للمباهلة فلما رجعوا الى منازلهم قال رؤساؤهم السيد والاهتم : ان بأهلنا بقومه بأهلناه فانه ليس نبيا ، وان بأهلنا بأهل بيته خاصة لم نبأه فانه لا يقدم بأهل بيته الا وهو صادق فلما أصبحوا جاؤا الى رسول الله 2 ومعه امير المؤمنين A وفاطمة والحسن والحسين Γ فقال النصارى من هؤلاء ؟ فقيل لهم : هذا ابن عمه ووصيه علي بن ابي طالب وهذه ابنته فاطمة وهذا ابنه الحسن والحسين فتفرقوا فقالوا لرسول الله 2: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة فصالحهم رسول الله 2 على الجزية وانصرفوا (٣٣٤).

ثم نقل الرواية التي نقلها العياشي في تفسيره عن حريز عن ابي عبد الله X، ذاكرة مصادر الامامية الاخرى التي ذكرت هذه الرواية الدالة على تواتر اسباب نزولها بهم Γ منها :

- ١- صاحب كتاب العيون / باسناده عن موسى بن جعفر A .
- ٢- الشيخ المفيد / في الاختصاص باسناده عن عامر بن سعد عن ابيه وباسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق A باسناده عن ربيعة بن ناجد عن علي A ورواه عن ابي ذر ان عليا احتج بذلك يوم الشورى .
- ٣- في كتاب روضة الواعظين واعلام الورى والخرائج ، والفراة في تفسيره معننا عن ابي جعفر A وابي رافع ، الشعبي ، وعلي A وشهر بن حوشب (٣٣٤) .
- ثم نقل لنا مصادر الجمهور التي روتها فذكر منها :
- ١- مسلم في سننه عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه .
- ٢- الترمذي في سننه .
- ٣- الحاكم ، وابن المنذر ، والبيهقي عن سعد .
- ٤- الحموي في فوائد السمطين وابو المؤيد الموفق بن احمد في فضائل علي .
- ٥- ابي نعيم في حلية الاولياء باسناده عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه .
- ٦- الثعلبي في تفسيره عن مجاهد والكلبي .
- ٧- ابن اسحاق في المغازي .
- ٨- المالكي في الفصول المهمة .
- ٩- الحموي في فرائد السبطين عن جابر .
- ١٠- المغازلي في المناقب .
- ١١- السيوطي في الدر المنثور .

الى غير ذلك من كتب الجمهور ، ثم ختم السبزواري بحثه الروائي بالقول (والذي يتحصل مما تقدم ان المستفاد من جميع الروايات التي رواها الجمهور والخاصة ان القدر المشترك بينهما هو ان رسول الله 2 دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين Γ ليبأهل بهم نصارى نجران وهذا القدر هو المتواتر بينهما) (٣٣٤).

٤- اية الانفاق :

قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢٧٤) (٣٣٤).

تحدث السيد السبزواري عن سبب نزول هذه الاية قال (في العيون عن الرضا A عن ابائه Γ في قوله تعالىانها نزلت في علي A ، وفي الاختصاص مسندا عن رسول الله 2 انها نزلت في علي A وذلك كان عنده اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ،

وبدرهم نهارا ، وبدرهم سرا ، وبدرهم علانية ، وروى الشيخ في التبيان والعياشي في تفسير ه ، ومثله في المجمع : وهو المروي عن ابي جعفر ، وابي عبد الله Γ ، وروى الزمخشري في الكشف مسندة ، والواحد في اسباب النزول عن ابن عباس انها نزلت في علي A ورواه جمع غفير ، منهم الخوارزمي في المناقب ، والحافظ ابو نعيم ، والثعلبي في تفسيره والحموي في فرائده ، وابن المغازي ، وفي الدر المنثور اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن ابي حاتم ، والطبراني ، وابن عسكر عن طريق عبد الله بن مجاهد عن ابيه عن ابن عباس : انها نزلت في علي بن ابي طالب A .
وفي مناقب ابن شهر اشوب ، وتفسير البرهان روى ذلك عن ابن عباس والواقدي ، والطبرسي ، والماوردي ، والقشيري ، والثمالي^(٣٣٤) ، والنقاش ، والقتال وعلي بن حرب الطائي ، وعبد الله بن الحسيني في تفاسيرهم .

اقول : الروايات الدالة في ان الاية الشريفة نزلت في علي A متواترة بين المسلمين^(٣٣٤) .
٥- اية النجوى :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢))^(٣٣٤) .

وقد ثبت تواتر خبرها عند مفسري الطرفين وبعد نزولها لم يعمل بها غير علي بن ابي طالب A ، وقد ثبت فيها حكما شرعيا عن وجوب التصديق عند مناجاة النبي 2 ، وهذا حكم عام ، ولكنها اختصت بشخص واحد ، وهو الأمير A ، فقد نقل لنا الحبري (ت ٢٨٦ هـ) خبرها هذا / فقال : (حدثنا علي بن محمد ، قال حدثني الحبري قال حدثنا مالك بن اسماعيل ، عن عبد السلام ، عن ليث عن مجاهد : قال : قال علي A اية من القرآن لم يعمل بها احد قبلي ، ولا يعمل بها احد بعدي ، نزلت اية النجوى فكان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم ، فكنت اذا اردت ان اناجي النبي 2 تصدقت بدرهم حتى فنيته ثم نسختها الاية التي بعدها : (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢))^(٣٣٤) .

وبهذا المعنى ايضا نقل الواحد في هذه الرواية^(٣٣٤) . وقد نقلها غيرهما ايضا بطرق مختلفة .

٦- اية الاطعام :

قال تعالى : (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨))^(٣٣٤) .

وهذه الاية ايضا مجمع على نزولها في ال ارسول 2 قال الشيخ الطوس (P) وقد روت الخاصة والعامة ان هذه الايات نزلت في علي A وفاطمة والحسن والحسين Γ ، فانهم اثروا المسكين واليتيم ، والاسير ثلاث ليال على افطارهم ، وطووا عليهم ، ولم يفطروا على شيء من الطعام ، فاتنى الله عليهم هذا الثناء الحسن ، وانزل فيهم هذه السورة ، وكفاك بذلك فضيلة جزيلة الى يوم القيامة ، وهذا يدل على ان السورة مدنية)^(٣٣٤) .

صاحب الميزان افاض في نقل الروايات الواردة في سبب نزول هذه الاية^(٣٣٤) حيث اورد مصادر الامامية ومصادر الجمهور ، فمن تلك المصادر :

- ١- تفسير القمي : ٣٩١/٢ .
- ٢- تفسير الطبرسي : مجمع البيان ، ٢٠٩/١٠ .
- ٣- تفسير ابي حمزة الثمالي ، ٣٤٥ .
- ٤- تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ٤٨٢/٧ ، وكتاب غاية المرام للبحراني .

اما مصادر الجمهور فكان منها :

- ١- تفسير مقاتل ، مقاتل بن سلمان وان حاول مقاتل حرفها عن امير المؤمنين بقوله

- (نزلت في ابي الدحداح الانصاري او في علي بن ابي طالب)^(٣٣٤)!!!
- ٢- اسباب النزول ، الواحدي ٣٣١ .
- ٣- الدر المنثور ، السيوطي نقل الرواية عن ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب ، وفاطمة بنت رسول الله 2 ^(٣٣٤) .
- ٤- الكشف ، الزمخشري .
- اضافة الى مصادر اخرى فضلنا عدم ذكرها تجنباً للاطالة، وهناك ايات اخرى في سور عدة من القرآن الكريم كانت روايات اسباب نزولها متواترة ^{٣٣٤} .

المبحث الثاني:

- اخبار الاحاد المحفوفة بقرائن توجب القطع بصورها:
- اشار الشيخ المفيد اليه في اصول الفقه بالقول فأما الخبر القاطع للعدر فهو الذي يقترن اليه دليل يفضي بالنظر فيه الى العلم بصحة مخبره ^(٣٣٤) .
- كما عرفه الشيخ الطوسي في خطبة الاستبصار بالقول: وهو كل خبر تقترن اليه قرينة توجب العلم وما يجري هذا المجرى يجب العمل به وهو لاحق بالقسم الاول يعني المتواتر ^(٣٣٤) .
- ومن هذين التعريفين نستطيع استخلاص تعريف بسيط وهو الذي تصحبه القرينة المساعدة له على افادته العلم بصدقه وصحة صدوره ^(٣٣٤) .
- وقد ذكروا هذه القرائن متفاوتة بين عالم وآخر ، فنجد ان المفيد عد ثلاثاً من القرائن التي ان رافقت الخبر الواحد حولته الى خبر يقع مع الخبر المتواتر في خانة واحدة ، واضعاً بذلك اطاراً منهجياً للتعامل مع الخبر المحفوف بالقرينة ، فقد قال بعد ان عرف هذا الخبر: وربما كان الدليل – يعني القرينة-:
- ١- حجة من عقل .
 - ٢- وربما كان شاهداً من عرف .
 - ٣- وربما كان اجماعاً .
- اما الشيخ الطوسي فقد قال: والقرائن كثيرة منها:
- ١- ان تكون مطابقة لادلة العقل ومقتضاه .
 - ٢- ان تكون مطابقة لظاهر القرآن ، اما لظاهره او عمومه او دليل خطابه او فحواه .
 - ٣- ان تكون مطابقة لما اجمع المسلمون عليه .
 - ٤- ان تكون مطابقة لما اجمعت عليه الفرقة المحقة . فان جميع هذه القرائن تخرج الخبر من خبر الاحاد وتدخله في باب المعلوم وتوجب العمل به ^(٣٣٤) .
- الحر العاملي وبعد ان عرف القرينة بالقول (هي ما ينفك عنه الخبر وله دخل

في ثبوته ، اما ما لا ينفك عنه فليس بقرينة، ككون المخبر انسانا او ناطقا او نحوهما^(٣٣٤).

قام بتقسيم القرائن الى ثلاثة اقسام :

- ١- ما يدل على صدور الخبر عن المعصوم .
 - ٢- ما يدل على صحة مضمون الخبر .
 - ٣- ما يدل على ترجيح الخبر على الخبر المعارض له .
- وبعد ذلك عدد هذه القرائن اجمالا ذاكرا القرائن التي ذكرها الطوسي مضيفا اليها قرائن اخرى وهي :

- ١- كون الراوي ثقة يؤمن منه الكذب عادة ، فانه قد يحصل من هذا العلم بصدق الخبر وصحة صدوره .
- ٢- وجود الحديث في كتاب من كتب الاصول المجمع عليها ، او في كتاب احد الثقات .
- ٣- وجود الحديث في احد الكتب الاربعة .
- ٤- وجود الحديث في كتاب لاحد اصحاب الاجماع .
- ٥- تكراره في كتب متعددة^(٣٣٤) .
- ٦- عدم وجود عارض له .

وهذه القرائن كلها قرائن علمية يرتبط بعضها بتصحيح مضمون الخبر وهي مثل موافقة القران الكريم وموافقة السنة القطعية^(٣٣٤) .

ومعنى موافقته السنة القطعية : (أي عرض الخبر على الحديث المتواتر المفيد للعلم فيكون وجود المتواتر قرينة على صدق الخبر الواحد ، الا ان قلة المتواتر وندرته تحيل دون الاعتماد على هذه القاعدة في معرض القرائن المفيدة للعلم الا في حدود ضيقة جدا ، وخاصة في مجال تشريع الاحكام^(٣٣٤) .

هذا فيما يرتبط بتصحيح الخبر (في حين ان بعضها الآخر يرتبط بتصحيح السند ، مثل وجود الحديث في كتاب لاحد اصحاب الاجماع ، وفي كتاب احد الثقات بهذا لا تخرج عن كونها نتائج اجتهادية يقول بها الفقيه وفق اجتهاده^(٣٣٤) .

وبهذا يكون العاملي قد جمع القرائن كلها ولم يغادر قرينة الا احصاها وهو بهذا يكون قد احسن اليينا احسن الله اليه فبكثرة هذه القرائن اصبحنا ننتفع بأكثر عدد ممكن من الاحاديث النبوية التي ساهمت بشكل كبير في خدمة التشريع الاسلامي . وعلى كل حال فان هذه الاخبار (قد تفيد العلم عند البعض ، وقد لا تفيده عند اخر لاختلاف الاجتهاد ، والخلاف في نتائجه^(٣٣٤) .

ومع هذه القرائن الكبيرة فقد وجد البحث ان هناك من يقول بالقرينة التاريخية : (حيث ان التاريخ الصحيح له دور كبير في نقد السنة وحصول القرينة التاريخية التي تعضد الخبر دليل على مصداقيته^(٣٣٤) .

وهذه القرينة جيدة جدا في مجال بحثنا عن اسباب النزول وذلك : (لان علم اسباب النزول يعتمد في مادته على روايات الصحابة المعاصرين لنزول القران والذين حضروا مناسبة النزول او الواقعة او الحدث التاريخي الذي استدعى التعليق من قبل الله عز وجل من خلال نزول الوحي على الرسول 2^(٣٣٤) وهذا بطبعه نابع من ان

(ا هم القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم ، معرفة الهدف من نزوله ، لان الهدف بطبيعة الحال ، يلقي بظلاله على المعنى القرآني ، بحيث يكون احدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص)^(٣٣٤) .

وهنا اعتبر العلماء في اسباب النزول (قول الصحابي بمنزلة المرفوع دون تردد ، والكثير منهم يعمم هذا الحكم الى جوانب المعرفة التفسيرية)^(٣٣٤) .
وعليه يجب الاقرار (بمشروعية الاستدلال بالتاريخ الثابت الصحة على مستوى القرآن الكريم او على مستوى نقد الحديث)^(٣٣٤) .

وبهذا تكون الرواية التاريخية الصحيحة سيدة الموقف في التفسير الكاشف عن مراد الله تعالى في النص القرآني أي ان القرينة التاريخية بمعية القرائن الاخرى نستطيع الاتكاء عليها لفهم النص القرآني سواء بعموم لفظه او بخصوص سببه ، ولا ننسى هنا دور سياق الآية ، فالسياق لعب دورا مهما وناصعا في اجلاء بعض الغموض الذي يكتنف النص وذلك لاننا لا نستطيع الركون الى ما (ذكروه من اسباب النزول كلها او جلها نظرية بمعنى انهم يروون غالبا الحوادث التاريخية ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها في الايات الكريمة يروون فيعدونه اسباب نزول ولربما ادى ذلك الى تجزئة اية واحدة او ايات ذات سياق واحد ثم نسبة كل جزء الى تنزيل واحد مستقل وان اوجب ذلك اختلال نظم الايات وبطلان سياقها وهذا احد اسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في اسباب النزول)^(٣٣٤) .

وقد ادى هذا الوضع الذي سلكه بعض المفسرين الى خلط اسباب النزول بعضها مع بعض وتداخل روايتها فهم عندما يطبقون الروايات على الآية من دون تدبر وتامل بل مجرد ان يلاحظوا او يعتقدوا لمح ثمة علاقة او خفايا صلة بها ففسروا وربطوا ، وعليها طبقوا حتى عاد لبعض الايات اكثر من سبب نزول واكثر من رواية ، فتعددت الاسباب والروايات لتعدد الايات واختلافها ، مما اوجد بين الدلالات القرآنية وجوها لاحتمالات والافتراضات التي لا تقبل الترجيح والتفاضل احيانا ، لاننا لا علم لنا بذلك العصر النزولي ، فقد تتشابه روايتان ، وهما تتعلقان بسبب واحد فنقف ازاءهما ونحن لا نملك دليلا قاطعا على الاقرب والاصح في دلالة الآية الكريمة وهذا يتفق مع (معنى قول علماء القرآن : ان المرويات في اسباب النزول يكثر فيها الوهم)^(٣٣٤) .

وقد استمد هذا الخلط من عند المحدثين – من قبل انفصال التفسير علما عن الحديث – وكثرة الاحاديث التي لم يتأكد ناقلوها من سياقها سند او دلالة ، فتواترت من غير تمحيص وتثبيت وتفسير ، فاخذ بها مفسرون ورواة ولم يتحرجوا في ذلك... ووقف بعض اخر منها محققا محاولا قدر امكانه ان يضع يديه على صحتها و سلامتها .

اذن فان (ما قلناه في مشروعية الرجوع الى الخبر المتواتر لافادته العلم بصدوره واعتباره مصدرا شرعيا ، نقوله هنا ، وللسبب نفسه ، وهو افادة الخبر المقرون العلم ايضا ، والعلم حجيته ذاتية)^{٣٣٤} .

وقد تواترت اخبار العلماء على حجية العمل به فالشيخ المفيد قال عنه:

(والحجة في الاخبار ما اوجبه العلم من جهة النظر فيها بصحة مخبرها ونفي الشك فيه والارتياح ، وكل خبر لا يوصل بالا اعتبار الى صحة مخبره فليس بحجة في الدين ولا يلزم به عمل على حال) (٣٣٤).

ومثله قال الشيخ المظفر في معرض حديثه عن حجته: (ولا شك في ان مثل هذا حجة) (٣٣٤).

مكانة الاخبار المحفوفة بالقرائن في التفسير :

وهذا النوع من الاخبار نال ايضا درجة من التوثيق عند علماء التفسير وقالوا به واجمع على ذلك مفسروا الطرفين الامامية والجمهور .

يقول العلامة الاصفهاني: (خبر الواحد المحفوف بالقرائن حجة في التفسير ايضا؛ لانه يفيد العلم) (٣٣٤).

وقد صرح من قبله العلامة الطباطبائي بذلك ايضا فقال عند تفسيره قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٤٤)) (٣٣٤) وهذا كله في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهه ، واما الخبر الحاكي له فما كان منه بيانا متواترا او محفوا بقريضة قطعية وما يلحق به فهو حجة لكونه ببيانهم (٣٣٤).

وبهذا نكون قد امتلكنا الوسيلة الثانية في اثبات روايات اسباب نزول بعض الايات القرآنية مادامت تمتلك القرائن الموثقة لذلك والله اعلم .

امثلة على قرائن صدق سبب النزول :

في القرآن الكريم امثلة كثيرة على صدق بعض اسباب النزول وذلك بلحاظ قرائن في نفس الاية او قد نفهمه من (سياق الايات على انطباق قصة اسباب النزول على الحادثة التاريخية التي تعضدها الفاظ الايات ذاتها او تفصيلات تلك الالفاظ في ايات القرآن بمكان أو اخر او اشارات توحى الى وصف او بيان المقصودين بتلك الايات) (٣٣٤) منها :

١ - قوله تعالى: (وَإِذَا لَوْا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)) (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)) (٣٣٤) . قال علي بن ابراهيم : انها نزلت في اليهود وقد كانوا اظهروا الاسلام وكانوا منافقين ، وكانوا اذا راوا رسول الله قالوا انا معكم واذا راوا اليهود قالوا معكم ، وكانوا يخبرون المسلمين بما في التوراة من صفة رسول الله 7 واصحابه فقال لهم كبرائهم وعلمائهم: (أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)) (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)) (٣٣٤) فرد الله عليهم ، فقال : (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧)) (٣٣٤).

فالقرائن هنا من الاية نفسها بما عرف به اليهود من نفوس حقيرة حاقدة على الاسلام والمسلمين وما جاور رسول الله 7 في المدينة اقدر من هؤلاء ، وقد نجد ايات اخرى في القرآن الكريم ولكن في اماكن اخرى كلها قرائن على نزول تلك الايات بهؤلاء اليهود فعندما تسمع قوله تعالى: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١)) (٣٣٤) .

ففيها دلالة اكيدة على ان هناك حادثة واقعة في قول صادر من اليهود ولا

غيرهم بدلالة قوله (وَقَتْلُهُمُ الْاَنْبِيَاءَ) والتي قد اشير الى اختصاص تلك الجريمة باليهود دون سواهم في كثير من آيات القرآن الكريم وذلك عند الحديث عن بني اسرائيل الذين كذبوا موسى وهموا بقتل عيسى الى ان يقول لهم (...قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ اَنْبِيَاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسٰى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)) (٣٣٤).

فان دلالة هذا الوصف يصرح بانهم اليهود . فما دامت آيات القرآن هنا لا تحدد السائلين نستطيع الركون الى الرواية التاريخية في سبب نزول تلك الآية ان القائل هو (حيي بن اخطب اليهودي) (٣٣٤).

هذا من جانب ، ومن جانب اخر قرينة اجماع المفسرين على ان هذه الايات نازلة في اليهود اصف اليها ان هذه الروايات لم تعارض لا نصا قرانيا ولا حديثا نبويا في انها نازلة في اليهود الذين طالما حذر 7 منهم ومن مكرهم وكيدهم للاسلام اصف الى قرائن اخرى ساهمت جميعا في تصديقنا روايات سبب نزول هذه الايات .

كذلك نستطيع ملاحظة ذلك واضحا ايضا في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَاِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّٰهِ قَالُوا اَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَاِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا اَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)) (٣٣٤).

وقد قيل: انها نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه فقدموا عن رسول الله 7 يوم بدر ، فكان اذا ظفر رسول الله بالكفار ، قالوا له: (اَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) واذا ظفر الكفار قالوا: (اَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ) ان نعينكم ولم نعن عليكم ، قال الله (قَالُوا يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)) (٣٣٤).

فهذا التفصيل في الآية قرينة على الواقعة المروية في سبب نزولها في هؤلاء اليهود المردة ايضا .

٢- قوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....) (٣٣٤). ذكر العياشي ان سبب نزولها كما روى عن ابي بصير عنه (الصادق X) قال : قال: (انما انزلت هذه الآية على محمد 7 فيه وفي الاوصياء خاصة ، فقال (كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....) هكذا نزل بها جبرائيل ، وما عني بها الا محمداً واوصياءه صوات الله عليهم (٥).

فعندما نطالع سبب نزول هذا النص نجد انه ينطبق عليهم I ومن يكون غيرهم خير امة؟، وكيف يعقل ان تكون خير امة جماعة غير هؤلاء على الاطلاق وان امروا بمعروف ونهوا عن منكر . فهذه قرينة على نزول هذا النص بحقهم اصف انه قد نقل عن احد الثقات عندنا ، وكونه منقولاً عن احد الثقات تكون قرينة ثانية عن صحة الخبر .

٢- قوله تعالى (اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)) (٣٣٤).

سبق وان استشهدنا بها على انها من الاخبار المتواترة وهنا نستشهد بهذه الآية على ان هناك قرينة في ان نزولها في علي بن ابي طالب X دون غيره من البشر وهذه القرائن عدة :

- ١- ان الحالة التي كان عليها امير المؤمنين X وهي حالة الركوع وأتيانه الزكاة بها ولم يسبقه بها احد ولا جاء بعده احد بمثل ما جاء به X.
 - ٢- ان عمر بعد نزول هذه الاية قد تصدق بحوالي ٤٠ خاتم على امل ان ينزل فيه شيء كما نزل بامير المؤمنين ولكن دون جدوى .
 - ٣- كما ان الاخبار القائلة بكثرة صناعة الخواتم والتصدق بها بعد نزول الاية علّ اية اخرى تنزل ولكن بلا فائدة .
 - ٤- عدم دعوى احد انها نزلت في غير علي X.
 - ٥- تواتر الاخبار لدى الطرفين في انها نزلت في علي X.
 - ٦- نقلت في الكتب الحديثة الاربعة لدى الطائفة المحقة .
 - ٧- نقلت في كتب الصحاح والسنن المعتبرة لدى المذاهب الاخرى .
 - ٨- اجماع الأمة وعلماء المسلمين على نزولها في علي X اضافة الى قرائن اخرى كلها تشير الى نزولها في علي X كما في رواية سبب نزولها (٣٣٤) وهذه القرائن دليل على صحة خبر نزولها فيه X .
- ٣- قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ.....) (٣٣٤) .
- ذكر الطوسي حديث الافك المفترى انه واقع على عائشة التي (ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق ، وكانت تباعدت لقضاء الحاجة ، فرجعت تطلبه ، وحمل هودجها على بعيرها ظنا منهم بها انها فيه ، فلما صارت الى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه ، وكان صفوان ابن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمر بها ، فلما عرفها اناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى اتى الجيش بعد ما نزلوا في قائم الظهيرة: هكذا رواه الزهري عن عائشة (٣٣٤) . ومن جاء بالافك (عبد الله بن ابي بن سلول) وهو الذي تولى كبره (٣٣٤) .
- وهذه الرواية قد وجدت طريقها في امهات كتب الجمهور فالواحد قد رواها بهذا المعنى (٣٣٤) والسيوطي في لباب النقول (٣٣٤) اوردها بالطريقة نفسها ، بينما روتها بعض كتب الامامية على انها (انما نزلت في مارية القبطية ، وما رمتها به عائشة) (٣٣٤) حيث تقول هذه المصادر ان عائشة وبعد ان وضعت السيدة مارية القبطية سيدنا ابراهيم X ابن رسول الله 7 رمتها بالفحش غير انها عليها ، ورمتها مع خادم كان قد جاء معها من مصر وبعد ان تثبت امير المؤمنين منه وجد ان هذا الخادم من الخصيان وانزل الله براءتها من الفحش .
- وانت تقرا هذه الروايات الواردة في سبب النزول - بغض النظر عن من من زوجاته 7 كانت الاية نازله بها - تجد ان هناك توافقا مع الاية ، فنجد ان هناك اناسا جاءوا لرسول الله 7 بحديث كاذب مفترى وان كانت الاية لم تصرح باسماء هؤلاء الذين جاءوا بالافك ولا حتى تفصيلات الحادثة ولكن نجد ان هذه الايات قد عضدت الروايات المروية في سبب نزولها ، وهذا بدوره يشكل قرينة على صحة تلك الروايات ، اصف الى قرينة انك لا تستطيع تصديق رواية فيها تلويت لسمعة البيت النبوي الطاهر .

المبحث الثالث:

اخبار الاحاد غير المحفوفة بقريضة توجب العلم بصدورها:

اعتقد اننا تبينا مفهوم خبر الواحد غير المقرون من تعريفنا لمفهوم الخبر المتواتر وخبر الواحد المقرون. (وهو ذلك الخبر الذي لا يبلغ مستوى التواتر، ولم يقترن بما يساعده على افادته العلم بصدوره واقصى ما يفيد اذا توافرت في اسناده شروط الصحة هو الظن بصدوره عن المعصوم)^(٣٣٤).

وكان الشيخ الطوسي قد قال عنه من قبل انه (كل خبر لا يكون متواترا ويتعدى القرائن فان ذلك خبر واحد يجوز العمل به على شروط)^(٣٣٤).

واختار الصدر تعريفه بـ(الخبر الذي لم يحصل منه القطع بثبوت مؤداه)^(٣٣٤).

وقد تمتعت اخبار الاحاد في التشريع الاسلامي بأهمية خاصة بالغة الخطورة وذلك لانه (يتشكل تقريبا في السنة الشريفة اكثر هذا الميراث ولا تكاد تشكل الاخبار المتواترة -التي تغير العلم اجماعا- الا نسبة قليلة ازاءه ومعنى ذلك ان اغلب الاحكام المستفادة ومن السنة في الفقه والتفسير تبني عليه، وعدم اعتباره اصلا يكاد يساوي القول بالغاء الجانب الكبير من البنية التشريعية الاسلامية، ولذلك بحثه العلماء في علمي الاصول، واصول الحديث بحثا وافيا حقيقة، وصحية، وشروطا، واقساما)^(٣٣٤).

من هنا اهتم به علماء الحديث اهتماما بالغاً وحدا بهم هذا الأمر الى تقسيمه الى قسمين:

القسم الأول : اخبار الأحاد الضعيفة:

وهي عبارة عن تلك الاخبار (غير المتواترة وليس لها سند معتبر ، ولذلك لا يوجد اطمئنان بصدورها من المعصوم، وهذا النوع من الاحاديث ترد كثيرا في الروايات التفسيرية وربما يكون موضوعا او من الاسرائيليات)^(٥) و هو غالبا ما يكون (الفاقد للشروط المعتمدة في الاصناف الثلاثة) (الصحيح والحسن والموثق)^(٣٣٤) ويشتمل على المرفوعات، والمرسلات والموضوعات وامثال ذلك.

وقد اشترط العلماء في راوي هكذا نوع من الاحاديث عدة صفات^(٣٣٤) اجمل السيد الغريفي بعضها منها بقوله: (ان الحديث الضعيف هو المرسل أو المسند الذي لم يكن روايته موثقا او اماميا ممدوحا سواء كان مجهولا او مجروحا فليس بحجة لعدم الدليل على جواز العمل به فلم يخرج عن حد الظنون التي لا يجوز العمل بها)^(٣٣٤).

مكانة خبر الواحد الضعيف في التفسير :

وصف العلماء هذا النوع من الاحاديث بأنه (غير معتبر في التفسير ولا يعتبر حجة؛ لاننا نريد ان نبين مراد الله سبحانه في التفسير ، وعندما لا يكون الحديث مفيدا لليقين لا يمكن القطع بان هذا المطلب هو مراد الله تعالى)^(٣٣٤)

أي أننا إذا تبيننا التفسير المعين أو الرأي المعين الذي جاءت به تلك الرواية الضعيفة فمعنى هذا أننا نسبنا إلى المولى أو نقولنا عليه ما لم يقله أو لم يقصده بمجرد ورود رواية معينة عن النبي 7 الذي هو شارح للقرآن ومبين للأمة، في حين أن هذه الرواية الضعيفة لا تعتبر بياناً؛ لعدم احرازنا صدورهما عن الرسول 7.

كبار علماء الإمامية طعنوا على هذا الخبر حجته أمثال السيد الخوئي P الذي استطاع إثبات حجية الأخبار القطعية المتواترة عن النبي 7 وأهل بيته Γ بحديث الثقلين قال: (ولا شبهه في ثبوت قولهم X إذا دل عليه طريق قطعي لا شك فيه، كما أن لا شبهة في عدم ثبوته إذا دل عليه خبر ضعيف غير جامع لشرائط الحجية)^(٣٣٤). وقد حاول بعض العلماء دراسة متن هذه الأخبار علّه يستفاد منها في التفسير أن وجد دليل على صدقها، فقام بعرضها على ظواهر القرآن الكريم -ظواهر القرآن الكريم حجة باجماع العلماء- عسى أن يستفاد منها في شيء لا يمس عقائد واحكام في صميم الدين الاسلامي، من هؤلاء العلامة الطباطبائي الذي نقل أخبار ضعيفة من تفاسير القمي والعياشي عندما أراد تفسير قوله تعالى: (كَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا)^(٣٣٤)، فحاول توظيف هذه الروايات لإثبات نزول الوحي على عمران ووجود الفاكهة في محراب مريم في غير وقتها^(٣٣٤)، فقال: (والروايات وإن كانت أحاداً غير خالية عن ضعف الطريق لا يجب على الباحث الأخذ بها، والاحتجاج بما فيها لكن التدبر في الآيات يقرب الذهن منها، والذي نقل عن أئمة أهل البيت Γ لا يشمل على أمر غير جائز عند العقل)^(٣٣٤).

وعليه نستطيع القول أننا بهذه الأخبار لا نستطيع إثبات روايات أسباب نزول كثير من الآيات القرآنية وبالتالي إسقاط أعداد هائلة من هذه الروايات.

القسم الثاني : أخبار الأحاد المعتبرة:

وهي تلك (الأخبار غير المتواترة التي يكون لها طريق معتبر، أي التي تفيد الظن بالصحة ولا تورث اليقين)^(٣٣٤).

وهذا النوع من الأحاديث يقسم إلى ثلاثة أنواع: صحيحة عامة، وحسنة، وموثقة^(٣٣٤). وقد اختلف علماء الإمامية في مدى حجية أخبار الأحاد بصورة عامة فذهبوا في ذلك إلى:

١- ادعى جمع كبير تصريحاً وتلويحاً إجماع الإمامية على حجته لكن بشروط، وكان على رأس المدعين ذلك الشيخ الطوسي P^(٣٣٤)، وقد تبني جمع كثير من المتأخرين هذا الرأي.

٢- ادعى جماعة أخرى إجماع الإمامية على عدم حجته وكان السيد المرتضى على رأسهم الذي (جعله بمنزلة القياس في كون ترك العمل به معروفاً من مذهب الشيعة، وتبعه على ذلك الشيخ ابن إدريس)^(٣٣٤).

وابن إدريس هذا قام بنقد الشيخ الطوسي لعمله بخبر الواحد ناقلاً عن الطبرسي إجماع الإمامية عن عدم حجته^(٣٣٤).

وقد علق الشيخ المظفر على هذا التفاوت بين العالمين بالقول: (والغريب في الباب وقوع مثل هذا التدافع بين نقل الشيخ والسيد عن اجماع الامامية ، مع انهما متعصران بل الأول تتلمذ على الثاني، وهما الخبير ان العالمان بمذهب الامامية، وليس من شأنهما ان يحكما مثل هذا الأمر بدون تثبيت وخبرة كاملة)^(٣٣٤).

(اما في الوقت الحاضر فإن مشهور علماء الامامية ذهب الى حجية خبر الواحد المعبر والعمل به في الاحكام الشرعية، ودليلهم الرئيسي هو سيرة العقلاء)^(٣٣٤).

وقد صرح بذلك غير واحد من العلماء وكان الطباطبائي في مقدمتهم حيث قال: (ان السنة يعملون مطلقا بالخبر الواحد الصحيح، واما الشيعة فالذي ثبت عندهم في علم اصول الفقه حجية الخبر الواحد الموثوق الصدور في الاحكام الشرعية ولا يعتبر في غيرها)^(٣٣٤).

وعاد ليؤكد هذه المقولة في الميزان عند تفسيره قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ...) ^(٣٣٤) فهو في معرض تفسيره لهذه الآية يتعرض لذكر هكذا نوع من الاخبار بالقول (وكلا المجموعتين من الاخبار هي اخبار آحاد، وقبول خبر الواحد والعمل به في غير الاحكام الفقهية للدين غير واجب)^(٣٣٤) وقال في بحثه الروائي عند تفسيره نفس الآية: (الا انها اخبار آحاد غير واجبة القبول، وفي اسانيدھا بعض الضعف ولا شاهد لها من نفس الآيات)^(٣٣٤)

شروط حجية خبر الواحد :

اذا كانت قيمة خبر الواحد هذه في التشريع الاسلامي فعلينا اذا ما اردنا التعامل معه الالتزام بالشروط التي وضعها علماء الاصول لقبول هذا الخبر والتي تعلق بعضها بالراوي للخبر وبعضها بدلالة الرواية ، اما ما يتعلق بالراوي فقد اشترطوا عدة شروط منها :

١ - التكليف: فلا تقبل رواية المجنون والصبي وان كانا مميزين والحكم في المجنون وغير المميز ظاهر ، ونقل الاجماع عليه من الكل ، واما المميز فلا نعرف فيه من الاصحاب مخالف ، وجمهور اهل الخلاف على ذلك ايضا ^{٣٣٤}

٢ - الاسلام : اقر هذا الشرط اعتمادا على قوله تعالى: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)) ^{٣٣٤}.

وعلى هذا فهو (شامل للكافر وغيره ، ولئن قيل باختصاصه في العرف المتأخر بالمسلم لدل بمفهوم الموافقة على عدم قبول خبر الكافر كما هو الظاهر) ^{٣٣٤} وادعى الغزالي وغيره الاجماع على هذين الشرطين ^{٣٣٤}.

٣ - الايمان : واشترطه هو المشهور عند الامامية واختلفوا في اشتراطه عند الجمهور ^{٣٣٤}.

٤ - العدالة : هي ملكة في النفس تمنعها من فعل الكبائر والاصرار على الصغائر ، ومنافيات المروءة ، واعتبار هذا الشرط هو المشهور بين الاصحاب ايضا ، وظاهر جماعة من متأخريهم الميل الى العمل بخبر مجهول الحال كما ذهب اليه بعض العامة ^{٣٣٤}.

ومع اجتماع هذه الشروط العددية الا ان الشرط الاساس عندهم هو وثاقة الراوي حتى بات البعض لا يشترط اجتماع هذه الشروط في الراوي الواحد ، فلو فقد الراوي احد هذه الشروط كالايمان ، والعدالة ، والفساد في الراي فهذا لا يؤثر على وثاقته وفقا لما روي عن ابي محمد الحسن بن علي X انه سئل عن كتب بني فضال فقال : (خذوا بما رووا ، وذروا ما راوا)^(٣٣٤) .
ففي هذا الخبر ان هؤلاء القوم (بنو فضال) ورغم فقدانهم بعض شروط الراوي مع ذلك اوصى الامام X بالاخذ بروايتهم لتوفر شروط اخرى لا تمس وثاقة الراوي .

اما في ما يخص الرواية فقد اشترط المالكية في مضمون خبر الواحد عدم مخالفته لعمل اهل المدينة ، لان عملهم موروث عن اسلافهم عن النبي 7 ، فهو بمثابة السنة المتواترة ، وقد رد العلماء هذا الشرط بالقول (ان موافقة الخبر لعمل اهل المدينة يتوقف على اثبات عصمة اهل المدينة او عدالتهم والا فكم من خبر صحيح يخالف اعمالهم)^(٣٣٤) !؟
كما اشترطوا الا يكون خبر الواحد مخالفا للقياس والقواعد الثابتة في الشريعة اذا كان الراوي غير فقيه مثل ابي هريرة^(٣٣٤) .

وهذا الشرط قد استحسنة العلماء ، وقالوا عنه (هو شرط وجيه مع تهمة الراوي ، اما مع وثاقته - لاسيما مع العدالة ، والورع والضبط ، ونقل الخبر بالفاظه - فلماذا يرد خبره)؟^(٣٣٤) .

اما الجبائي فانه قد اشترط شرطا فيه غرابة فقد حكي عنه انه يشترط ان ينقل الخبر رجلا ، ثم عند تكرر العصر لابد ان يتحمل قول كل رجل رجلا وهذا الى حيث ينتهي .

وهذا الشرط قد نوقش بالرفض من قبل العلماء لان معناه (الغاء العمل بجميع الاحاد بزماننا هذا ، لانه يشترط مخبرين في الطبقة الاولى ، وفي الطبقة الثانية اربعة مخبرين ، وفي الطبقة الثالثة ثمانية مخبرين ، وهكذا حتى يصل في زماننا الى المئات ، وهذا غير موجود في معظم اخبار الاحاد ان لم نقل في جميعها)^(٣٣٤) .
كما اشترطوا ان لا يكون الخبر الواحد فيما تعم فيه البلوى كرفع اليدين في تكبيرة الاحرام ، لان مثل هذا العمل لابد ان ينقل خبره متواترا او مشهورا .
وهذا الشرط ايضا قوبل بالرفض من قبل العلماء وذلك (ان الكثير من شؤون الصلاة من شكوك واجزاء ، وشرائط ، ونحوها مما تعم به البلوى واخبارها اخبار آحاد فاذا لم نعمل بها فماذا نفعل)^(٣٣٤) .

واخيرا اشترط الاحناف في الراوي أن لا يعمل بخلاف الحديث الذي رواه ، لان عمله يدل على نسخ الخبر او تركه لدليل اخر ، وقد رد العلماء عليهم بالحديث الذي روي سابقا عن الامام العسكري X ، والذي يدل على (ان الشخص قد يروي حديثا وهو لا يعمل به ، لانه لا يعمل باخبار الاحاد ، او انه يشترط في العمل بخبر الواحد شروطا معينة)^(٣٣٤) .

دواعي اعتبار هذه الشروط :

بعد ان اطلعنا على شروط قبول خبر الواحد لابد لنا من الاجابة عن سؤال قد يطرح نفسه هنا وهو : ما هو سبب تشدد العلماء في قبول امثال هكذا اخبار ؟ .
وللاجابة عن ذلك لابد لنا من مراجعة تاريخ الحديث النبوي وما اعتراه من دس وتزوير على يد الوضاعين ، وما ادخل فيه من اسرائيليات على يد اليهود والنصارى .

فمتى بدأ الكذب في الحديث ؟

فقد ادعى الجمهور (ان الحديث بقي صافيا وسليما من الكذب والتحويل خلال المدة التي اجتمع فيها المسلمون على الخلفاء الراشدين واستمر في ذلك الى ان انقسمت الامة الى احزاب وشيع واندس في صفوفها اهل المصالح والاهواء^(٣٣٤) .
مع العلم ان هذا لم يكن صنيع ما بعد الصحابة بل غرست بذوره في ارضهم وفي عهدهم وشعروا به ، وقد وقف قسم منهم موقف المحارب فهذا عبد الله بن ابي الحرث قال : دخلت على ابن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب الكنيف ، فقلت : أتفعلوا هذا بمولاكم؟ فقال : ان هذا يكذب على ابي^(٣٣٤) .

بل يمكن القول (ان الكذب على رسول الله 3 ظهرت طلائعه في عهده واستمر بعد وفاته ليتسع وينتشر حسب الظروف والمناسبات بالرغم من رقابة الحاكمين وتشددهم على المفرطين بالحديث ، والمتهمين بالكذب فيه)^(٣٣٤) .
والحق - كما ذكرنا سابقا - ان الوضع كان صنيع مهزلة (النهي عن تدوين الحديث) فلولا هذه المزعومة المكذوبة لما (فاضت انهار الوضع بغير ما ضابط ولا قيد حتى بلغ ما روي من الاحاديث الموضوعة عشرات الالاف ولا يزال اكثرها منبثا في الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها)^(٣٣٤) .
وقد كان لهذا السلوك الذي سلكه الوضاعون اسبابا عدة ، فمرة كانت اسبابا سياسية ، واخرى اسبابا عقائدية واقتصادية ودينية وفكرية واقليلية^(٣٣٤) .

من هنا كانت الاكاذيب تنتوع حسب تنوع الاسباب الداعية للكذب فهناك كذب سياسي واخر تحمس مذهبي او تعصب جاهلي ، او تزلف لدى امير ، او رغبة في جاه ، او استمالة للعامة ، لغرض استدراج ما لديهم من نفوذ وعطيات وما اشبه ذلك .
هذا كان دور الوضاعين والموضوعات . اما الاسرائيليات فكانت ادهى وامر فقد كان هؤلاء المغرورين (اشد الناس عداوة للذين امنوا لانهم بزعمهم شعب الله المختار ، فلا يعترفون لاحد غيرهم بفضل ، ولا يقرون لنبي بعد موسى برسالة ، فان رهبانهم واحبارهم لم يجدوا بدا ، وخاصة بعد ان غلبوا على امرهم ، وأخرجوا من ديارهم ، من ان يستعينوا بالمكر الى ان يتظاهروا بالاسلام ، ويوطنوا نفوسهم على دينهم)^(٣٣٤) . وعليه نجحوا في ادخال ما ليس من الدين محاولة منهم افساد عقائد المسلمين وايقاع الفرقة بين صفوفهم .

وبذا كان الوضع والاسرائيليات صنوان يكمل احدهما الاخر فلولا هذا الحديث الموضوع الذي مفاده: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)^(٣٣٤)

لما تجرأ احد عن الأخذ عنهم(لعنهم الله)(^{٣٣٤})

ولقد ابتلى أئمة اهل البيت Γ بما ابتلى به جدهم الاكرم 3 فقد بذل جماعة من الوضاعين والكذابين ، والغلاة جهودا قصوى لوضع الاحاديث ونسبتها اليهم Γ الامر الذي اضطرهم الى اعلان براءتهم من امثال هؤلاء وتكذيبهم على مرأى ومسمع من الاشهاد فهذا الامام الصادق A يقول في ذلك : (لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القران والسنة ، او تجدون معه شاهدا من احاديثنا المتقدمة ، فان المغيرة بن سعيد - لعنه الله - قد دس في كتب اصحاب ابي احاديث لم يحدث بها ابي ، فاتقوا الله ، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا ، وسنة نبينا 3) (^{٣٣٤}) .

وغيرها من الاخبار التي ان دلت على شيء فانما تدل على (ان الائمة الاطهار Γ) مذ احسوا بعروض الوضع والدس في الاحاديث اخذوا في تهذيبها ، وميزوا الصادر عنهم منها بانه الموافق للكتاب ، والسنة ، وكما حذروا شيعتهم من اولئك الوضاعين ، وسموهم ليحذروهم (^{٣٣٤}) .

وهذا الوضع قد اجبر علمائنا الاعلام الى الانتباه الى ذلك فحاولوا تمييز الاخبار المعتبرة عن غيرها وذلك ببذل اقصى الجهود كما فعل الكليني حيث انه لم يتم له جمع احاديث كتابه (الكافي) الا في مدة عشرين سنة (^{٣٣٤}) .

ونحن هنا بصدد الحديث عن اسباب النزول وهذا من مواضيع علوم القران كما نعلم ، لذا سنتحدث عن بعض جوانب دخول الموضوعات والاسرائيليات على التفسير .

فالوضع في التفسير هو عبارة عن (تفسير القران الكريم او نصوص منه باحاديث موضوع) (^{٣٣٤}) .

وكان الوضع في التفسير نشا وترعرع في احضان (الوضع في الاحاديث لانه نوع من انواع الاحاديث أي الذي يختص بتفسير القران الكريم من الاحاديث ويصدق عليه ما يصدق على الحديث الموضوع) (^{٣٣٤}) .

والوضاعون لم يستطيعوا النفوذ الى التفسير العقلي او التفسير بالرأي لانهما لا يحتاجان ذلك ، لكنه اصاب التفسير بالماثور فكان ضحيته المنحور بهتاناً وزوراً ، حتى امسى الوضع من سمات التفسير بالماثور والذي ادى الى فقدان الثقة به ، اما الاسرائيليات فكانت هي الاخرى قد اخذت حظها من التفسير فكان (للراء التي تسربت من اليهود والنصارى ، فاعتمدها بعض المسلمين في تفسير القران الكريم) (^{٣٣٤}) دورها في افساد جوانب كبيرة من التفسير كما اعترف به عدد من المفسرين والباحثين. هذه الظاهرة المنكرة اتفق على وجودها في التفسير مفسرو ومحدثوا الامامية والجمهور ووضحوا مخاطرها على التفسير ووضعوا ضوابط معينة يسير المفسر وفقها منها ان (يراجع الكتب المختصة بالموضوعات والاسرائيليات وان يكون على معرفة بالاحاديث الموضوعية والاسرائيلية لكي يتحرز عنها ويتجنبها) (^{٣٣٤}) .

وهذه الاوضاع كلها قد سببت موقفا محرجا للحديث النبوي والتفسير بالماثور فكان من تلك الآثار .

١- انها فتحت لاعداء الله من المبشرين والمستشرقين منفذا ينفذون منه الى الطعن في الشريعة الغراء وفي الرسول الكريم 3 ، وذلك لانا وجدنا ان هؤلاء المستشرقين اتخذوا من هذه الموضوعات والاسرائيليات الباطلة المبنوثة في كتب التفسير ، وفي غيرها من الكتب دعامة من دعائم منهجهم في البحث لتشيويه سمعة الاسلام عن قصد^(٣٣٤).

فكانوا (يعينون لهم غاية ، ويقررون في انفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ، ثم يقومون بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع سواء من كتب الديانة ، والتاريخ او الادب والشعر ، او الرواية والقصص ، او المجون والفكاهة وان كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها ، ويقدموها بعد التمويه بكل جراءة ، ويبنون عليها نظرية لا وجود لها الا في انفسهم ، واذهانهم ، انهم في اغلب الاحيان يذكرون عيبا واحدا ، ويجدون في تمكينه في النفوس ، بذكر عشرة محاسن ليست لها اهمية كبيرة ، وذلك كي يقف القارئ خاشعا مؤدبا امام سعة قلوبهم ، وسماحتهم ان كتابات هؤلاء اشد خطرا على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكاشفونا العداء)^(٣٣٤).

فكان منه نتيجة تصرفاتهم هذه ان وضعوا (حجابا بين الاسلام ومن يريد ان يعتنقه حتى ينفروا ابناؤه منه)^(٣٣٤)..... اضافة الى تمزيق المسلمين شيعا واحزابا فقد بث اليهود عقائد مختلفة ، وفسدوا احاديث موضوعية ، مما اثاروا موجة من الجدل العنيف من التعصب الذمير بين المسلمين)^(٣٣٤).

اضافة الى اثار سلبية^(٣٣٤) اخرى حاولت النيل من اسلامنا قصدهم في ذلك (تعريف مواضع الضعف في تاريخ الاسلام ، ومجتمعه ومدنيته ، حتى في ديانته ، وشريعته ، وتمثيلها في صورة مروعة مضخمة ، انهم ينظرون اليه عن طريق المجهر ويعرضونها للقراء حتى يروا الذرة جبلا والنقطة بحرا)^(٣٣٤).

مكانة اخبار الآحاد في التفسير

بعد ان ثبت لدينا حجية اخبار الآحاد في الاحكام الشرعية من سيرة العلماء ومذاهبهم في ذلك، نورد بعض الاسئلة التي قد تطرح نفسها: هل ان هذه الحجية تشمل حتى الروايات التفسيرية -طبعاً روايات اسباب النزول منها- الاحادية ام لا تشملها؟ وهل يجوز التفسير وفق هذه الاخبار ام لا؟ وهل ان كلمة العلماء في هذا الجانب اجتمعت ام اختلفت؟

للإجابة عن هذا كله نقول: ان العلماء اتفقوا على ان التفسير هو عبارة عن الكشف عن مراد الله تعالى وهذا الكشف لا يجوز فيه اتباع الظنون والاستحسانات من هنا تفاوتت آراؤهم بين مؤيد ورافض وبين مفصل في المسألة فكانوا:

١- مجموعة تبنت حجية خبر الواحد في التفسير فكان منهم:
أ- السيد الخوئي: وقد تبنى هذا الرأي في البيان^(٣٣٤). فهو وبعد ان يطرح اشكالا عن (حجية خبر الواحد اذا ورد عن المعصومين Γ في تفسير الكتاب)^(٣٣٤)، يجيب عن هذا الاشكال ما مفاده بهذه الحجية.

ب- العلامة محمد هادي معرفة: قال عنه - بعد ان اشار للقائلين بالحجة-: (ومن هنا فان جميع الاحكام وسنن الشريعة التي تفصل مجملات القرآن، وتفسر هذه الآيات التي وصلتنا عن طريق خبر الواحد الجامع للشرائط تكون معتبرة عندنا، الا في الخبر المخدوش من حيث السند والمضمون فلا يعتبر حجة في هذه الحالة)^(٣٣٤).

٢- مجموعة تبنت عدم حجية خبر الواحد في التفسير فكان منهم:

أ- الشيخ الطوسي P: عرفنا ان الشيخ ممن قال بحجية الخبر الواحد، وممن ادعى الاجماع عليه لكنه في مجال التفسير يشكل على حجية خبر الواحد فقال بهذا الشأن: (ينبغي ان نرجع الى الادلة الصحيحة اما العقلية او الشرعية من اجماع عليه او نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله ولا يقبل في ذلك خبر واحد خاصة اذا كان مما طريقه العلم)^(٣٣٤).

وهذا راجع على ما يعتقده البحث الى: ان التفسير كشف وايضاح لمراد المولى عز وجل وهذا الكشف لا يكون بالظنون - على اعتبار ان خبر الواحد ظني القطع- وهذا من باب عدم الوقوع بمستنتق التفسير بالرأي لان المفسر اذا احرز ان الخبر الذي جاء به ليس قطعي الصدور عن المعصوم (A) فقد يدخل نفسه في اجتهادات تؤدي به الى التفسير بالرأي المنهي عنه من باب حرمة اسناد الشيء الى الله بغير اذنه في مقابل روايات المعصومين القطعية والتي تعتبر من المصادر المعتبرة في التفسير والله اعلم.

ب- العلامة الطباطبائي: وقد اشار الى هذا المعنى في الميزان عندما فسر الآية ٤٤ من سورة النحل^(٣٣٤)، فهو بعد ان تحدث عن حجية الاخبار المتواترة وكذلك المحفوفة بالقرائن قال: (واما ما كان مخالفا للقرآن او غير مخالف لكنه ليس بمتواتر ولا محفوفاً بالقريضة فلا حجية فيه لعدم كونه بيانا)^(٣٣٤).

٣- قسم ثالث حاول التفصيل، فهو يقول بحجيته في آيات الاحكام وفي جميع الاحكام العملية التعبدية وهي ليست كذلك في العقائد والقصص و الاشارات العلمية في القرآن، وبعض المسائل مثل العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة... فليست بحجة، وان كان المفسر في هذه المجالات يستطيع الافادة منها كاحتمال، وكان الشيخ الجوادي الأملي رائد اصحاب هذه الآراء^(٣٣٤).

والبحث يميل مع اصحاب القسم الثالث؛ لكون انه لا يمكن ان تطرح مئات الروايات مجرد انها من اخبار الأحاد، بذريعة انها ليست بحجة وان المفسر قد يخطئ باستعماله اياها، اذا لضع علينا نصف التراث التفسيري في هذه الحالة خصوصا روايات اسباب النزول والتي قد يردنا في سبب نزول آية واحدة أكثر من رواية والله اعلم.

وبهذا نكون قد احرزنا وسيلة ثالثة نستطيع منها الحصول على الروايات في اسباب النزول ولكننا هنا نتعامل معها بكل حذر ووفق القواعد والاصول التي اشرنا اليها سابقا والله اعلم.

انعكاس الدس والتزوير على بعض كتب اسباب النزول :
انعكس الدس والتزوير واثارهما السيئة على التفسير وكتب اسباب النزول وروايته بصورة خاصة فلا نبالغ اذا قلنا ان كتب قامت بذاتها على الموضوعات والاسرائيليات منها :

١- تفسير مقاتل بن سلمان (واكثر من اشتهر في الوضع في التفسير هو مقاتل بن سلمان وتفسيره فيه اراء تفسيرية الكثير من هذه الاراء يضع لها اسانيد محاولا اثبات صحتها وقوة ما جاء فيها عن طريق نسبتها الى احد ائمة التفسير من الصحابة والتابعين) (٣٣٤). وقد اعتبره العلماء (احسن ما يمثل للتفسير المشبع بالاسرائيليات والروايات المكذوبة الموضوعة فهو ملئ بهما) (٣٣٤).
٢- تفسير الخازن او لباب التاويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشحي المعروف بالخازن وهو تفسير (مليئ بالقصص الاسرائيلية ولم يقتصر عليها بل ملأه بقصص واحاديث لم يروها غيره ، ولم يذكر سندها) (٣٣٤).

فهو مثلا عندما يفسر قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا...) (٣٣٤) يقول: (نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين ، وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمداً 3 يصلي ليرجمن راسه بالحجارة فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدفعه به فلما رفعه انثنت يده على عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي يريد رميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يره حتى نادوه فقالوا له ما صنعت؟ فقال ما رايت له ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهينة الفحل يخطر بذنبه لودونت منه لأكلني فانزل الله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) (٣٣٤) يقول صاحب مناهج المفسرين : (ولم اعثر على هذه القصة في كتب اسباب النزول ولا في كثير من التفاسير التي بين ايدينا) (٣٣٤).
٣) انوار التنزيل واسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي وقد اعتبر هذا التفسير ايضا من التفاسير التي حوت الحديث الموضوع والاسرائيلي وخصوصا الاحاديث التي وضعت في فضائل السور سورة سورة (٣٣٤).

وهناك تفاسير اخرى كثيرة تسرب اليها الخل ، وتطرق اليها الضعف والوهن الى الحد الذي كاد ان يفقدنا الثقة بكل ما روي من ذلك (٣٣٤).
حتى امست روايات اسباب النزول قد (غلب على احاديثها الضعف والجهالة والارسال، فضلا عن الوضع والدس والتزوير) (٣٣٤).

هذا الامر دعى بعض العلماء الى ضرورة التنبيه لذلك، فهذا الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) يحذر في القول (يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فانه كثير قال الميموني: سمعت احمد بن حنبل يقول: (ثلاثة ليس لها اصول- اولا اصل لها - المغازي والملاحم والتفسير أي ان الغالب منها ليس له اسانيد صحاح متصلة الاسناد)) (٣٣٤) وقد تابعه في ذلك السيوطي (ت ٩١١ هـ) حيث قال : (الذي صح من ذلك قليل جدا ، بل اصل المرفوع منه ((المتصل الاسناد)) في غاية القلة) (٣٣٤).

وحجتهم في ذلك) ان اقوال الناس على مراتب : فمنها الصحيح الذي يعول عليه ، ومنها الباطل الذي لا يلتفت اليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد^(٣٣٤) .
ورغم الحذر فقد تسربت بعض الاخبار المشبوهة الى كتب بعض العلماء فاشتملت على ما لا يعقل من روايات اسباب النزول، فهذا الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) عمد الى جمع الشوارد من اسباب النزول ، فلم يمكنه التحرز عن الضعاف والمجاهيل ، ما لا حجية فيه ، فمثلا نراه يروي كثيرا عن ابن عباس عن طريق الكلبي عن ابي صالح^(٣٣٤) ... وقد قال السيوطي : (واهى طرق التفسير مروان السدي الصغير فهو سلسلة الكذب)^(٣٣٤) .

اضف الى انهم اوردوا روايات ان دلت على شيء فأئنا تدل على مدى جهلهم ، فما روه من روايات لا يصدق حتى من قبل ابسط الناس علما!!
فهذا الواحدي يورد سبب نزول سورة الضحى فيقول : (اخبرنا حفص بن سعيد القرشي قال: حدثتني امي عن امها خولة وكانت خادمة رسول الله 3 ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي 7 اياما لا ينزل عليه الوحي، فقال : يا خولة ما حدث في بيتي ، جبرائيل A لا يأتيني، قالت خولة ، لو هيات البيت وكنته فاهويت بالمكنسة تحت السرير ، فاذا شيء ثقيل فلم ازل حتى اخرجته فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله 3 ترتعد لحياه ، وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة : دثريني فأنزل الله تعالى (والضحى(١) والليل إذا سجى(٢) ما ودّعك ربك وما قلى (٣) وللآخرة خير لك من الأولى (٤))^(٣٣٤) (٣٣٤)

وهذه الرواية مع روايات اخرى اوردها الواحدي عن سبب نزول سورة الضحى ، وكانت هذه الرواية اغربها

وهذه الرواية لا تحتاج الى تعليق (فرائحة الوضع ظاهرة في هذه الرواية وكل ما فيها من اللفظ والمعنى يدعو الى الدهشة والاستغراب)^(٣٣٤) .

وهناك سبب نزول اورده الواحدي في سورة الحج من قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢))^(٣٣٤) .

قال الواحدي عنها انها نزلت بعد ان اضاف النبي 3 الى الاية (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠))^(٣٣٤) .

فالقى الشيطان على لسانه 3 (تلك الغرائيق العلى*وان شفاعتهن لترجى)
فقال قريش: ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا الى آخر الرواية فنزلت تلك الاية لتزيل الابهام وزيادة الشيطان عليها^(٣٣٤) . ومنها كانت (قصة الغرائيق) المعروفة^(٣٣٤)

والعاقل اذا اطلع على سبب النزول هذا واطلع على تلك الزيادة لوجدها (خيوط من الكفر لا يمكن ان تصدر عن النبي 3 ومعلوم انه لم يات الا للقضاء على تلك الاصنام وبعد ذلك يفتح الباب للطعن بالقرآن فهل تستطيع ان تامن على غير هذا الموضوع منه اذا وافقنا هذه الرواية لكي تكون اقواله 3 وافعاله وتقريراته تشريعا لنا؟)^(٣٣٤) .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى الا يرى الواحدى ان هذا يتعارض تماما مع قوله تعالى (مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)) (٣٣٤) . ولا مع قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)) (٣٣٤) ، ثم هل غاب عن الواحدى ان الشيطان ليس له سلطة على المؤمنين فكيف بالانبياء والمرسلين ، ثم هل نسى الواحدى ومن لف لفه ان النبي 3 في مقام التبليغ عندهم معصوم فأية عصمة هذه ، وقد صدرت منه زلة من كفر (حاشاه ذلك) وهذه الزلة ليست كمثله زلة لا يداويها لا استغفار ولا توبة ولا انابه ولا بلاء دنيوي كما حدث مع الانبياء الذين سبقوه 3 حينما صدر منهم ما يشبه الذنب في مفهوم البشر ، ولكنها ليست بذنوب ولكنهم تداركوها بهذه الاشياء ثم ان الشيطان اذا استطاع ان ينفذ اليه 3 في هذا الموقع فهذا دليل على نفاذه في أي موقع شاء وبالتالي بطلان ديننا كله !! ياواحدى ..

ثم ان كان حقا على الله ان يحقق لكل نبي امنية فلا تكون امنية خاتم الرسالات هكذا ، (اما كان الاولى به ان يطلب من الله ان يدخل امته كلهم الجنة او غير ذلك من الامنيات الذي يحقق بها السعادة الابدية لامته لا ان يتمنى ان تكون امته عبدة او ثان ينتقي بوجودها هدف الرسالة وتنسف قواعدها؟! هذا كله في كفة وفي كفة اخرى ما يبطل هذه المزاعم هو ان سورة النجم التي حوت هذه القصة (قصة الغرانيق) مكية نزلت قبل الهجرة بينما سورة الحج مدنية نزلت بعد الهجرة لدلالة ما فيها من ايات تؤكد على انها مدنية ففيها تفصيل لمناهج الحج وفيها اشارات الى الهجرة والاذن للمهاجرين بالقتال (٣٣٤) .

وما بينهما فترة زمانية فهل كانت في هذه الفترة الزمانية تلك الاضافة تقرأ من القرآن والاعتقاد سائد بها الى ان نزلت سورة الحج ام انهم عرفوا ذلك قبل نزولها . وبعد فترة جاءت الاشارة اليه (٣٣٤) .

وانك لتجد امثال هذه الروايات فيما اسند (٣٣٤) فكيف بك اذا طالعت روايات المرسل والمقطوع والمجهول (اذا لوليت منهم فرارا) ، وكيف بك اذا قرأت في كتبهم

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)) (٣٣٤) انها نازلة في شان ابن ملجم الذي شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله بقتله امير المؤمنين علي A وكيف وكيف ... اسئلة لا تجد لها اجوبة غير القول: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)) (٣٣٤) .

اما لو اطلعت على (موافقات عمر) التي نقلها السيوطي وقال عنها : (هي في الحقيقة نوع من انواع اسباب النزول والاصل فيه موافقات عمر ، وقد افردها بالتصنيف جماعة) (٣٣٤) لجالت في خاطرك آلاف علامات الاستهزام منها: كيف تتوقع ممن لا يعرف الاب من القت (٣٣٤) ويجهل كثير من الاداب والسنن ان يترجح على رسول الله 3 فيسمعه رب العزة ، فينزل بعد كل اقتراح قرانا ؟؟ والموافقات ننقلها بلا تعليق تاركين الحق للقارئ يعلق ما يشاء (اخرج الترمذي عن ابن عمر انه قال : ان رسول الله 3 قال : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه . قال ابن عمر : ما نزل

بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر (وخرج البخاري عن انس قال : قال عمر : وافقت الله في ثلاث ، او وافقتني ربي في ثلاث ، قلت : يارسول الله ، لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (٣٣٤) قلت : يارسول الله ، لو امرت نساءك ان يحتجن ، فانه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت اية الحجاب ، واجتمع نساء النبي 3 في الغيرة عليه، فقلت لهن : عسى ربه ان يطلقكن ان يبدهن ازواجا خيرا منكن ، فنزلت هذه الآية (عَسَى رَبُّهُ أَنْ يُلَاقِيَهُمْ مِنْ يَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ...) (٣٣٤)(٣٣٤) .

٣- اما موافقته الرابعة فكانت كما اوردها السيوطي في الاتقان، قال : اخرج ابن ابي حاتم عن انس ، قال : قال عمر : وافقت ربي - او وافقتني ربي في اربع ، فنزلت هذه الآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)) (٣٣٤) فلما نزلت قلت انا فتبارك الله احسن الخالقين ، فنزلت (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)) (٣٣٤)(٣٣٤) .

٤- وخرج عبد الرحمن بن ابي ليلى ان يهوديا لقي عمر بن الخطاب ، فقال ان جبرائيل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا ، فقال عمر : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)) (٣٣٤) . قال : فنزلت على لسان عمر (٣٣٤) .

ختاما اقول : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (٣٣٤) اذا كان عمر بهذه الدرجة من الذكاء لماذا لم يختره تعالى ليكون نبي هذه الامة ؟! فانا لله وانا اليه راجعون .

نماذج من اخبار الاحاد غير المحفوفة بالقرائن في اسباب النزول :

١- قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)) (٣٣٤) عن الباقر انها نزلت في علي A (٣٣٤) .

٢- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)) (٣٣٤) . عن ابي عبد الله A انه قال نزلت في علي A وبلال وعثمان بن مظعون فاما علي A فانه حلف ان لا ينام بالليل ابدا الا ما شاء الله ، واما بلال فانه حلف ان لا يفطر بالنهار ابدا ، واما عثمان بن مظعون فانه حلف ان لا ينكح ابدا (٣٣٤) .

٣- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)) (٣٣٤) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)) (٣٣٤) .

عن حنان بن سدير عن ابيه ، عن ابي جعفر A ان صفية بنت عبد المطلب مات ابن لها ، فاقبلت ، فقال لها عمر بن الخطاب : غطي قرطك فان قرابتك من رسول الله لا ينفكك بشيء فقالت : وهل رايت لي قرطا يا ابن اللخاء؟! ثم دخلت على رسول الله 3 فاخبرته بذلك ، وبكت ، فخرج رسول الله 3 فنأدى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فقال : ما بال اقوام يزعمون ان قرابتي لا تنفع؟! لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في احولكم ، لا يسألني اليوم احد من ابوه الا اخبرته فقام اليه رجل ، فقال من ابي يا رسول الله ؟ فقال : ابوك غير الذي تدعي ابوك فلان بن فلان . فقام اليه رجل اخر فقال : من ابي يا رسول الله ؟

فقال : ابوك الذي تدعى اليه .
ثم قال رسول الله 3 ما بال الذي يزعم ان قرابتي لا تنفع لا يسألني عن ابيه ؟!
فقام اليه عمر فقال : اعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله ، اعف عني ، عفا الله عنك فانزل الله الآية^(٣٣٤) .

المنهج الذي يجب ان يتخذ في اسباب النزول :
وكما علمنا في متون هذه الدراسة ان رسول الله 3 وائمة اهل البيت ٢ قد حثوا كثيرا على ضرورة عرض ما وصلنا من اخبار عنهم ٢ على (القرآن الكريم ، لمعرفة صحته من سقمه لا ان تكون الاحاديث مفسرة للقران الكريم . وهذا لا يكون الا بالتدبر بالقرآن الكريم لمعرفة ما هو صحيح وما هو ليس بصحيح)^(٣٣٤) . فما وافق القران اخذنا به وما عارضه ضربنا به عرض الجدار .
من هنا رأى السيد الطباطبائي ان المنهج الذي لابد ان يتخذ في اسباب النزول هو ان (سبب النزول الوارد حول آية من الايات لو لم يكن متواترا او قطعي الصدور يجب عرضه على القران ، فما وافق مضمونه مضمون الآية يؤخذ به ويعمل عليه ومعنى هذا ان الحديث هو الذي يعرض دائما على القران لا القران يعرض على الحديث . وبهذه الطريقة نسقط اكثر احاديث اسباب النزول من الاعتبار ، الا ان الباقي منها يكسب كل الاعتبار والوثوق)^(٣٣٤) .

خاتمة الفصل :

ما عرضته من اقسام وانواع اخبار اسباب النزول ووسائل اثباتها ، وان منها ما هو من الاخبار المتواترة ، ومنها ما هو من الاخبار المحفوفة بالقرائن المفيدة للعلم بصدورها ، ومنها ما هو حجة من اخبار الاحاد المجردة عن القرائن المفيدة للعلم بصدورها ، لكنها مستوفية لشرائط الحجية عند علماء الحديث واصول الفقه والفقهاء والمفسرين وعززنا اثبات وجود كل نوع من الأنواع الثلاثة للخبر بذكر نماذج ودرت لكل نوع في اسباب النزول ، اقول من هذا كله يتضح وهن القول بان كل روايات اسباب النزول فاقدة للحجية ولا يمكن الاعتماد عليها لانها - حسب زعم من زعم - اما ان تكون موقوفة او مرسلة اوضعية بل يتضح ايضا وهن القول بان جلها كذلك اذ تقدمت نماذج - وهي قليل من كثير - من الاخبار المتوفرة فيها شرائط الحجية في اسباب النزول وقد افاض السيد الجلالى الحسيني - في مقدمته لتفسير الحبري^(٣٣٤) - في بيان اراء العلماء في قوة وحجية الكثير من اخبار اسباب النزول وحجيتها .

المصادر والمراجع

أولاً: خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

ثانياً: المخطوطات

- ❖ النجفي: السيد شرف الدين علي الحسيني (من اعلام القرن العاشر الهجري).
١- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، مخطوط في مكتبة الامام الحكيم العامة، النجف .

ثالثاً: الكتب المطبوعة

- ❖ ابتسام مرهون الصفار:
١- معجم الدراسات القرآنية، جامعة بغداد، ١٩٨٣-١٩٨٤م.
❖ ابن ابي الحديد: عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني. (ت: ٦٥٦هـ)
٢- شرح نهج البلاغة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
❖ احمد بن حنبل: (ت: ٢٤١هـ)
٣- المسند، وبهامشه، منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، دار صادر، بيروت - لبنان، (ب - ت).
❖ احمد عادل كمال:
٤- علوم القرآن، مطبعة دار لبنان، بيروت، ط٢، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
❖ احمد القبانجي:
٥- تهذيب احاديث الشيعة، (ب - ت).
❖ احمد كاظم البهادلي:
٦- مفتاح الوصول الى علم الاصول، دار المؤرخ العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
❖ الاخفش: سعد بن مسعد البلخي المجاشعي، (ت: بعد ٢٠٧هـ).
٧- معاني القرآن، تح: عبدالامير محمد امين الورد، مطبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٩٥م.
❖ ابن ادريس: محمد بن منصور بن احمد الحلبي، (ت: ٥٨٨هـ).
٨- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تح: لجنة التحقيق في مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم - ايران، وطبعة ١٢٧٠هـ، طبع حجر.
❖ الاربلي: ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح ، (ت: ٦٩٣هـ).
٩- كشف الغمة في معرفة الأنمة، دار الاضواء، بيروت - لبنان، (ب - ت).
❖ اسد رستم:
١٠- مصطلح علم التاريخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - لبنان ، (ب - ت).
❖ اسماعيل باشا محمد امين بن مير سليم الباباني البغدادي، (ت: ١٣٣٩هـ).
١١- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقيا ورفعت بيلكة الكليسي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان. (ب - ت).
❖ اسماعيل الصدر:
١٢- محاضرات في تفسير القرآن الكريم، تح: سامي الخفاجي، دار الكتاب الاسلامي، (ب - ت).
❖ اغا بزرك محمد محسن بن محمد رضا الطهراني، (ت: ١٣٨٩هـ).
١٣- الذريعة الى تصانيف الشيعة، مطبعة الغري، النجف ، وطبعة طهران ، (ب - ت).
❖ باقر الايرواني:

- ١٤- دروس تمهيدية في القواعد الرجالية، منشورات سعيد بن جبير، مطبعة :
صدر، قم المقدسة - ايران ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ.
- ❖ البحراني: هاشم سليمان التوبلي، (ت: ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ).
١٥- البرهان في تفسير القرآن، تصحيح: محمود بن جعفر الموسوي ونجي
الله بن كريم الله التفرشي، مطبعة: افتاب، طبع رشيد، طهران، ط٢، (ب - ت)،
ومؤسسة البعثة، ط١، ١٤١٥هـ.
- ❖ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن:
١٦- التفسير البياني للقرآن الكريم، دار التعارف، مصر، ١٩٦٢م.
- ❖ الترمذي : ابو عيسى محمد بن عيسى ، (ت : ٢٧٩هـ).
١٧- سنن الترمذي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ -
٢٠٠٢م، وطبعة دار الفكر بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت-
لبنان ١٤٠٣-١٩٨٣م.
- ❖ ابن تيمية: احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (ت : ٧٢٨هـ).
١٨- التفسير الكبير ، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مقدمة في اصول التفسير، تح: عدنان زرور، دار القرآن الكريم، الكويت،
ط١، مطابع دار القلم، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
دقائق التفسير، تح: محمد السيد الجليلند، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق -
سوريا، سلسلة التراث السلفي، ط٢، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.
- ❖ الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي، (ت: ٨٧٥هـ).
١٩- تفسير الثعالبي المسمى بـ(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تح: علي
محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود وعبد الفتاح ابو سنة، منشورات دار
احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ.
- ❖ الثمالي: ابو حمزة ثابت بن دينار، (ت: ١٤٨هـ).
٢٠- تفسير القرآن الكريم، جمع: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، مطبعة
الهادي ، قم - ايران ، ط١ ، ١٤٢٠هـ.
- ❖ ابن الجزي: محمد بن احمد الكلبي، (ت: ٧٤١هـ)
٢١- التسهيل لعلوم التنزيل، مطبعة مصطفى محمد، ط١، ١٣٥٥هـ.
- ❖ جعفر السبحاني:
٢٢- اصول الحديث واحكامه في علم الدراية، مؤسسة الامام الصادق X، قم،
ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٢٣- مفاهيم القرآن، مؤسسة الامام الصادق X، مطبعة اعتماد، قم- ايران ،
ط١، ١٤٢٠هـ.
- ❖ جواد علي كسار:
٢٤- فهم القرآن (دراسة على ضوء المدرسة السلوكية)، مطبعة مؤسسة
العروج، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ❖ ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت: ٥٩٧هـ).
٢٥- الموضوعات، تح: عبد الرحمن بن عثمان، ط١، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ❖ حاجي خليفة: مصطفى عبد الله المعروف بـ(كاتب حلي) ، (ت: ١٠٦٧هـ).
٢٦- كشف الظنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- ❖ الحاكم النيسابوري: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، (ت: ٤٠٥هـ).
٢٧- معرفة علوم الحديث، تح: معظم حسين السنغالي، دار الآفاق الجديدة،
بيروت - لبنان، (ب- ت).
- ❖ الحبري: ابو عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم بن مسلم، (ت: ٢٨٦هـ).
٢٨- تفسير الحبري، تح: محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت I لأحياء
التراث، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ - ١٩٨٧م.
- ❖ الحر العاملي: محمد بن الحسن ، (ت: ١١٠٤هـ).

- ٢٩- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تح: محمد رضا الحسيني الجلالى، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، مطبعة: مهر، قم- ايران، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ❖ الحسكاني: عبيد الله بن عبد الله، (ت: بعد ٤٩٠هـ)
- ٣٠- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودى، مؤسسة الاعلمى، بيروت - لبنان، ١٣٩٣هـ.
- ❖ حسن عيسى الحكيم :
- ٣١- مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث، (ب - ت):
- ❖ حسن هادي، الكاظمي الصدر، (ت: ١٣٥٤هـ).
- ٣٢- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
- ❖ حسين الحاج حسن:
- ٣٣- نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ❖ حكمت عبيد الخفاجي:
- ٣٤- الامام الباقر واثره في التفسير ، مؤسسة البلاغ، دار سلوني ، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ❖ الحلبي: ابو الصلاح تقي الدين، (ت: ٤٤٧هـ).
- ٣٥- تقريب المعارف في الكلام، تح: رضا الاستادي، قم - ايران، ١٤٠٤هـ.
- ❖ الحويزي: عبد علي جمعة بن جمعة العروسي، (ت: ١١١٢هـ).
- ٣٦- نور الثقلين، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، دار التفسير، مطبعة: شريعت، قم- ايران، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ❖ الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشبيحي، (ت: ٧٤١هـ).
- ٣٧- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، طبع المطبعة ٣٨- التجاري الكبرى، القاهرة، (ب - ت)
- ❖ الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي، (ت: ٤٦٣هـ).
- ٣٩- تقييد العلم، تح: يوسف العش، دار احياء السنة المحمدية، ط٢، ١٩٧٤م.
- ❖ ابن خلكان: شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر، (ت: ٦٨١هـ).
- ٤٠- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة ، مصر، ط١، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.
- ❖ الدارمي: عبد الله بن بهرام، (ت: ٢٥٥هـ).
- ٤١- سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال ، دمشق، ١٣٤٩هـ.
- ❖ الدمشقي: محمد بن احمد الباعوني، (ت: ٨٧١هـ).
- ٤٢- جواهر المطالب في مناقب الامام الجليل علي بن ابي طالب، تح: محمد باقر المحمودى، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، قم- ايران، ط١، ١٤١٥هـ.
- ❖ الدهلوي: احمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم، (ت: ١١٧٦هـ).
- ٤٣- الفوز الكبير في اصول التفسير، مطبعة دين محمدي، لاهور - باكستان، طبع حجر، (ب - ت).
- ❖ الذهبي: ابو عبد الله شمس الدين، (ت: ٧٤٨هـ).
- ٤٤- تذكرة الحفاظ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند، ط٣، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ❖ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ، (ت: ٦٠٦هـ).
- ٤٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): المطبعة البهية المصرية، التزام: عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الازهر - مصر، ط١، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ❖ الراغب الاصفهاني: الحسين بن محمد ، (ت: بحدود ٤٢٥هـ).
- ٤٦- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية - بيروت، المطبعة : اميران - قم، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ❖ رمزي نعاية:

٤٧- الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق، دار الضياء، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

❖ رياض الحكيم:

٤٨- علوم القرآن (دروس تمهيدية)، المركز الاسلامي المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

❖ الزركشي: بدر الدين ، محمد بن عبد الله، (ت: ٧٩٤هـ).

٤٩- البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

❖ الزمخشري: ابو القاسم ، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: ٥٣٨هـ).

٥٠- اساس البلاغة، دار الكتب، ط٢، (ب - ت).

٥١- الكشف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (ب - ت).

❖ ستار جبر حمود الاعرجي :

٥٢- منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، (ب - ت).

❖ السجاد : علي بن الحسين بن ابي طالب Γ (ت: ٩٥هـ).

٥٣- الصحيفة السجادية، مطبعة الديواني، بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

❖ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت: ٩١١هـ).

٥٤- الاتقان في علوم القرآن، بهامش اعجاز القرآن للباقلاني، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٣، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، ومطبعة المشهد الحسيني، مصر، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٥٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة - الحجاز ، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٥٦- الدر المنثور، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٧- لباب النقول في اسباب النزول، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

❖ الشاطبي: ابو اسحاق، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، (ت: ٧٩هـ).

٥٨- الموافقات في اصول الشريعة، ضبط وترقيم: محمد عبد الدراز، المطبعة الرحمانية بمصر، (ب - ت).

❖ الشافعي: محمد بن ادريس (ت: ٢٠٤هـ).

٥٩- الرسالة، تح: احمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

❖ ابن شهر آشوب : الحافظ محمد بن علي السروي المازندراني، (ت: ٥٨٨هـ)

٦٠- معالم العلماء ، تح: محمد صادق بحر العلوم، طبعة النجف، ١٣٨٠هـ، وطبعة طهران ، تح: عباس اقبال، ١٣٥٣.

٦١- مناقب آل ابي طالب ، المطبعة الحيدرية، النجف ، وطبع في المطبعة العلمية، ١٣٧٨هـ.

❖ الشهيد الثاني: زين الدين بن علي بن احمد، (ت: ٩٦٥هـ).

٦٢- الدراية في علم مصطلح الحديث، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

❖ ابن الشهيد الثاني: ابو منصور، جمال الدين الحسن، (ت: ١٠١١هـ).

٦٣- معالم الدين في اوليات اصول الفقه، تح: عبد الحسين محمد علي البقال، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

❖ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ، (ت: ١٢٥٥هـ).

٦٤- ارشاد الفحول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

❖ صالح الجوهرجي:

٦٥- ضياء الصالحين، منشورات: ذوي القربى، مطبعة سليمان زادة - ايران، ط٤، ١٤٢٤هـ.

❖ صبحي الصالح:

- ٦٦- علوم الحديث ومصطلحه ، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط ١٠، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
- ٦٧- مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١١، ١٩٧٩ م.
- ٦٨- نهج البلاغة، مجموعة خطب امير المؤمنين X تأليف الشريف الرضي، تح: فارس تبريزيان، مؤسسة دار الهجرة، قم - ايران، مطبعة سرور ، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
- ❖ الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، (ت: ٣٨١ هـ).
- ٦٩- عيون اخبار الرضا X، مطبعة امير، قم - ايران، ط ١، ١٣٧٨ هـ.
- ❖ طاهر بن صالح بن احمد الدمشقي:
- ٧٠- توجيه النظر الى اصول الاثر، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة، (ب - ت).
- ❖ ابن طاووس: علي بن موسى بن جعفر، (ت: ٦٦٤ هـ).
- ٧١- سعد السعود، تح: فارس تبريزيان الحسون، مطبعة: عترة ، ايران ، ط ١، ١٤٢١ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٧٢- الطرائف مع معرفة مذاهب الطوائف، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٧٣- اليقين في امرة امير المؤمنين X ، المطبعة الحيدرية، النجف ، ١٣٦٩ هـ.
- ❖ الطبرسي: ابو علي الفضل بن الحسن، (ت: ٥٠٢ هـ).
- ٧٤- الاحتجاج، تح: محمد باقر الخراسان ، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٧٥- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح: لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٦٨ م.
- ❖ الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، (ت: ٣١٠ هـ)
- ٧٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م، ط ٣، ١٣٨٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ الطريحي: فخر الدين بن محمد بن علي الرمحي النجفي، (ت: ١٠٨٥ هـ).
- ٧٧- مجمع البحرين، تح: احمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، (ب - ت).
- ❖ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن، (ت: ٤٦٠ هـ).
- ٧٨- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، تح: حسن الموسوي الخراسان، نشره علي الآخوندي، دار الكتب الاسلامية، النجف الاشرف ، (ب - ت).
- ٧٩- الأمالي، تح: قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، دار النشر للطباعة والنشر والتوزيع، قم - ايران، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٨٠- التبيان في تفسير القرآن، تح: احمد حبيب قصير واحمد شوقي الأمين، مكتبة الامين، النجف الاشرف ، المطبعة العلمية في النجف، ١٩٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٨١- العدة في اصول الفقه، تح: محمد رضا الانصاري القمي، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، المطبعة: ستارة، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ٨٢- معرفة اختيار الرجال، تح: حسن المصطفوي، مطبعة: دانشگاه، مشهد - ايران، ١٣٤٨ هـ.ش.
- ❖ الطيبي: الحسين بن عبد الله، (ت: ٧٤٣ هـ).
- ٨٣- الخلاصة في اصول الحديث ، تح: صبحي السامرائي، مطبعة الارشاد ، بغداد، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ❖ العاملي: جمال الدين ابو منصور الحسن بن زين الدين، (ت: ١٠١١ هـ).
- ٨٤- معالم الدين في اوليات اصول الفقه، تح: عبد الحسين محمد علي البقال، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

- ❖ عبد الأعلى الموسوي السبزواري:
٨٥- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ، ١٩٨٩، ومطبعة الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ❖ ابو عبد الله الزنجاني:
٨٦- تاريخ القرآن ، منظمة الاعلام الاسلامي، قسم العلاقات الدولية، مطبعة سيهر، طهران ، ايران ، ١٤٠٤هـ.
- ❖ عبد الله محمود شحاتة:
٨٧- القرآن والتفسير ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ❖ عبد الامير زاهد:
٨٨- تأملات في النص القرآني، (ب - ت).
- ❖ عبد الحسين احمد النجفي الاميني: (ت: ١٣٩٠هـ).
٨٩- الغدير في الكتاب والسنة والادب ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي: (ت ١٣٧٧هـ).
٩٠- المراجعات ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ عبد الغني عبد الخالق:
٩١- حجية السنة ، دار التربية ، مطبعة منير، بغداد، (ب - ت).
- ❖ عبد القادر ملا حويش آل غازي:
٩٢- بيان معاني القرآن على حسن ترتيب النزول، مطبعة الترقى، دمشق سوريا، (ب - ت).
- ❖ عبد القهار داود العاني:
٩٣- دراسات في علوم القرآن، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٧٢م.
- ❖ عبد الكريم زيدان:
٩٤- الوجيز في اصول الفقه، مطبعة العاني، بغداد، ط٤، ١٩٦٩ - ١٩٧٠م.
- ❖ عبد المهدي مطر الخفاجي:
٩٥- دراسات في علم الدراية، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٣٦٩هـ - ١٩٧٠م.
- ❖ عبد الهادي الفضلي :
٩٦- اصول الحديث ، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، ط٢، ١٤١٦هـ.
- ❖ عبد الوهاب خلاف:
٩٧- علم اصول الفقه، دار العلم للطباعة النشر والتوزيع، الكويت، ط١٠، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ❖ عزيز الله العطاردي:
٩٨- مسند الامام الهادي ابي الحسن علي بن محمد I، دار الصفوة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ❖ ابن عساكر: ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، (ت: ٥٧٣هـ).
٩٩- تاريخ دمشق ، ترجمة الامام علي بن ابي طالب X، تح: محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ❖ ابن عطية: ابو محمد عبد الحق بن غالب الاندلسي، (ت: ٥٤٦هـ).
١٠٠- المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ، منشورات محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ❖ علي الأوسي:
١٠١- الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان، مطبعة سيهر، ايران، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ❖ علي جواد الطاهر:
١٠٢- منهج البحث الادبي، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٧٠م.
- ❖ علي الحسيني الندوي:

- ١٠٣- مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، اعداد: عبد الماجد الفوري، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، ط١، ١٤١٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ❖ علي الشاهرودي، (ت: ١٤٠٥هـ): مستدرجات علي رجال الحديث، مطبعة الحيدري، طهران - ايران، ط١، ١٤١٥هـ.
- ❖ علي الشهرستاني: ١٠٥- منع تدوين الحديث، دار الغدير، قم - ايران، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ❖ علي شواخ اسحاق: ١٠٦- معجم مصنفات القرآن الكريم، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض- السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ❖ علي الموسوي الدارابي: ١٠٧- نصوص في علوم القرآن، باشراف: محمد واعظ زادة الخرساني، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد - ايران، مجمع البحوث الاسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ❖ العمري: محمد بن محمد ابو السعود، (ت: ٩٨٢هـ). ١٠٨- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، مطبعة محمد علي صبيح، مصر.
- ❖ العياشي: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي، (ت: ٣٢٠هـ). ١٠٩- تفسير العياشي، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ❖ غانم قدوري حمد: ١١٠- محاضرات في علوم القرآن، جامعة بغداد، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ❖ الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد، (ت: ٥٠٥هـ) ١١١- المستصفى وبذيله فواتح الرحموت بشرح علم الثبوت في اصول الفقه، المطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية، ١٣٢٢هـ.
- ١١٢- المنحول من تعليقات الأصول، تح: محمد حسن هينو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (ب - ت).
- ❖ فؤاد سزكين: ١١٣- تاريخ التراث العربي، نقله الى العربية: محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ❖ الفتوني: الشريف ابو الحسن العاملي: ١١٤- مرآة الأنوار (مقدمة تفسير البرهان للبحراني)، مؤسسة اسماعيليان، قم - ايران، (ب - ت).
- ❖ الفيروز آبادي: مجد الدين، محمد بن يعقوب، (ت: ٨١٧هـ). ١١٥- القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، (ب - ت) ونسخة المطبعة الميمنية بمصر.
- ❖ ابو القاسم الموسوي الخوني: ١١٦- معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١١٧- البيان في تفسير القرآن، دار التوحيد للنشر والتوزيع، الكويت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ❖ القاسمي: محمد جمال الدين، ١١٨- محسان التأويل المعروف بـ(تفسير القاسمي)، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ❖ ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد، (ت: ٦٢٠هـ).

- ١١٩- روضة الناظر وجنة المناظر، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٧٨هـ.
- ❖ القرطبي: ابو عمر يوسف بن عبد البر التمري، (ت: ٤٦٣هـ).
- ١٢٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، مطبعة العاصمة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٢١- الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- ❖ القمي: ابو الحسن علي بن ابراهيم. (القرن الثالث الهجري).
- ١٢٢- تفسير القمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ❖ ابن قيم الجوزية: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر سعد بن حريز، (ت: ٧٥١هـ).
- ١٢٣- اعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ❖ ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء، اسماعيل القرشي الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ).
- ١٢٤- تفسير القرآن العظيم، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت: (ب - ت).
- ❖ الكركي: حسن بن علي بن عبد العالي العاملي.
- ١٢٥- اطيب الكلم في بيان صلة الرحم، اعداد: احمد الحسيني، مطبعة مهراستوار، قم- ايران، ط١، ١٣٩٤هـ.
- ١٢٦- هداية الابرار، الى طريق الانمة الاطهار، تح: رؤوف جمال الدين، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، (ب - ت).
- ❖ الكشي: ابو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت: ٣٤٠هـ).
- ١٢٧- رجال الكشي، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، (ب - ت)
- ❖ الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب. (ت: ٣٢٩هـ).
- ١٢٨- الاصول من الكافي، تح: علي اكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، دار الكتب الاسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ.
- ❖ كمال الحيدري:
- ١٢٩- اصول التفسير والتأويل، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ ابن ماجة: ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٥هـ).
- ١٣٠- السنن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ مالك بن نبي:
- ١٣١- الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، طرابلس - لبنان، (ب - ت).
- ❖ المامقاني: عبد الله بن محمد حسن المامقاني، (ت: ١٣٥١هـ).
- ١٣٢- تنقيح المقال في احوال الرجال، المطبعة المرتضوية، ط١، النجف الاشرف، ١٣٥٠هـ، طبع حجر.
- ❖ المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين، (ت: ٩٧٥هـ).
- ١٣٣- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح: بكري حياتي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ❖ مجاهد بن جبر التابعي المكي، (ت: ١٠٤هـ).
- ١٣٤- تفسير مجاهد، تح: عبد الرحمن الظاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث الاسلامية، اسلام آباد - باكستان، (ب - ت).
- ❖ المجلسي: محمد باقر بن محمد تقی، (ت: ١١١١هـ).
- ١٣٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر الانمة الاطهار، تح: لفيف من العلماء، راجعه: محمد درياب النجفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ❖ مجموعة مؤلفين:

- ❖ ١٣٦- المعجم الوسيط، طبع دار الدعوة، استانبول- تركيا، ١٩٨٩م.
- ❖ مجيب جواد جعفر الربيعي:
- ١٣٧- اسباب النزول في ضوء اهل البيت I، مطبعة: شريعة، قم، ط١، ١٤٢١هـ.
- ❖ محسن الامين الحسيني العاملي: (ت: ١٣٧٣هـ).
- ١٣٨- اعيان الشيعة، مطبعة الانصاف، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، وطبعة مطبعة الاتقان - دمشق.
- ❖ محسن عبد الحميد:
- ١٣٩- الآلوسي مفسرا، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٤٠- الرازي مفسرا، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ❖ محمد باقر الحكيم:
- ١٤١- علوم القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٥٨م.
- ١٤٢- القصص القرآني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (ب - ت).
- ١٤٣- الهدف من نزول القرآن وآثاره على منهجه في التفسير، مؤسسة الامام الحسين X، قم - ايران، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ❖ محمد باقر الصدر:
- ١٤٤- دورس في علم الاصول (الحلقة الثانية)، اعداد: محسن غرويان النيسابوري وعبد الجواد الابراهيمي الشاهرودي، مطبعة القدس، قم المقدسة - ايران، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٤٥- دروس في علم الاصول مع المعالم الجديدة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ١٤٦- المدرسة القرآنية، مطبعة شريعة، قم - ايران، ط٣، (ب - ت).
- ❖ محمد تقى التستري:
- ١٤٧- قاموس الرجال، منشورات: نشر كتاب، طهران، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ❖ محمد تقى الحكيم:
- ١٤٨- الاصول العامة للفقهاء المقارن، شركة مكتبة الالفين، (ب - ت)
- ❖ محمد تقى المدرسي:
- ١٤٩- من هدى القرآن، دار الهدى، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ❖ محمد جواد البلاغي:
- ١٥٠- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، مطبعة العرفان، صيدا - لبنان، ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.
- ❖ محمد جواد مغنية:
- ١٥١- التجارب، اعداد: عبد الحسين مغنية، دار الجواد، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
- ١٥٢- التفسير الكاشف، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، مطبعة أسوة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ محمد حسين الجلالى:
- ١٥٣- مصادر الحديث عند الامامية، (ب - ت).
- ❖ محمد حسين الذهبي:
- ١٥٤- التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- ❖ محمد حسين الطباطبائي:
- ١٥٥- القرآن في الاسلام، تعريب: احمد الحسيني، دار الزهراء I للطباعة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١٥٦- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ محمد حسين علي الصغير: الاستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة.

- ١٥٧- تاريخ القرآن، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ١٥٨- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ❖ محمد حسين فضل الله:
- ١٥٩- من وحي القرآن ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ❖ محمد الحسيني:
- ١٦٠- مطارحات في قضايا اسلامية ، دار الملاك، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ❖ محمد الخضري بك:
- ١٦١- اصول الفقه، تح: نواف الجراح، دار صادر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ❖ محمد الدشتي وكاظم المحمدي:
- ١٦٢- المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة، مؤسسة امير المؤمنين X للتحقيق، قم - ايران، ط٦، ١٣٧٥ هـ.
- ❖ محمد رضا الحسيني:
- ١٦٣- تدوين السنة الشريفة، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٣ هـ.
- ❖ محمد رضا المظفر:
- ١٦٤- اصول الفقه ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ١٦٥- المنطق، النجف الاشرف ، ط٣، ١٩٦٨ م.
- ❖ محمد سعيد رمضان البوطي:
- ١٦٦- من روائع القرآن، منشورات مكتبة الفارابي للمعارف، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ❖ محمد الطاهر بن عاشور: (ت: ١٣٩٣ هـ).
- ١٦٧- التحرير والتنوير، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس، (ب - ت).
- ❖ محمد طه نجف بن مهدي النجفي، (ت : ١٣٢٣ خ)،.
- ١٦٨- اتقان المقال في احوال الرجال، المطبعة العلوية، النجف الاشرف، ١٣٤١ هـ.
- ❖ محمد عبد العظيم الزرقاني: (ت: ١٩٤٨ م):
- ١٦٩- مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار الفكر ، (ب - ت)، وطبعة دار احياء التراث العربي، تصحيح: امين سليمان الكردي، بيروت - لبنان، ط٢، (ب - ت).
- ❖ محمد علي الرضائي الاصفهاني:
- ١٧٠- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، تعريب: قاسم البيضاوي، مطبعة: صدف، قم - ايران، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- ❖ محمد الصادقي الطهراني:
- ١٧١- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان، ط٢، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، وطبعة طهران، منشورات: فرميك - اسلامي، ط٢، (ب - ت).
- ❖ محمد الغزالي :
- ١٧٢- نظرات في القرآن، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ط١، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ❖ محمد فؤاد عبد الباقي:
- ١٧٣- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ❖ محمد محمد صادق الصدر:
- ١٧٤- مئة المنان في الدفاع عن القرآن، مطبعة فيضية، منشورات طليعة النور، ط١، ١٤٢٥ هـ، قم - ايران.

- ❖ محمد هادي معرفة:
- ١٧٥- التفسير والمفسرون في ثوبة القشيب، تنقيح قاسم النوري، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد - ايران ، ط١ ، ١٤١٩ هـ.
- ١٧٦- التمهيد، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة- ايران، ط١ ، ١٤١٦ هـ.
- ❖ محمود ابورية:
- ١٧٧- اضواء على السنة المحمدية، مطبعة : دار التأليف بمصر، ط١ ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ❖ محي الدين الموسوي الغريفي:
- ١٧٨- قواعد الحديث، مطبعة الآداب، النجف الاشرف ، ط١ ، (ب - ت).
- ❖ مروان خليفات:
- ١٧٩- وركبت السفينة، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ط٢ ، (ب - ت).
- ❖ مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان:
- ١٨٠- مناهج المفسرين، دار المعرفة، بغداد - العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط١ ، ١٩٨٠ م.
- ❖ مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ):
- ١٨١- صحيح مسلم، منشورات : محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ❖ المفيد: ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (ت: ٤١٣ هـ).
- ١٨٢- الامالي، تح: علي اكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٨٣- التذكرة باصول الفقه، تح: محمدر مهدي نجف، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ❖ مقاتل : ابو الحسن بن سليمان بن بشر الازدي: (ت: ١٥٠ هـ):
- ١٨٤- تفسير مقاتل، تح: احمد فريد، دار الكتب العلمية - محمد علي بيضون، بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ❖ المقدس الاردبيلي: احمد بن محمد ، (ت: ٩٩٣ هـ).
- ١٨٥- زبدة البيان في احكام القرآن، تح: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، طهران، المطبعة الحيدرية، (ب - ت).
- ❖ مناع القطان:
- ١٨٦- مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٢١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- ❖ المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي الدمشقي، (ت: ٦٥٦ هـ).
- ١٨٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المطبعة العامرة الشرفية بمصر المحمية، ط١ ، ١٣٢٤ هـ.
- ❖ ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٧١١ هـ).
- ١٨٨- لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، (ب - ت).
- ❖ ناصر مكارم الشيرازي:
- ١٨٩- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ❖ النجاشي: ابو العباس احمد بن علي، (ت: ٤٥٠ هـ)
- ١٩٠- الرجال، مؤسسة النشر الاسلامي، جماعة المدرسين، قم، ط٥ ، ١٤١٦ هـ.
- ❖ ابن النديم: محمد بن اسحاق، (ت: ٣٧٨ هـ).
- ١٩١- الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (ب - ت).
- ❖ النسفي: ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود ، (ت: ٥٣٧ هـ).
- ١٩٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (ب - ت).
- ❖ هادي الطهراني:

- ١٩٣- محجة العلماء (تعليقة على فرائد الاصول للانصاري)، طبعة حجر - ايران.
- ❖ هاشم معروف الحسني:
- ١٩٤- دراسات في الحديث والمحدثين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (ب-ت).
- ١٩٥- دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري، مطبعة صور الحديثة، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٩٦- سيرة المصطفى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٩٧- الموضوعات في الآثار والاعخبار، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ هاشم الموسوي:
- ١٩٨- القرآن في مدرسة أهل البيت X، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، مطبعة محمد، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ الواحدي: ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري، (ت: ٤٦٨هـ).
- ١٩٩- اسباب النزول وبهامشه: الناسخ والمنسوخ لابي القاسم هبة الله بن سلامة ابي النصر، (ت: ٤١٠هـ)، طبعت بمطبعة هندية في غيط النوبي بمصر، ١٣١٥هـ.
- ❖ وهبة الزحيلي:
- ٢٠٠- اصول الفقه الاسلامي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

- ❖ حسين سامي عبد الصاحب:
- الاساليب المنهجية لنقد متن الحديث، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ داود سلمان صالح الدليمي:
- الاسناد عند المحدثين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.
- ❖ محمد عباس نعمان العويدي:
- محمد جواد مغنية وموارده في التفسير الكاشف، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ محمود شاكر عبود الخفاجي:
- ملاح الفكر التاريخي في القرآن الكريم، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م.
- ❖ مظاهر جاسم عبد الكاظم:
- البحث الروائي في تفسير الميزان، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ هدى جاسم محمد طبرة:
- المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

خامساً: المراكز والمؤسسات:

- ❖ مؤسسة المعارف الاسلامية الثقافية:
- ❖ الوجيه في علوم القرآن، سلسلة العلوم والمعارف الاسلامية (ب - ت).
- ❖ مركز الثقافة والمعارف القرآنية.
- ❖ علوم القرآن عند المفسرين، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.
- ❖ لجنة تنظيم الكتب الدراسية:
- ❖ تهذيب المغني. كلية اصول الدين/ المجمع العلمي الاسلامي ويعلمهم الكتاب والحكمة، مطبعة الامير، قم - ايران، ط٤، ١٤٢٢هـ.

- ❖ الموسوعة الفلسفية :
- ❖ لجنة من العلماء الاكاديميين السوفييت، اشراف: م.روزنتال و.ن. يودين. ، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

سادسا: الدوريات العربية:

- ❖ صحيفة كتابات، مقالة لحמיד شاکر بعنوان: علوم القرآن، العدد/٣١ كانون الثاني/٢٠٠٥م.
- ❖ مجلة تراثنا، العدد ٣، مقالة لصائب عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية، ثلاثون عاما بعد الرسول 7.
- ❖ مجلة تراثنا، العدد ٤، السنة الأولى، ١٤٠٦هـ، محمد رضا الحسيني: اسباب النزول، اهميتها، طرقها، حجيتها، مصادرها.
- ❖ مجلة علوم الحديث، العدد الثامن، ١٤٢١هـ، حسن الحسيني آل مجدد: براءة الامام علي X من حديث الشرب الحرام.
- ❖ مجلة علوم الحديث، العدد ١٨، ١٤٢٥هـ، علي حسن مطر الهاشمي: جهود أهل البيت I في الحفاظ على السنة.
- ❖ مجلة قضايا اسلامية، العدد الثاني، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدة مقالات.

سابعا: اللقاءات والمحاضرات:

- ❖ احمد البهادلي: محاضرات القاها على الباحثة في ٢٠٠٥/٣/٤.
- ❖ عبد الامير زاهد: محاضرات القاها على طلبة الدراسات العليا في جامعة الكوفة في ٢٠٠٤/٤/١.
- ❖ كمال الحيدري : لقاء تلفزيوني بث من فضائية الكوثر ضمن برنامج (مطارحات في العقيدة) في ٢٠٠٥/٦/٩.
- ❖ محمد حسين علي الصغير: محاضرات القاها على الباحثة في ٢٠٠٦/٧/٣.
- ❖ محمد صادق الخرسان: محاضرات القاها على الباحثة خلال زيارتها لسماعته في ٢٠٠٦/٥/٨.
- ❖ مهدي العطار: محاضرة بثت من اذاعة طهران في ٢٠٠٢/٧/١٥.

ثامنا: مواقع الانترنت:

- ❖ موقع ملتقى أهل التفسير
- ❖ www.tafsir.net
- ❖ موقع كتابات:
- ❖ www.kitabat@kitabat.com

تاسعا: المصادر الاجنبية:

- ❖ عبد الله جوادى آملی:
- ١- تفسير تسنيم، مركز نشر اسراء، قم، ايران، ١٣٧٦هـ.ش.
